سلسلة الكتب النادرة

(٣)

نــوادر الكـتـب

غريبُها وطريفُها

محمد خير يوسف

٩٨ . يوسف، محمد خير .
٠ ٩٨٠ي نوادر الكتب : غريبها وطريفها/ محمد خير يوسف . ـ ط ١ ـ
الرياض : مكتبة العبيكان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م .
. . . ص؛ ٢٤سم
ردمك ٨ ـ ٠٦٩ ـ ٢٠ ـ ٩٩٦٠
١ . الكتب ـ عرض وتحليل . ٢ . الغرائب والعجائب .
أ . العنوان .

ردمك ٨ ـ ٠٦٩ ـ ٢٠ ـ ٩٩٦٠ رقم الإيداع : ١٤/١٧١١

الطبعة الأولى

١٤١٥هـ/١٩٩٤م

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض ـ العليا ـ طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ربما لا تعرف أن هناك شخصاً آخر مشهوراً يقال له «سيبويه» !

لكن شهرته تعود إلى أنه من أشهر «عقلاء المجانين»، الذي استفاضت أخباره مع الأمراء والوزراء والعلماء في مصر، في القرن الرابع الهجري.

وقد انبرى المؤرخ المعروف «ابن زولاق» لتأليف كتاب في حياته وأخباره، نظراً لأن الكُتَّاب لم يشيروا إليه من بين ما كتبوا في «عقلاء المجانين»، وكان هو معاصراً له . . وسمى كتابه : «**أخبار سيبويه المصري**».

والعجيب أن هذا «العاقل ـ المجنون» كان من كبار أهل العلم واللغة . وقد لقب بـ «سيبويه» لاستحقاقه ذلك عن جدارة ! كما كان حافظاً للقرآن الكريم، عارفاً بغريبه وأحكامه، وعالماً بالحديث وغريبه ومعانيه، وبالرواة ! لكنه كان معتزلياً متعصباً !

وقد ذُكر أنه أصيب بالجنون؛ لأنه شرب دواء معيناً !

وذكرت زوجته أنه إنما كان يهيج إذا لم يأكل اللحم، فإذا أكل شيئاً دسماً سكن !

وأترك القارئ مع طائفة من أخباره، في أول كتاب يعرض في هذا الكتاب . . .

● وإذا كان من نصيب هذا الكتاب عرضُ بعض الكتب النادرة في موضوعها لكُتَّاب معاصرين، فإنني ما كنت أتصوَّر، بل لم يكن يخطر لي على بال، أن أرى كتاباً بعنوان «أدب الجن» !

وهل للجن أدب ظاهـر للإنسان ؟ وهل أدبهم الظاهـر لنا مثل أدبهم بين بعضهـم البعض ؟ وكيف يُعرف ؟ وكيف يكون ؟

هـذا ما تصـدىٰ لـه كـاتب معاصر، فأجـاب على بعض تلك الأسئلـة ، وانتصر لرأي من قال إن للجن شعـراً ؛ لأنه قد قال به أئمـة كبار، أمثال ابن كثير، وابن الجوزي ، وابن قيم الجوزية ـ رحمهم الله .

وقد بدأ بـآيات من القرآن الكريم تذكر الجان ، ثم أحـاديث شريفة مخرَّجة فيهـم ، ثم خصص بقية الفصول لقصص الجن وأشعـارهـم ، وما جرى معهـم في العصر الجاهلي ، فصـدر الإسـلام ، ثم في العصر الأمـوي ، وأخيراً العصر العباسي .

وقد كنت زاهداً في ذكر مثل هذه الأمور . . إلا أن غرابة العنوان ، بل غرابة موضوعه ، أملى عليَّ اختيار فقرات منه ، تسلية للقارئ .

وقد تبيَّن أن للكاتب «محمد عبد الرحيـم» كتباً أخرى غريبة في بابها ، مثل «قصص وأخبـار مـن رأى سيـد الأبـرار ﷺ في المنـام» ، و «المصلـوبـون في التاريخ» . . !

● ويأتي شيخ كبير، يقلب دفاتر الزمن ، ويدوِّن في أوراقه ما يعثر عليه من كلام حسن ، ووعظ طيب ، وحكمـة جليلة ، وخبر نـادر، وحكاية غـريبة ، وطرفـة فيها عبرة ، ويصـدر ما جمعـه في كتاب يسميـه : « **الإرشاد في طلب الرشاد**» .

وقد انتقينا منه ما كان أكثر ملاءمة وفائدة .

فقد تنـزعج ـ أيها القارئ العـزيز ـ عندمـا تتقاذفك ألسنة النـاس من هنا وهناك ، ولا تملك سلطة إسكاتهم . . وستعرف أن هناك من الأنبياء ـ عليهم

الصلاة والسلام ـ من دعا ربَّه أن يكفَّ عنه ألسنة الناس، فأوحى إليه : هذا ما لم أجعله لنفسي، فكيف أجعله لك ؟!

وعندما قيل لرجل أراد أن يطلق زوجته : ما يسوؤك منها ؟ قال : العاقل لا يهتك ستر زوجته. ولما طلقها قيل له : لِمَ طلقتها ؟ قال : ما لي وللكلام فيمن صارت أجنبية عني ؟

و «إذا أردت أن تعرف من أين حصَّل الرجلُ المالَ، فانظر في أي شيء ينفقه» !

وهكذا تتوالى عليك أقوال وأخبار جميلة مفيدة.

ولكن . . ليست العبرة بكثرة الحِكَم والعِبَر، بقدر ما يُطلب أن يكون هناك احتكام إلى الحق، وعبرة مما مضى، ومما يقال.

● ثم يأتي كاتب آخر معاصر، فيجمع أخبار الأطفال وحكاياتهم وطرائفهم ونوادرهم من كتب التراث الإسلامي المطبوعة والمخطوطة، ويسمي مجموعه هذا : **«الأطفال في التراث العربي»**. فيذكر ما ورد في الأطفال المجاهدين، والأطفال العلماء، والأطفال الحُفَّاظ، ثم الأذكياء والشعراء . . . إلخ.

ويورد ــ مثلاً ــ قول الأصمعي : قلت لغلام حَدَث السن من أولاد العرب : أيسرُّك أن يكون لك مائة ألف درهم وأنك أحمق ؟ قال : لا والله. قلت : ولِمَ ؟ قال : أخاف أن يجني عليَّ حمقي جنايةً تُذهب مالي ويُبقي علي حمقي !

وقال بعض المعلِّمين : حضرتُ لتعليم «المعتز» وهو صغير، فقلت له : بأي شيء نبدأ ؟ قال : بالانصراف !

● وهذا كاتب من القرن السادس الهجري، مكي الأصل، مغربي المنشأ، ووفاته بحماة . . كان واعظاً، متكلماً، شاعراً، ناثراً. تجوَّل صغيراً في البلاد لطلب العلم، ودخل أكثر الأمصار . . يلفت انتباهه أخبار طائفة من الأولاد النجباء الأذكياء، فيخصص كتاباً لهذا الموضوع يسميه : **«أنباء نجباء الأبناء»**. يودع فيه أخبار من اشتُهر منهم بعلوِّ الهمَّة ونور البصيرة . . ممن رشح نفسه للملك أو الرئاسة، أو نطق ببليغ الحكمة، أو صاغ بديع الشِّعر، أو جاد بماله ونفسه، أو قاد الكتائب والجيوش، أو أخلص لله الطاعة، أو تخصص بحسن الزهادة.

وستقرأ طائفة من أخبار هؤلاء الأولاد النجباء . . لكاتبها ابن ظفر الصقلي.

● وكانت مطبعة الجوائب في الآستانة (إستانبول)، قد جمعت سبع عشرة رسالة، بينها كتب ورسائل نادرة، وأصدرت هذا المجموع في كتاب سنة ١٣٠٢ هـ بعنوان : **«التحفة البهيَّة والطُّرفة الشهية»**. وقد اخترت فقرات مناسبة من خمس رسائل منها، بينها «رسالة عبد الواسع في المعاتبة» التي يظهر فيها أنه ابتُلي بأصحاب شيمتُهم الغدر، فيقول شعراً منه :

مللت الناسَ كلهُم اضطراراً ... لأن ودادَ أكثرهم هباءُ
وكم من صاحب أُصفي ودادي ... له، ونصيبنا منه الرياءُ
وأرعى عهدَه ويضيع حقي ... وهذا يا أخي بئس الجزاء

● ونعرِّج على متأدب مصري أعمى ظريف، يُعرف بـ «حسن الآلاتي»، يؤلف كتاباً عجيباً، يقع في ثلاثة أجزاء، وقد رأيت منه الجزء الأول فقط،،

الـذي صـدر عـام ١٣٠٧هـ، وهـو بعنـوان : «**ترويح النفـوس ومضحك العبوس**» .

وللقارئ أن يتجـول في بعض ما استطعتُ أن أنقله إلى هـذا الكتاب ؛ على أنني لن أَدَعَـهُ حتى أُطلعه على ما وجـدته مكتـوباً على الغـلاف الداخلي من الكتاب ، ويبدو أنه بقلم مالكه ، أو أحد مستعيريه ، الذي أبدى رأيه في هذا الكتاب بعد أن انتهى من قراءته ، فكتب في «السجـل الذهبي» لهذا الكتاب ـ بفصحى مشوبة بالعامية ـ ما يلي :

« فـائـدة للكســل »

هذا الكتاب يُقـرأ عند النوم وعند الصباح ، ويكون البخـور فول مدمَّس ، ويكون مـوضوع في إناء من ذهب ، مثـل صينية قلل أو حلة ، ويـؤكل الفول قضا ، وينام بعد ذلـك ، يرى في منامه ما لا يراه العاشقـون ، ويلتفُّ ببطانية خضراء ، ويـوضع على وجهـه هـذا الكتـاب . وفي الصبـاح يقـرأ الكتـاب ، ويأكل الفول قضـا كما قلنا سـابقاً ، وينام إلى الظهـر ، ويتغدى فـول سوداني بقشره ، ولا يرى منه شيء ، ويكون وجهه إلى الحائط ، ويكون في محل لا يسع إلا هو والعالم كله التي موجـود على الكرة الأرضية . وهذا كله يجلب الكسل . مجرَّبة ، وعلى الله الاتكال ! !

● ثم نمضي إلى كـاتب مغربي عـاش في أواخر العصر العثماني ، يعـرف بـ «عبد الصمـد كنون» ، فنفتح «جرابـه» لنطلع من خلاله على أشتـات العلوم والآداب . . ويفصح في مقدمته عن شوقه لتأليف كتاب في مثل هذا الموضوع فيقول : «طـالما تشوقت النفس لجمع مـا كان عندي في كُنـاش الطلب ، وما هو مستطـربه أيام الأخـذ عن الشيوخ من فوائد العلم والأدب ، ومـا حصلتُه

من مسائل متفرقة في فنون شتى، يعسرُ الوقوف عليها، ولا تُدرك بإلى وحتى. فرأيتُ كتاب «الكشكول» الحاوي لفوائد من علمي المنقول والمعقول، الذي اعتنى بتأليفه وجمعه وتصنيفه وصنعه العالم المحقق بهاء الدين العاملي، فألفيته طبق المراد، وممثلاً لما استقرَّ في الفؤاد، مما وقع عليه التصميم سابقاً، وتعلقت الرغبةُ بإبرازه إلى الوجود لاحقاً؛ فقويَ عزمي حينئذ على جمع ما كتبتُه، وما حرصتُ عليه وقيدتُه، على اختلاف أنواعه وتباين أوضاعه، من تحريرات فقهية، وفوائد حديثية، ونكت عربية، ومسائل كلامية، ونقول تاريخية، ولطائف أدبية، ومختارات شعرية، إلى غير ذلك مما يأخذ بالألباب، وقلما يُعثر عليه مجموعاً في كتاب، وسميته: «**الجراب الجامع لأشتات العلوم والآداب**».

● وعثرت على قطعة من كتاب «**جمع الجواهر في المُلح والنوادر**» للحُصري. وهو أديب نقَّادة معروف، من أهل القيروان. وله شعر فيه رقَّة. وهو ابن خالة الشاعر أبي الحسن الحصري ناظم «ياليل الصب».

وكتابه الذي نحن بصدده مختارات أدبية، ومُلح وطرائف تاريخية واجتماعية وشعبية، استطاع مؤلفه أن ينظمها في سماط جميل.. يقول في خاتمته بعد أن قدمها رائقة، على مائدة شهية: «... وجعلتُه كالمسامر الذكي، والمنادر اللوذعي، الذي إذا هزل عزف، وإذا جدَّ رمز، فأمضي بك في العجائب المضحكة، والغرائب المونقة. ثم أَصِلها ولا أَفصلها، من تعلُّقٍ بأخبار ظريفة، وأشعار شريفة. وقد خفت أن أكلفك نَصَباً، وأحملك تعباً، فقطعتُ إذِ الزيادةُ في الحدود نقصان في المحدود. وربَّ ربحٍ أدى إلى خسران، وزيادة أفضت إلى نقصان. فنعوذ بالله ونستغفره مما جرى به اللسان..».

● ثم نعرض مقتطفات من كتاب « **الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة** » لابن سماك الغرناطي ، من القرن الثامن الهجري . وقد قصد المؤلف من مجموع هذه الأخبار والطرائف والمواعظ ، تقديم مادة لتثقيف المتأدبين من الأمراء وأبناء السلاطين . . يقول : « . . فجمعتُ في هذا المرسوم من نكت أخبارهم الغريبة ، ونوادرهم العجيبة ، وتوقيعاتهم المختصرة القريبة ، ما ربما يُستحسنُ مسموعُه ، ويندر في كل كتاب وقوعه . أضفتُ كل شكل منها إلى شكله ، وضممتُ الفرع إلى أصله ، ضمَّنتُه منها كل حكاية لطيفة ، وحَلَّيتُه بكل طريفة ، فاجتمع منها زهرات يانعة ، لفنون الأخبار جامعة . . » .

● ونلتقي مرة أخرى بابن ظفر الصقلي ليقدم لنا كتاباً آخر من كتبه النادرة ، وهو «**سلوان المطاع في عدوان الأتباع**» ، الذي يعد من كتب علم الاجتماع السياسي . ففيه سردُ الحكايات ، وإيراد الحِكَم والوصايا والإرشادات مما يناسب سياسة الملوك ، وينتفع به القادة والرؤساء . وقد ألفه ابن ظفر سنة (٥٥٤ هـ) للقائد الصقلي أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم علي القرشي . وفيه خمس سلوانات طويلة .

ولهذا الكاتب كتب أخرى غريبة ، منها : «معاقبة الجريء على معاقبة البريء» ، و «ملح اللغة : فيما اتفق لفظه واختلف معناه» ، و «الإشارة إلى علم العبارة» .

● ولا بد من المرور بـ «مكتبة» الجلال السيوطي . . الذي لم يدع علماً إلا وكتب فيه . . وماذا عسى أن يكون نصيبنا منه في هذا الكتاب ؟

لقد لفت نظره سلوك اجتماعي خطير في المجتمع . . تشترك فيه فئات كثيرة من المجتمع .

إنـه «الذوق» !

الذوق بنافريه : السليم واللئيم . . يعني قلة الذوق وتوفره . .

بين العاقل والأحمق . . من المسؤولين، وعند عامة الشعب !

حتى الشحاذون يوجد بينهم صاحب ذوق وعديمه !

فصاحب الـذوق : قليل السؤال، كثير الاحتمال، يرضى بـالقوت، حتى لا يصير ممقوت . . عفيف النفس نظيف، لا يسأل الناس أكثر من رغيف !

وقليل الذوق فيهم : ثقيل الدم لحوح . . يحلف أنه ما فطر . . ويقول إنه بـات بلا عَشـاء . . يسأل وعنـده ما يكفيـه ويـزيد، فكـأنه من نـار جهنم يستزيد . . ما تكفيه كافية، فلا شفاه الله بعافية !

. . وعلى هذا يعمـد إلى تأليف مقامـة طويلـة بعنوان : **«صاحبُ الذوق السليم ومسلوبُ الذوق اللئيم»** . . يخلط فيها العامية بالفصحى .

وقـد صدرت هـذه المقـامة مستقلـة، ولم تـرد بين مقامـاتـه التي سبق أن صدرت في مجلدين .

● ثم نلتقي بطبيـب عصري متخصص، فيجمع الطـرائف القـديمـة والحديثـة ممـا يخص الطب والأطبـاء والمرضى والمستشفيـات، ويسميـه : **«طرائف الأطباء»** . ويوزع طـرائفه هـذه على الأطباء المتخصصين، . فهنـاك طرائف مع أطباء المفـاصل والعظام، وأخرى مع طبيبات الأمـراض النسائية والتوليد، ثم مع أطباء العيون، فأطبـاء الأسنان، ثم أطباء الأطفال، فأطباء الأذن، ثم الجرَّاحين، وطرائف أخرى مع طلبة الطب، والمراجعين . . !

● ولا تتعجب إذا فـاجأك العالم المتبحِّـر ابن قيم الجوزية بكتـاب عنوانـه **«الفراسة»**، على أن موضوعه الفقه الإسلامي ! !

نعم ! إنه كتاب متخصص في الدعاوى القضائية والأدلة الجنائية ، وهو باب فريد ، لم أر من خصَّه بمؤلَّف مستقل سوى هذا الإمام الجليل .

وكان سبب إقدامه على تأليف هذا الكتاب ، هو أنه عندما سُئل عن الحاكم أو الوالي يحكم بالفراسة والقرائن التي يظهر له فيها الحق والاستدلال بالأمارات ، ولا يقف على مجرد ظواهر البينات والأحوال . . فهل ذلك صواب أم خطأ ؟

قال : فهذه مسألة كبيرة عظيمة النفع ، جليلة القدر، إن أهملها الحاكم أو الوالي أضاع حقًّا كثيراً وأقام باطلاً كبيراً ، وإن توسَّع وجعل معوله عليها دون الأوضاع الشرعية وقع في أنواع الظلم والفساد .

وإني إذ ألفت النظر إلى أهمية هذا الكتاب للقضاة والمتخصصين ، فإنني أذكر أن ما أوردته هنا ، إنما هو أحداث ووقائع وقعت مع بعض القضاة ، مما يناسب الكتاب .

● ويأتي اللبابيدي الدمشقي ، فيصنف كتاباً غريباً في «**لطائف اللغة**» . . ويقول إنه ذكر مفردات لطيفة المعاني دقيقة المباني ، يظهر فضلها وحلاوتها في التراكيب عند وضعها في المناسبات وأكمل المسانيد . . لكونها ألفاظاً منسوجة على منوال عجيب ، وآثاراً أُسديت لُحمتها في صنع بديع غريب .

فستعرف ـ مثلاً ـ أن للعين عيوباً كثيرة ، ولكل عيب من هذه العيوب اسم في اللغة العربية . فإذا كانت ضيقة عُرفت باسم معين ، فإن كانت غائرة مع الضيق كان لها اسم آخر ، وإذا انقلب الجفن ، أو استرخى ، أو نظر بمؤخر عينه ، أو صار كأنه ينظر إلى أنفه . . الخ . كل هذه لها أسماء معينة .

● ثم إن لنا جولةً أخرى في هذا الكتاب مع الثعالبي، الذي كان يخيط جلود الثعالب فنُسب إلى صناعته، ثم اشتغل بالأدب والتاريخ فنبغ، وصنف الكتب الكثيرة الممتعة.

نلتقي في هذه المرة مع كتابه «**لطائف المعارف**»، الذي جمع فيه معلومات طريفة، يصعب على متخصص جمعها إلا بالنظر في كتب متفرقة.

فهو يذكر لنا من الموافقات - مثلاً - أن أعرق الأكاسرة في الملك - وهو شيرويه - قتل أباه أبرويز، واستولى على ملكه، فلم يعش بعده إلا ستة أشهر!

وأعرق الخلفاء في الخلافة المنتصر، قتل أباه المتوكل، واستولى على الخلافة، فلم يعش بعده إلا ستة أشهر!!

ثم يذكر أعرق الأشراف في العمى، وأعرق الناس في القتل، وأعرقهم في الغدر، وأعرقهم في الشِّعر.

وهو يضع أيدينا على أمر عجيب! عندما يذكر أن بغداد - العاصمة الكبرى للخلفاء - لم يمت بها خليفة!!

● ويختار العالم المؤرخ ابن طولون الصالحي أحداثاً معينة من التاريخ، تتميَّز بالغرابة، وعدم التكرار غالباً. أو أن فيها عبرة وعظة بالغة، وكان لها أثر كبير وصدىً واسع في ذلك الوقت، لتميُّزها، ولما صاحبها من عجائب! ويسمي كتابه هذا: «**اللمعات البرقية في النكت التاريخية**».

والنكتة: هي الفكرة اللطيفة المؤثرة في النفس.

وأحمد الله تعالى الذي وفقني لتحقيق هذا الكتاب النفيس، بعد الاطلاع عليه وعرض فقرات منه في هذا الكتاب.

● وإذا كانت كتب «الأوائل» غريبة في بابها أصلاً، فقد كان لا بد من اختيار فقرات فريدة منها، غير ما هو معروف ومتداول بين المثقفين. وقد اخترنا من بينها كتاب: «**محاسن الوسائل في معرفة الأوائل**» لفقيه، محدِّث، عالم، كثير الطواف، محب للأسفار. وكان من نبهاء الطلبة وفضلاء الشباب. إنه محمد بن عبد الله الشبلي الدمشقي المتوفى سنة ٧٦٩هـ.

وقد عدَّ المؤلف علم «الأوائل» أحد العلوم الإسلامية المهمة؛ لأنه يضطر صاحبه إلى متابعة الموضوعات، ومعرفة أوائل الأشياء. ولا شك في أن متتبع هذا العلم يلقى عناء كبيراً.

قال في مقدمته: وكنتُ ممن حُبِّب إليه مطالعةُ المصنفات، ومراجعة المجاميع والمؤلفات، من المختصرات والمطولات، في السنن والآثار، والآداب والأشعار والأمثال، والقصص المشهورة، والمواعظ والحكم المأثورة، وما هو داخل في مسمى العلوم من اللآلئ المنظومة والجواهر المنثورة، على اختلاف أنواعها، وائتلاف أوضاعها. وكان ذلك من صغري صناعتي، وتحصيل الكتب بضاعتي.

● ويطلع علينا قاض وأديب مصري حديث بكتاب جمع مواده في خمس عشرة سنة، عندما كان قاضياً بدمياط. وإذا كان عنوانه لا يوحي بأنه نادر: «**من أخلاق العلماء**»، فإن محتواه - في معظمه - جليل ونادر، حيث يرصد «تصرفات» العلماء الأعلام.. هذه النخبة القيادية المربية الرائدة، التي تعرف ماذا تقول حين تتكلم، وماذا تقصد عندما تتصرف وتعمل.

والكاتب يركز على ما فيه درس وعبرة، مما يكون فيه أثر على الأجيال المسلمة، وبخاصة التي تهتم بالعلم وشؤون القضاء والدولة!

وقد مات مؤلفه «محمد سليمان عنَّارة» بعد صدور كتابه هذا بسنتين : ١٣٥٥هـ[1].

● أما أحمد سعيد الجيلاني، الذي كان موظفاً في الدائرة السنية بمصر، فقد صدر له كتاب منذ قرن كامل (١٣١٤هـ) سماه : «نديم الأديب» . . قسمه إلى عشرة أقسام، كل قسم عشر حكايات، وكل حكاية في موضوع . . ثم أبى إلا أن يذكر هذه الموضوعات العشرة في ثلاثة أبيات، ليثبت أنه شاعر ـ وقد كان شاعراً، وله ديوان ـ فقال :

(١) مواعظ (٢) آداب (٣) وتاريخ (٤) حكمة	(٥) فكاهات إن تُتلى تروق لدى السمع
(٦) تراجم قوم حيث يبدو حديثهم	تجدْ صنعَ هذا الدهر من أعجب الصنع
(٧) غرام ويتلوه (٨) تراجم نسوة	(٩) عوائد (١٠) أشياء منوَّعةُ الوضع

---

(١) وقد ملكتني حيرة وأنا أقرأ لهذا الكاتب، من حب للعلم والعلماء، والتفاني في مديحهم والثناء على أفعالهم ـ وهو إلى جانب علمه أحد أبناء علماء الأزهر، وكان يلبس لباس العلماء ـ ثم ما قاله عن السلطان الأيوبي صلاح الدين، البطل المجاهد، الذي خلص القدس من البراثن الصليبية الحاقدة . . حيث عاتبه، بل جاهر في هجائه؛ لأنه قضى على «الحضارة الفاطمية» !! يقول في كتابه هذا ص ٢٣٥ : «الشاعر عمارة اليمني سجل مرثيته المؤثرة البليغة في المفاخر الفاطمية، وقد كتبها بدمه الذي أهدره السلطان صلاح الدين فيما أهدره من دماء الأوفياء لتلك الدولة التي وفت للحضارة أعظم الوفاء، والقصيدة مشهورة، ومطلعها :

رميتَ يا دهرُ كفَّ المجد بالشلل ... وجيدَه بعد حُسنِ الحلي بالعطل

وإني أَكِلُ حساب السلطان صلاح الدين إلى رب السماء. فقد مرَّ بي زمن وأنا أوازن بين حسنات ذلك السلطان في حروبه الصليبية، وبين سيئاته في تخريب المملكة الفاطمية. وهممت أن أتفرَّد للحكم وكتابة أسبابه، لولا أن الزمن مضى وانقضى، ولا حاجة بنا إلى نبش القبور» !!
هذا ما قاله ذلك الكاتب في صلاح الدين الذي هدم الخلافة الفاطمية وأعاد الخلافة السُّنِّية !
لقد قلتُ في أكثر من كتاب صدر لي . . إن العلم الحقيقي هو الذي يقود إلى تقوى الله ويؤدي إلى خشيته . . فلا يهولنَّك علم عالم، ولا يغرنَّك تبحُّره في العلم، وحفظه لقواعد ومتون، ما لم ترَ في فعله الإخلاص، وفي نشاطه الخير والبركة. ولا تعجب ـ إذًا ـ من فسق عالم وجرأته على المعصية، وخيانته للأمانة . . ويغفر الله لمن اجتهد ـ بإخلاص ـ فأخطأ.

ويأتي بعد عرض هذه الكتب مختارات من نوادر متفرقة من الكتب والدوريات، ومعظمها من صحف ومجلات سيارة، كنتُ قد اهتممتُ بجمعها، في فترة زمنية محددة . . ثم انتهيت. فاخترتُ من بينها ما يناسب منهج الكتاب، وما يدل على الطرافة أو الإبداع، من الأمور الغريبة النادرة ـ وفي كثير منها عِبَر ـ، وما يدلُّ على عجائب قدرة الله عزَّ وجل في هذا الكون. وقد حلَّيتُها ببعض الصور المناسبة، وتركتُ النافر الشاذ.

وستعرف من خلال هذه المختارات ـ عزيزي القارئ ـ أن هناك بغلاً ـ أكرمك الله ـ قد مُنح درجة دكتوراه فخرية من جامعة عريقة، بتوقيع أكبر المسؤولين فيها، وبشكل جاد لا مزاح فيه !!

بينما كاتب هذه السطور حصل على درجة الماجستير منذ عام ١٤٠٥هـ بدرجة تؤهله للقبول في الدكتوراه في جميع الجامعات . . ولكنه حاول في جامعات عربية وإسلامية لتحصيلها مدة سبع سنوات، فلم يفلح !

ويتوقع ــ بعد موازنة وترجيح ــ أن أُولى خطط الدكتوراه التي قدمها قد بيعت ! كما أن خطة أخرى له قد سُرقت. ولديه خطاب رسمي من الجامعة بهذه الإفادة، من رئيس القسم !

وخطة ثالثة له، مع جميع الأوراق اللازمة لذلك، ورسالة الماجستير «الضخمة»، كلها قد ضاعت، بعد وصولها إلى القسم المخصص. ووصله أيضاً خطاب بهذا الشأن !!

وعندما حَصَّل أحد زملائه في الدراسة درجة الدكتوراه، وتعيَّن في إدارة الكلية التي تخرَّجا منها، ومن ثم أصبح وكيلاً للدراسات العليا والبحث العلمي فيها، كان فرحه غامراً؛ لأنه كان صديقاً طيباً ومحباً، ويعرف قصة كفاحه من أجل هذه الدكتوراه.

لكن المسكين اصطدم بـ «لا مبالاة» غريبة، وعدم اهتمام، بل عدم الرد على طلبه أصلاً! ومن ثم عدم الاعتذار، بل حتى كلمة طيبة!!

وتمنى أن يكون محتفظاً بذكرياته الطيبة معه، ولم يتقدم إليه بشيء.

وقد تكوَّن لدى صاحب هذه السطور ملف ضخم في مدة هذه السنوات، يصلح أن يكون كتاباً «أظرف» من هذا الذي بين يديك، يحكي قصة أليمة.. هي عن مأساة التعليم في بلادنا العربية والإسلامية، وما هو عليه حاله الذي لا يحسده عليه أحد.. بل يُبكىٰ عليه بالدم بدل الدمع!

وأظنك تعرف ـ عزيزي القارئ ـ مناسبة ما ذكرته سابقاً.. ولك أن توازن بين المناسبة وما جرَّته من شجون.

ومعذرة إن مال بك خطُّ الكتاب إلى ما لا يؤنسك.

* * *

ويأتي هذا الكتاب بعد كتابين آخرين لي في هذا المجال، هما: «**جولة بين كتب غريبة**»، و«**كتب نادرة من التراث الإسلامي**».

أرجو أن تكون هذه السلسلة من الأدب الإسلامي الممتع الهادف، وأدعو الله الكريم أن ينفع بها نفوساً، ويفرح بها قلوباً، ويجعلها من قبيل إدخال السرور على المؤمن، ولا يحرمني الأجر. إنه سميع مجيب.

محمد خير يوسف

٢٢/٨/١٤١٤هـ

أخبار سيبويه المصري (*)
لابن زولاق

ليس هذا بسيبويه النحوي المشهور ! بل هو أحد «عقلاء المجانين»، الذي لولا المؤرخ المصري «ابن زولاق» لضاعت أخباره. وقد استدرك هذا المؤرخ على مجموعة من الكُتَّاب بأنهم ألَّفوا، أو رووا أخبار «عقلاء المجانين»؛ لأنهم كانوا بالعراق، لكنهم لم يرووا شيئاً من أخبار «سيبويه المصْري» الذي لا يقل عن هؤلاء «العقلاء» أو «المجانين» أهمية ! بل استفاضت أخباره مع الأمراء والوزراء والعلماء في مصر في القرن الرابع الهجري !

وهو محمد بن موسى بن عبد العزيز الكندي الصيرفي، المعروف بسيبويه. وكنيته أبو بكر.

وُلِدَ بمصر سنة ٢٨٤هـ، وتوفي بها سنة ٣٥٨هـ قبل دخول القائد جوهر إلى مصر بستة أشهر. وتأسف إذ لم يره لمَّا ذُكرت له أخباره.

وكان أبوه شيخاً صيرفياً يكنى أبا عمران.

(*) أخبار سيبويه المصري : وهو غير سيبويه النحوي، تأليف الحسن بن زولاق؛ قام بنقله ونشره وكتابة تراجمه محمد إبراهيم أسعد، حسين الديب ـ القاهرة : مكتبة الآداب، ١٣٥٢هـ، ٨٨ ص.

والمؤلف مؤرخ مصري، ولي المظالم في أيام الفاطميين بمصر، وكان يُظهر التشيع لهم. ت ٣٨٧هـ.

والكتاب فيه أخطاء كثيرة . . حيث اعتمد فيه المحققان على نسخة قديمة، رجح الكاتب المعروف محمد عبد الله عنان أن تكون بخط مؤلفه ابن زولاق.

والمحقق الأول كان مدرساً بالمدارس الابتدائية، والآخر ضابط بوليس !! وقد وقعا في أخطاء مضحكة أثناء تحقيقهما الكتاب . . ولم أشر إليها لئلا تكون شماتة . . وقد أفضيا إلى ربهما.

وقد ذكر ابن زولاق أن سيبويه هذا كان يحفظ القرآن الكريم، ويعلم كثيراً من معانيه وقراءاته وغريبه وإعرابه وأحكامه. وكان عالماً بالحديث وبغريبه ومعانيه وبالرواة. ويعرف من النحو وغرائب اللغة ما كان سبباً في أن يلقب بـ «سيبويه». وكان عارفاً بالتاريخ والنوادر والأشعار. وكان شافعي المذهب، وزاهداً حافظاً لأقوال الزهد، لكنه كان معتزلياً متعصباً!

وقد كتب ابن زولاق عن حياته؛ لأنه كان صديقاً له، ومصاحباً إياه في كثير من الأحيان.

أما عن سبب ما أصاب عقله، فذكر أن أكثر الناس يقولون إنه شرب حَبَّ البلاذر[1]. وقيل إنه أصيب بالسوداء[2].

ولم يكن اختلاط عقله قبيحاً، فلم يكن يستعمل الألفاظ النابية، إنما كان انتهاراً وسجعاً يولِّده، فيه قسوة وجرح. وكان المسؤولون يخافون من تجريحه خشية أن تنتشر ألفاظه «السجعية» بين الناس!

قال المؤلف: سمعتُ من يُخبر عن سيبويه أن زوجته قالت: إنما كان يهيج إذا لم يأكل اللحم، وإلا فإذا أكل شيئاً دسماً سَكَنَ، وقلَّ كلامُه، وإذا لم يكن له من يهيِّجه لم يخرج علمه!

وقال: إنما كان يظهر جوهر سيبويه ويحسن سَجْعُه إذا حمي وكثر صياحه!

قال: وكان يقابل منزله رجل يكني أبا عبد الله، وكان سيبويه يخاطبه من النافذة ويصيح، ويقف الناس يسمعون الكلام ويكتبون! ولو كان أبو عبد الله يكتب ويحفظ ما يخاطبه به، لحصل له علم عظيم!!

---

(١) كان يزعم بعضهم أن هذا الحَب يساعد على حدة الذكاء، لكن تبيَّن أن تناوله يسبب الجنون!

(٢) وهو داء يصيب الإنسان.. فيه صفرة في اللون، وخضرة في الظفر.

● وكـانت له جـاريـة تخدمه اسمهـا «مختـارة» . فجلس في منزلـه يأكل ، فجاءت فراريخ للجارية ، فلقطت مما بين يديه ، وجاءت حمامات ، فلقطت مما بين يـديه ، وجاءت سنـانير تموء من حوله ، فصـاح سيبويه : يـا مختارة ، نحي فـراريخك النقَّارة ، وحمامـاتك الطيَّـارة ، وقططك الهرَّارة ، يـا غيَّـارة يـا دوَّارة !

● وكان يطـوف على حماره يوم الجمعة ــ وكان أعـرج ـ فرأى أنـه قد فُسح مكـان واسع لـلإخشيد لينـزل إلى صـلاة الجمعـة ، وقد اجتمع لـه النـاس ، والزحمة في كل مكـان ، فصاح سيبويه : مـا هذهْ الأشباح الـواقفة ، والتماثيل العاكفة ، سلِّط عليهم قاصفة ، يـوم ترجف الراجفة ، تتبعها الرادفـة ، وتغلي قلوبهم واجفة . فقـال له رجل : هو الإخشيد ينزل إلى الصـلاة . فقال : هذا للأصلع البطين ؟ المسمن البـدين ؟ قطع الله منه الـوتين ، ولا سلك به ذات اليمين ، أمـا كان يكفيـه صاحب ولا صاحبان ، ولا حـاجب ولا حاجبان ، ولا تابع ولا تـابعان ؟ لا قبل الله لـه صلاة ، ولا قرَّب لـه زكاة ، وعُمِّـر بجثته الفلاة !

● وكـان ســائراً على حماره حتى لقي المحتسب ــ مـراقب في الأسـواق ـ والحَرَس بين يـديه ، فقـال : ما هـذه الأحراس يـا أنجاس ؟ والله مـا ثَمَّ حقٌّ أقمتموه ، ولا سعـر أصلحتموه ، ولا جانٍ أدبتمـوه ، ولا ذو حسب وقَّرتموه ، ومـا هي إلا أجراسٌ تُسمع ، لبـاطل تُوضع ، وأقفـاء تُصفع . . لا حفظ الله من جعلك محتسباً ، ولا رحم لك ولا له أمـاً ولا أباً ، وسلَّط عليك وعليه من يوجعكما أدباً .

● قال سيبويه المصري : مدحَ الناسُ المتنبي لأنه القائل :

ومن نكـد الـدنيا على الحر أن يـرى   عـدواً لــه مـا مـن صـداقتـه بـدُّ

●قال : وهذا كلام فاسد؛ لأن الصداقة ضدُّ العداوة، والصداقة مأخوذة من الصدق، ولو أنه قال :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدواً له ما من مداراته بدُّ

لكان أحسن وأجود.

●كان بمصر رجل من التجار يُعرف بأبي نعيم الجرجاني، وكان يسكن في زقاق «عفان» فركب إليه فاتك الإخشيدي ـ المعروف بالمجنون ـ في موكب. وانصرف وبين يديه حُجَّابه، وبين يديه رِجَّالته، وخلفه أخوه مبشر، وكاتبه ابن العزمزم وجماعة، فرآه سيبويه فصاح : طرقٌ متضايقة متطابقة، وخيل متسابقة، عليها عمالقة، فأرسل الله عليهم صاعقة.

● ومرَّ بأحد الأزقة ـ ويبدو أنه لم يكن يحب أهله ـ فرأى البنَّائين فيه فقال : ما هذا؟ لا عمَّر الله لهم داراً، ولا ثبت لهم قراراً، وأشعلها ناراً، ولا أطول لهم أعماراً، وحفَّها بالدمار والعار والنار وسوء الجوار!

● قال المؤلف : ولقيني سيبويه يوماً عند دار الشمشاطي عند العشاء، فقال لي : إلى أين؟ فقلت : أريد الجامع، فقال : أريد حمارك هذا أركبه إلى منزلي. فنزلت فركبه، وجلست في المسجد حتى عاد الحمار!

● ولما مات كافور، وبويع لأحمد بن علي بن الإخشيد، قيل لسيبويه في اليوم الذي جلس أحمد بن علي بذلك ـ وهو طفل ابن إحدى عشرة سنة ـ فقال : أما هذا من العجائب، ومن عظام المصائب، أن يقعد في أعلى المراتب، ويُؤهَّل للنوائب، صبيٌّ غير بالغ ولا آيب، ولا قارئ ولا كاتب،

ولا حـامل سيف ولا ضـارب، لـو سُمع ضراطـه في القصريـة لظن أبـا ديـادب [1]. لقـد خسَّ هذا الأمـر وهان، حتى تـلاعب به النسـوان، ونُدب له الصبيان، فالله على كل حال المستعان.

● ورأى سيبويه جعفـر بن الفضل بن الفرات بعد موت كـافور وقد ركب في موكب عظيم فقـال : ما بال أبي الفضل قـد جمع كُتَّابه، ولفَّق أصحـابه، وحشد بين يـديه حُجَّابـه، وشمر أنفه، وسـاق العساكر خلفـه ؟! أَبَلَغَهُ أن الإسلام طُرِقَ فخرج ينصره ؟ أو أن ركن الكعبة سُرق فخرج لهذا الأمر يُنكره ؟

فقال له رجل : هو اليوم صاحب الأمر، ومدبر الدولة.

فقـال : يا عجبـاه ! أليس بالأمـس نهب الأتراك داره، ودكـدكوا قـراره، وأظهـروا عـواره، حتى أصبـح عنهم مستتراً، ومنهم متحجـراً، وهم إذ ذاك يـدعـونه وزيـراً، صيَّروه اليـوم عليهم أميرا ؟! وا عجبي فيهم ! كيف رضـوه ونصبوه ؟ بل عجبي منه كيف تولى أمرهم، وأمن غدرهم ؟!

● وجاء سيبويه يوماً إلى أبي جعفر مسلم الحسيني، فرحب به أبو جعفر، فقـال سيبويـه : جئتُ يـا أيها الشريف في حـاجة. أريـد قُبَّةً على بغلٍ نقلٍ يحمل جميع آلـة السفر، مـن وطاء وعطـاء . . فإني خـارج في غدٍ إلى مسجـد موسى أصلي فيه وأدعو.

فقال لـه أبو جعفـر : السمع والطاعـة . . عندمـا تفتح بـاب دارك غداً ستجد جميع ما طلبت أمام الباب.

ثم دعا بالفرَّاشين، فأخذوا فيها يحتاجون إليه.

---

(١) الديدب : حمار الوحش.

فقال سيبويه لأبي جعفر : والله أيها الشريف ما أخرج إلا للصلاة والدعاء للمسلمين أن يريحهم الله من هذا الأسود الخصي ـ يعني كافور الإخشيدي ـ، فقد كدَّر الحياة، وأعاب الولاة، وأفسد الصلاة، وما الله عنه بساه.

ثم قام منصرفاً، وبقي أبو جعفر مطرقاً مفكراً. ثم قال في مجلسه : ألا ترون أي بلية أنا فيها ؟ فإن أرسلت إليه بها طلب خفت من كافور، وإن لم أرسل إليه وقعت في لسانه وفي سبِّه.

ويمرُّ تاجر ـ يعرف بابن البحتري ـ بأبي جعفر، فيجلس عنده، فيراه مشغول القلب، قلقاً ! فسأله عمَّا به، فقصَّ عليه الخبر.

فقال له التاجر : أنا عندي حيلة للتخلُّص من هذه البلية، بل سأدعه يأتي إليك ويطلب منك ألا ترسل إليه شيئاً ! شرط أن تعطيني خمسمائة دينار.

فقال أبو جعفر : والله لا أملك في خزانتي سوى مائتين، وهي لك.

وخرج التاجر يطلب سيبويه، فوجده في مسجد ابن عمروس. فجلس إليه، وبقي ساكناً يتنفس. فقال له سيبويه : ما لك ؟ قال : خيراً.

ثم عاد يتنفس، فقال له : ما لك ؟ مات لك ولد ؟ أو تفرَّق لك عدد ؟ أم أُصبت في مالك، أو في عقلك.

فقال : أسألك الدعاء على «سلامةَ الشَّرابي»، فإنه أخذ مالي، وهتكني، وأفقرني ـ وكان سلامة منصفاً في المعاملة ـ.

فقال له سيبويه : كفاك الله وأحسن إليك وخلصك.

فقال له التاجر : دعوتُ عليه في كل مسجد ولكن لم يُصبه شيء ! فقيل لي : إن مسجد موسى يُستجاب فيه الدعاء.

فقال له سيبويه : حقًّا كذا قيل لي .

قال التاجر : لكنني بعد أن استعرت دابةً لأركبها وأذهب إلى ذلك المسجد خوَّفوني !

قال سيبويه : من أي شيء خُوِّفت ؟!

قال : في الطريق قومٌ من بني هلال يقطعون على الناس الطريق ، ويأخذون كل شيء منهم ، ويضربونهم ! وقد عملوا هذا مع جماعة !

فقال له سيبويه : أسألك بالله يا ابن البحتري أن تبلِّغ أبا جعفر بأن لا حاجة لي فيما سألته .

قال التاجر : وأي شيء سألته ؟

قال : طلبت منه تأمين حاجة معينة !

قال التاجر : والله أخشى أن لا يقبل مني ولا يسمع كلامي ، ولكن ما رأيك أن تقوم أنت إليه وتطلب منه ذلك ؟

فقام سيبويه ، وذهب إلى أبي جعفر ، وقال له : أرجو أن تؤخر ما سألتك أيدك الله حتى أرى رأيي .

فقال له أبو جعفر : ولكن قد فرغنا مما طلبت !

قال سيبويه : جُزيت خيراً ، وكُفيت شراً ، ولا عَدَمَك أولياؤك .

وانصرف . وشكر أبو جعفر فعلَ التاجر !!

أدب الجـــن (*)

لمحمد عبد الرحيم

يعتقد البعض أن ليس للجن أي شعر، وإنما هو من واقع الخيال تَمَثَّل على لســان الشعراء فقـط. وهذا يـدحضـه أئمة كبـار، أمثـال: ابن كثير، وابن الجوزي، والشبلي، وابن قيم الجوزيـة، وغيرهــم. وقــد ثبَّت العلماء قصص الجن وأشعارهـم في كتبهم.

وقد طـالعتنا في الآونة الأخيرة كتب بعض الأدبـاء والمؤلفين تحمل عناوين تشكك في وجود الجن! ولكنهم حقيقة وليسوا خيالاً.

لهذه الدوافع وغيرها، بدأت بجمع موضــوعات الكتاب من بطون أمهات الكتب، مستفيداً من خبرتي العملية في هذا المجال.

وقد قسمت الكتاب إلى ستة فصول:

- الجن في القرآن الكريم.
- الجن في الحديث النبوي الشريـف.

(*) أدب الجن: أشعـارهــم وأخبـارهم / محمــد عبـد الــرحيم. دمشق: دار الكتــاب العـربي، ١٤١١هـ، ١٧٣ ص.

والكاتب معـاصر، صدر له: شرح ديوان امرئ القيس، شرح ديوان حاتـم الطـائي، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، الحجاج بن يـوسف وقصصه مع الخلفـاء والأمراء والعلماء والنساء والعـامة، الأوائل من الجامع لأحكام القـرآن ـ تفسير القـرطبي، قصص وأخبار من رأى سيـد الأبرار ﷺ في المنـام، ٧٣ فـائدة في ذكـر الله عـز وجل، المصلـوبـون في التـاريخ، أنت تسأل والإسـلام يجيب للشعراوي (إعداد)، أسئلـة وأجوبة: اختبر معلومـاتك، أخبار الظراف والمتماجنين لابن الجوزي (تحقيق).

ـ الجن في العصر الجاهلي : ضم قصص الجن وأشعارهم وما جرى معهم في العصر الجاهلي .

ـ الجن في صدر الإسلام : وهو كسابقه فيه قصص الجن وأشعارهم في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم .

ـ الجن في العصر الأموي .

ـ الجن في العصر العباسي .

● يقال للشعراء كلاب الجن . قال عمرو بن كلثوم :

وقد هرَّت كلابُ الجن منا وسَدَّيْنا قتادة مَنْ يلينا

وذلك لزعمهم أن الجن تلقي الشعر على أفواههم . وسمّوا الملقي : تابعه . قال جرير :

إني ليُلقي عليَّ الشعر مكتهل من الشياطين إبليس الأباليس !

وسمَّوا توابعهم بأعلام :

فشيطان الأعشى اسمه : مسحل بن أثاثة . ولعمرو بن قطن : جهنام، ولبشار بن برد : شنقناق، وللنابغة الذبياني : هاذر بن ماذر، ولامرئ القيس : لافظ بن لاحظ، ولعبيد بن الأبرص : هبيد بن الصلادم، وللكميت : مدرك بن واغم، وللبشير بن أبي خازم : هبيد، ولزهير بن أبي سلمى : زهير.

● حدث نعمان بن سهل الحراني قال : بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً إلى البادية، فرأى ظبية مصرورة ، (1) فطاردها حتى أخذها، فإذا رجل من الجن يقول :

---

(1) من الصر، وهو البرد الشديد .

يا صاحب الكنانة المكسوره   خلِّ سبيل الظَّبْية المصروره
فإنها لصِبْيَة مضروره   غاب أبوهم غيبة مذكوره

في كورة لا بُوركت من كوره[1]

قال القاضي يحيى بن أكثم : دخلت على هارون الرشيد وهو مطرق مفكر، فقال لي الرشيد : أتعرف قائل هذا البيت :

الخيرُ أبقى وإن طال الزَّمان به   والشَّرُّ أخبثُ ما أُوعيتَ من زاد

يحيى : يا أمير المؤمنين، إن لهذا البيت شأناً مع عبيد بن الأبرص [2]!

الرشيد : حدثني عنه.

يحيى : يا أمير المؤمنين، حدّث عبيد قال : كنت في بعض السنين حَاجاً، فلما توسطت البادية في يوم شديد الحر، سمعت ضجَّة عظيمة في القافلة ألحقتْ أولها بآخرها، فسألت عن القصة.

فقال رجل من القوم : تقدَّم تَرَ ما بالناس.

فتقدم عبيد إلى أول القافلة، فإذا بشجاع [3]أسود فاغِرٍ فَاه كالجذع، وهو يخور كما يخور الثور، ويرغو كرغاء البعير، فهاله أمره، وبقي لا يهتدي إلى ما يصنع، فعدلت القافلة عن طريقه إلى ناحية أخرى، فعارضهم ثانية، ولم يجسر أحد من القوم أن يقرَبهُ.

---

(١) الكورة : المدينة أو الناحية. ومصدره : آكام المرجان في أحكام الجان ص ١٤٠.

(٢) شاعر، من دهاة الجاهلية وحكمائها. عاصر امرأ القيس، وله معه مناظرات ومناقضات. عمر طويلاً حتى قتله النعمان بن المنذر.

(٣) الشجاع : الذكر من الحيَّات.

فقال عبيد : أفدي هذا العـالم بنفسي ، وأتقرب إلى الله تعالى بخلاص هذه القافلة منه .

فأخـذ قِرْبة مـن الماء ، فتقلدها ، وسـل سيفه ، فلما رآه قَرُب منـه سكنَ ، وبقي عبيد بن الأبرص متوقعاً منه وثبـةً يبتلعه فيها ، فلما رأى القِربة فتح فاه ، فجعل فم القربـة في فيه ، وصبَّ الماء كما يُصبُّ في الإناء . فلما فرغت القـربة تسيَّب[1] في الرمل ومضى ، فتعجب من تعرُّضه لهم وانصرافه عنهم من غير سوء لحقهم ، ومضوا لحجِّهم . ثم عادوا في طريقهم ذلك ، وحطوا في منزلهم ذلك ، في ليلة مظلمـة مُدْلهمة ، فأخـذ عبيد شيئاً من الماء ، وعدلَ إلى نـاحية عن الطـريق ، فأخـذت عينـه ، فنـام مكـانـه ، فلما استيقظ من النـوم لم يجد للقافلة حسًّـا ، وقد ارتحلوا ، وبقي منفرداً لم يرَ أحداً ، ولم يهتـد إلى ما يفعله ، وأخذته الحيرة ، وجعـل يضطرب ، وإذا بصوت هاتف يسمع صـوته ولا يرى شخصه يقول :

يـا أيُّها الشَّخْصُ المُضِلُّ مـركَبُـهُ … مَـا عِنْـدَهُ مِـنْ ذي رشَـادٍ يَصْحَبُه

دُونَكَ هـذَا البَكْـرُ منَّـا تَـرْكَبُـهُ … وبَكْـرُكَ الميمـونُ حَقًّـا تَجْنَبُـه[2]

حتَّى إذا مَـا اللَّيْلُ زَالَ غَيْهَبُـهُ … عِنْـدَ الصَّبَـاحِ في الفَـلا تسيِّبُـه

فنظـر عبيد ، فإذا بِبَكْـرٍ قائم عنـده ، وبَكْرُه إلى جـانبه ، فأنـاخه وركبـه ، وتجنَّب بكره ، فلما سار قـدر عشرة أميال لاحت له القافلـة ، وانفجر الفجر ، ووقف البكر ، فعلم عبيد أنه قد حان نزوله ، فتحول إلى البَكْر وقـال :

---

(١) تسيَّب : جرى ومشى مسرعاً .

(٢) البكر : الفتيُّ من الإبـل .

يَـا أَيُّها البكرُ قـد أنجيتَ مِنْ كَـرْبٍ وَمِـنْ هُمُومٍ تضـل المُدْلِـج الهَادي[1]
أَلَا فَخَبِّرْني بِـــاللهِ خـــالقنـــا مَنْ ذَا الذي جاد بـالمعروف في الوادي
وارْجعْ حَمِيـدًا فقـد بَلَّغْتَنَـا مننـاً بُـورِكْتَ من ذِي سَنَـامٍ رَائحٍ غَـادي

فالتفت البكر إليه، وهو يقول :

أنـا الشُّجـاعُ الـذي أَلْفَيْتَنِي رَمِضـاً واللهُ يكْشِفُ ضُرَّ الحَائِرِ الصَّـادِي[2]
فَجُـدْتَ بـالماءِ لَمَّا ضَـنَّ حَـامِلُـهُ نِصْفَ النَّهَارِ عَلى الرَّمْضَاءِ في الوادي
الخيْرُ أبقَى وإنْ طَـالَ الـزَّمَـانُ بِـهِ والشَّرُّ أخْبَثُ مَـا أوعيتَ من زاد
هـذا جـزاؤك منـا لا يُمَنُّ بـه لك الجميل علينـا إنك البـادي

فعجب الرشيد من قوله، وأمر بالقصة والأبيات فكُتبت، وقال : لا يضيع المعروف أين وضع[3]!

● عن جعفر بن محمد بن مسعدة قال :

كنت في سامراء بعد قتل المتوكل، فأُريت في منامي هاتفاً يقول لي :

لقـد خَلَـوْكَ وانصدعـوا فما ألـووا ومـا رَبعـوا
ولم يُـوفـوا بعهـدهـم فتبـاً للـذي صنعـوا
ألا يـا معشر الموتـى إلى من كنتمُ تقعـوا
لنطلبهـا فإن القلـب قـد أودى بـه وجعُ
ولم نعـرفْ لكـم خبراً فقلبـي حشْـوُه الجزعُ

---

(١) المدلج : السائر في الليل.
(٢) الرَّمِضُ : الذي حَرَّ جوفه من شدة العطش. الحائر : المضطرب. الصادي : العطش.
(٣) مصدره : الأغاني ١٩/ ٨٦، المستطرف في كل فن مستظرف ١/ ٢٤٤، قصص العرب ٤/ ٣٦٩، المختار من نوادر الأخبار (مخطوط).

فبكى جعفر في نومه أشد البكاء ، وانتبه وقد حفظ الأبيات ، فقال له صاحب كان معه : ما قصتك ؟ ما زلتَ سائر ليلتك تبكي في نومك !

قال جعفر : فرويت له قصتي مع الهاتف[1].

(١) مصدر هذه القصة كتاب آكام المرجان في أخبار الجان ص ١٥١ .

الإرشاد لمن طلب الرشاد (*)
لنائيني

ـ سـأل بعض الأنبيـاء ربَّه تعـالى أن يكفَّ عنه ألسنـةَ النـاس، فأوحى إليه: خَصْلةٌ لم أجعلها لنفسي فكيف أجعلها لك ؟!

ـ قيل لرجل: صف لنا التقوى.

فقال: إذا دخلتَ أرضاً فيها شوك كيف كنتَ تعمل ؟

فقال: أتوقى وأتحرز.

قال: فافعل في الدنيا كذلك، فهي التقوى.

ـ قـال رجـل: اللهم احفظني من صديقـي. فقيل لـه في سبب ذلك، فقـال: إني أتحرز من العدو، ولا أقدر أن أتحرز من الصديق.

ـ قال أحـد العارفين: إياك أن تكون عدواً لإبليس في العلانيـة، وصديقاً له في السر!

ـ العالم يعـرف الجاهل؛ لأنه كان جاهلاً، والجاهل لا يعـرف العالم؛ لأنه لم يكن عالماً!

ـ قال محمـد بن يحيى مؤدب المأمون: صليت يوماً قـاعداً لمرض أصابني، فأخطأ المأمـون، فقمت لأضربـه، فقـال: أيها الشيخ. تطيع الله قـاعـداً وتعصيه قائماً ؟!

(*) الإرشاد لمن طلب الرشاد / محمد حسن نائيني ـ بيروت: دار الصادق، د.ت، ٢٠٦ ص.
والكتاب مجموعة منتقاة من المواعظ والحكم والحكـايات والطرائف والأخبار النادرة، جمعها المؤلف من مصادر متعددة.
ومؤلفـه كاتب معاصر، من كـربلاء . . . وإنما أخذت من كتـابه ما هـو مفيد ـ وهـو كثير ـ و . . «الحكمة ضالة المؤمن . .».

ـ قال شخص لآخر : جئتك في حويجة : فقال : اقصد بها رُجيلاً !

ـ سمع بعض الـزهاد شخصاً يقول : أين الـزاهدون في الدنيا الـراغبون في الآخرة ؟ فقال له الزاهد : يا هذا اقلب كلامك ، وضع يدك على من شئت !

ـ دخل بشار بن برد على المهدي ، وعنده خاله يزيد بن منصور الحميري ، فأنشد قصيدة يمدحه بها . فلما أتمها قال له يزيد : ما صناعتك أيها الشيخ ؟ فقال بشـار : أثقب اللؤلؤ. فقـال له المهدي : أتهزأ بخالي ؟ فقـال : يا أمير المؤمنين ، ما يكـون جوابي لـه وهو يـراني شيخاً أعمى ينشـد شعراً ؟ فضحك المهدي وأجازه !

ـ تكلم الناس عند معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنه ـ في يزيد ابنه ، إذ أخذ لـه البيعة ، وسكـت الأحنف . فقال لـه معاوية : تكلـم يا أبـا بحر ! فقـال : أخافك إن صدقتُ ، وأخاف الله إن كذبتُ !

ـ قـال محمد بن شبيـب غلام النظـام : دخلتُ إلى دار الأمـيـر بالبصرة ، وأرسلت حماري . فأخذه الصبي يلعب عليه ، فقلت لـه : دعه ، فقال : إني أحفظـه لك ! فقلت : إني لا أريد حفظـه ، قال : يضيع ، قلت : لا أبـالي بضياعه ، فقال : إن كنتَ لا تبالي بضياعه فهبه لي ! فانقطعت من كلامه !

ـ قـال أردشير بن بابـل : أربعـة تحتـاج إلى أربعـة : الحسب إلى الأدب ، والسرور إلى الأمن ، والقرابة إلى المودة ، والعقل إلى التجربة !

ـ مـرَّ عيسى عليه السـلام بقوم ، فشتمـوه ! فكلما قالـوا شرًّا ، قال خيراً ! فقـال لــه أحـد الحواريين : كلما زادوك شرًّا زدتهم خيراً ، كـأنك تغـريهم بنفسك ، وتحثُّهم على شتمك ؟! فقال : كل إنسان يعطي مما عنده !

ـ أراد رجـل تطليق زوجته ، فقيـل : ما يسـوؤك منها ؟ قال : العـاقل لا يهتك ستر زوجته . فلما طلقهـا قيل له : لِـمَ طلقتها ؟ قال : مـا لي وللكلام فيمن صارت أجنبية ؟

ـ قــال بعض الحكماء : إذا أردت أن تعرف من أين حصَّــل الرجلُ المالَ ، فانظر في أي شيء ينفقه ؟

ـ سئــل فيثاغورس : من الــذي يسلم من معاداة النــاس ؟ قال : من لم يظهر منـه خير ولا شر ! قيل : وكيف ذلك ؟ قـال : لأنه إن ظهـر منه خير عاداه الأشرار، وإن ظهر منه شر عاداه الأخيار !

ـ قال أحـد العارفين : لا يغرنك أربعة : إكـرام الملوك ، وضحك العدو، وتملُّق النساء ، وحرُّ الشتاء !

ـ كتمان الأسرار يدلُّ على جواهر الـرجال ، وكما أنه لا خير في آنية لا تمسك ما فيها ، فلا خير في إنسان لا يملك سره !

ـ قـال الفضيل بن عياض : ثلاثة لا تلـومونهم على الغضب : المريض ، والصائم ، والمسافر.

ـ قـال الحسن بن علي رضي الله عنه لرجل : كيف طلبك للدنيـا ؟ قال : شـديد ! قـال : فهل أدركتَ منها مـا تـريد ؟ قـال : لا. قال : فهـذه التي تطلبها لم تدركِ منها ما تريد ، فكيف بالتي لم تطلبها ؟ (يعني الآخرة) .

ـ قال أحد العارفين : الدنيـا دار خراب ، وأخربُ منها قلب من يعمرها ، والآخرة دار عمران ، وأعمرُ منها قلب من يطلبها .

ـ جاء رجل إلى سليمان عليه السـلام وقال : إن لي جيراناً يسرقون إوزِّي ولا أعرف من هو من بينهم . فنادى سليمان عليـه السلام : الصلاة جامعة . ثم خطب فيهم ، وقــال في خطبتـه : إن أحـدكم ليسرق إوزَّ جـاره ثـم يـدخل المسجـد والريش على رأســه ! فمسح الرجل على رأســه ! فقال سليمان عليـه السلام : خذوه ، فهو صاحبكم !

ـ قال الضحاك بن مزاحم لنصراني : لو أسلمت ؟ فقال : مازلتُ محباً للإسلام إلا أنه يمنعني حبُّ الخمر ! فقال : لا بأس، أسلم واشربها . فلما أسلم قال له : أسلمتَ، وحينئذ إن شربتَ حددناك، وإن ارتددت قتلناك ! فحسُن إسلامه !

ـ قال بعض الحكماء : العاقل من نفسه في تعب والناس منه في راحة، والأحمق من نفسه في راحة والناس منه في تعب !

ـ حكى عبد الرحمن الشامي قال : رأت العُسسُ ليلاً رجلاً، فهرب إلى مكان، فتبعوه إلى مكان خراب، فأخذوه، وإذا هناك قتيل ! فقالوا : أنت الذي قتلته . فأحضروه للقتل، فقال : اصبروا حتى أصلي ركعتين . فلما فرغ من صلاته قال : إلهي أنت نهيتني عن كتمان الشهادة وما لي شاهد غيرك ! فخرج من بين الجماعة رجل وقال : خلُّوا الرجل فأنا القاتل ! فقالوا له : فما الذي حملك على الإقرار بالقتل ؟ قال : نوديت في سري : يا هذا إنه طُلب منا الشهادةُ، فإن أقررت، وإلا كشفنا عن حالك ؛ فما أمكنني إلا الإقرار بالقتل . فقال ولد المقتول : قد عفوت عن القاتل !

ـ قال أحد العارفين : لا تزوِّج كريمتك إلا من ذي دين، فإن أحبها أكرمها، وإن أبغضها أنصفها !

ـ قال أحد الظرفاء : إني أخاف من النساء أكثر من الشيطان ! لأنه سبحانه يقول في سورة النساء : ﴿**إن كيد الشيطان كان ضعيفاً**﴾ (١)، وفي سورة يوسف : ﴿**إن كيدكنَّ عظيم**﴾ (٢) !

---

(١) سورة النساء، الآية ٧٦ .

(٢) سورة يوسف، الآية ٢٨ .

ـ جـاء فقير بقمح يطحنه، فقـال الطحان : إن علي شغـلاً كثيراً فترفَّق ! فأبى، فقـال : لئن لم تطحنه دعوتُ الليلـة عليك فتهلك دوابك ! فقـال له الطحـان : ودعـاؤك مستجـاب ؟ قـال : نعم. قـال : فـادعُ الله أن يجعل قمحك طحيناً !

ـ حضر أعرابي على سفرة هشام بن عبد الملك، فبينما هو يأكل، إذ تعلقت شعرة بلقمة الأعرابي، فقال له هشام : نحِّ الشعرة عن لقمتك. قال : وإنك تلاحظني مـلاحظة من يـرى الشعرة في اللقمة ؟ والله لا أكلت عنـدك أبداً. وخرج وهو يقول :

وللمـوتُ خيرٌ من زيـارة بـاخلٍ ... يـلاحظ أطـراف الأكيل على عمـد

ـ حُكي أن رجـلاً ادعى أن كل أحول يرى كل شيء اثنين ! وكـان له ابن أحـول، فقـال : يـا أبـه ليس هـذا بصحيح، لـو كـان كـذلك لكنتُ أرى القمرين أربعة !

ـ إحسـانك إلى الحرِّ يحركه على المكافأة، وإحسـانك إلى الخسيس يبعثه إلى معاودة المسألة !

مـات مجوسي وعليـه دَيْن، فقـال بعض غـرمائه لـولـده : لـو بعتَ دارك وخففتَ بها عن والـدك. فقال : إذا أنا بعت داري وقضيـت بها عن أبي دينه فهل يدخل الجنة ؟ قالوا : لا. قال : فدعوه في النار وأنا في الدار !

ـ قيل لخالـد بن صفوان : أي إخـوانك أحبُّ إليك ؟ قال : الـذي يسدد خَلَلِي، ويغفر زَلَلِي، ويقبل عِلَلِي.

ـ كان إسحاق بن فروة مزَّاحاً، فقـال لأعرابي يوماً وهو يمازحه : أتشهد بما لم تـره عينك ؟ قال : نعم، أشهـد أن أبـاك فعل بأمك ولم أرَ ذلك ! فحلف إسحاق أن لا يمازح أحداً.

ـ قال بعضهم : رأيت رجلاً محموماً به صداع يأكل التمر بكراهة شديدة، فقلت له : ويحك ! تأكل التمر وأنت محموم ؟ فقال : عندنا شاة ترضع، وليس لها نوى تأكله، وأنا آكل التمر مع كراهتي له لأطعمها النوى. قلت : فأطعمها التمر بنواه. قال : ويمكن هذا ؟ قلت : نعم. قال : فرَّجتَ عني، ما أحسن العلم !

ـ رأى إبراهيم بن الأدهم رجلاً يحدث بشيء من كلام الدنيا، فوقف عليه وقال : هذا كلامٌ ترجو فيه الثواب ؟ قال : لا. قال : فتأمن فيه العقاب ؟ قال : لا. قال : فما تصنع بكلام لا ترجو فيه ثواباً ولا تأمن فيه عقاباً ؟ !

ـ مثل الدنيا مثل ماء البحر، كلما شربَ منه العطشان ازداد عطشاً حتى يقتله.

ـ أربع خصال تميت القلب : كثرة الأكل، وكثرة النوم، وكثرة الكلام وكثرة الضحك.

ـ جاء رجل إلى الشعبي وقال : إني تزوجت امرأة وجدتها عرجاء، فهل لي أن أردها ؟فقال له : إن كنتَ تريد أن تسابق بها فردَّها ! !

ـ قال إبليس : العجب لبني آدم ! يحبون الله ويعصونه، ويبغضونني ويطيعونني ! !

ـ قيل ليحيى بن زكريا عليه السلام : ما مبدأ الزنا ؟ قال : النظر والغناء.

ـ قال بعض العارفين : صحبة الأشرار تورث الشر، كالريح إذا مرَّت على النتن حملت نتناً، وإذا مرَّت على الطِّيب حملت طيباً.

ـ دخل سليمان بن عبد الملك مسجد دمشق، فرأى شيخاً يرجف، فقال : يا شيخ، أيسرك أن تموت ؟ قال : لا. قال : لِمَ وقد بلغت السنَّ

مـا أرى ؟ قـال : ذهب الشباب وشرُّه، وبقي الكِبَرُ وخيره، إذا أنـا قعـدتُ ذكرتُ الله، وإذا قمتُ حمدتُ الله، فأحبُّ أن تدوم لي هاتان الخصلتان.

ـ قال أحد العارفين : لا شيء أوجع للأحرار من مراجعة الأشرار !

ـ روي أن رجـلاً من بني إسرائيل رأى في المنام أنه أُعطي ثـلاث دعوات مستجابة وأن يصرفها حيث يشاء. فشاور امرأته عن كيفية صرفها، فرأت أن يصرف واحدة منها في حسنها وجمالها ليـزيد حسن المعاشرة بينهما، فصرفها في ذلك، فصارت جميلة !

فاشتُهـر أمرهـا في بني إسرائيل، إلى أن غصبها ملك ظـالم. فدعـا الرجل غَيْرةً بأن يصـورها الله تعـالى على صـورة كلب أسـود ! فصارت كـذلك، ثم جاءت إلى باب زوجهـا وتضرَّعت إليه مدة حتى رقَّ قلبه، ودعـا بأن يصيِّرها الله على صورتها الأولى.

فضاعت الدعوات الثلاث فيها !!

ـ قيـل لابن عمر : ألا نجعـل لـك جوارش ؟ قـال : ومـا الجـوارش ؟ قيل : شيء يهضم الطعام. قال : ما شبعت منذ أربعة أشهر، وما ذاك أني لا أجد، ولكني شهدت أقواماً كانوا يجوعون أكثر مما يشبعون.

ـ من ضيَّع أيام حرثه ندم أيام حصاده.

ـ جلس كسرى يـوماً لمظالم العباد، فتقدَّم إليـه رجل قصير وجعل يقول : أنـا مظلوم. فلم يلتفت إليـه ! فقال الـوزيـر : أنصف الرجل. فقـال : إن القصير لا يظلمه أحد ! فقال : الذي ظلمني أقصر مني !

ـ تشاجر زوجان وامتنعا عن الكلام. وقبل أن يصعد الزوج للنوم، قدَّم إلى زوجته ورقةً مكتوباً عليها : أيقظيني في الساعة الخامسة صباحاً.

وفي اليـوم الثاني استيقـظ الزوج ، ونظـر إلى السـاعة فـوجـدهـا الثامنـة ! فاغتـاظ ، ثم لبس ثيابه ، ولما أراد الخروج ، نظـر فرأى ورقة مكتـوب عليها : استيقظ ، الساعة الآن الخامسة !

ـ سأل أحد الشباب حكيماً : من هي أكثر وفـاء وإخلاصاً لزوجها : المرأة ذات الشعر الأشقـر، أم ذات الشعر الأسـود ؟ فقال : إن أكثـر النساء وفـاء لزوجها المرأة ذات الشعر الأبيض !

ـ وقف جديٌ على سطح ، فمرَّ به الذئب ، فأقبل الجدي يشتمه ، فقال له الذئب : لست أنت الذي تشتمني ، إنما يشتمني الموضع الذي أنت فيه .

ـ من التناقضات العجيبة أن يكون أول ما يهتم به الإنسان أن يعلم الطفل الكلام ، ثم بعد ذلك يعلمه كيف يسكت !

ـ دخلت إحدى العجائز على السلطان سليمان القـانوني تشكو إليه جنوده الذين سرقوا مواشيها عندما كانت نائمة . فقال لها السلطان : كان عليك أن تسهـري على مواشيـك ، لا أن تنامي . فأجـابتـه : ظننتك سـاهـراً علينا يـا مولاي ، فنمت مطمئنة البال . فتنبَّه من قولها .

ـ في كتـاب كلستان : إذا أكل الملك تفـاحة من بستان الـرعية فإن الـرعية تقتلع شجرة التفاح من جذورها !

ـ ركب أحد البخـلاء دابة له ، وفي منتصف الطريق تذكـر شيئاً ، وعاد إلى منـزلـه ، فنادى جـاريتـه قـائلاً : أخبري سيدتك أني حين تنـاولت العشـاء طرحت لقمة للقطة ، فحذار أن تطلـق لها لقمة أخرى ، وإلا فسدتْ عادتها علينا !

ـ قال أحـد العارفين : الحقيقة مثل النحلة : تحمل في جـوفها العسل وفي ذنبها الإبرة !

ـ قال بزرجمهر : الجاهل عدو نفسه، فكيف يكون صديق غيره ؟!

ـ لما تم للإسكندر المقدوني[1] فتح بعض البلدان، أمـر بالقبض على لص من لصوص البحر. ولما جيئ به ومثل بين يديه، سأله : بأي حق تسرق مال الغير ؟ فأجابـه : أنا أسرقه بسفينة صغيرة فيـدعونني لصاً، أمـا أنت فتسرقه بأسطول كبير وتسمى فاتحاً !

ـ جاء رجل إلى فقيه فقال : أفطرت يـوماً من شهر رمضان، فقال : اقض يوماً مكـانه. فقال : قضيتُ وأتيتُ أهلي وقد عملوا هـريسة، فسبقتني يدي إليها فأكلت. فقال : أرى أن لا تصوم إلا ويدك مغلولة إلى عنقك !

---

(١) هو غير ذي القـرنين المؤمن الذي ذكـره الله تعالى في القـرآن الكريم. فـالمقدوني مشرك من تـلاميذ أرسطو.

الأطفال في التراث العربي (*)
لعبد الرزاق حسين

● قال سنان بن مَسْلمة ـ وكان أميراً على البحرين ـ : كنا أُغيلمة بالمدينة المنورة، نلتقط البلح المتساقط من النخل، فخرج إلينا عمر بن الخطاب، فتفرّق الغلمان خوفاً منه، وثبتُّ مكاني. فلما وصل إلي قلت : يا أمير المؤمنين إنما هذا ما ألقت الريح. قال : أرني أنظر فإنه لا يخفى علي. قال : فنظر في حجري فقال : صدقت، فقلت : يا أمير المؤمنين لئن انطلقت لأغار هؤلاء الغلمان علي فانتزعوها مني. قال فمشى معي عمر بن الخطاب حتى بلغني مأمني !

(*) الأطفال في التراث العربي / جمع وتقديم عبد الرزاق حسين. ـ الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، إدارة الثقافة والنشر، ١٤١٢هـ، ٢١٦ ص. ـ (بحوث في ثقافة الطفل المسلم ؛ ٣).

يذكر المعد أن ما أورده في هذا المجموع أخبار وحكايات وطرائف ونوادر الأطفال التي التقطها من كتب التراث المختلفة المطبوعة والمخطوطة . . ووزعها على عشرة فصول هي : (الأطفال والإيمان، النبي ﷺ والأطفال، جهاد الأطفال، الأطفال العلماء، الأطفال الحفاظ، الأطفال البررة، ذكاء الأطفال وحسن أجوبتهم، الأطفال الشعراء، الأطفال الفصحاء، طرائف الأطفال ونوادرهم).

وكان الدافع له في جمع هذه الأخبار هو أنها ستثير في نفوس الأطفال حب التقليد في معالي الأمور، وتدفع هممهم للسير في طريق النبوغ، وتقدح زند عقولهم للنظر في عواقب أمورهم . . فإذا كان الأطفال يقبلون على سماع الأنباء العجيبة والأخبار الغريبة بشوق النهم وتطلع الفَهِم، فإن إعجابهم بالنماذج الرفيعة من الرجال يدفعهم للاحتذاء بهم، وكيف إذا علموا أن هذه الأخبار الفائقة، والأنباء الرائقة، التي تتنوع بين الشجاعة والبراعة، والفصاحة والسماحة، والكرم ونبل الأخلاق، والنباهة والفطنة، إنما هي لأطفال في مثل سنهم، إن ذلك سيشعل فيهم لظى التشوق، وينبه فيهم همة التفوق . . إن ذلك سيجعلهم يظنون بأنهم قادرون على أن يصنعوا مثل صنيعهم، ويفعلوا مثل أفعالهم.

والمؤلف أستاذ مشارك بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء في السعودية.

● روي أن غلماناً من أهل البحرين خرجوا يلعبون بالصوالجة وأسقف البحرين قاعد. فوقعت الكرة على صدره، فأخذها. فجعلوا يطلبونها منه، فأبى أن يعطيهم. فقال غلام منهم: سألتك بحق محمد ﷺ إلا رددتها علينا. فأبى لعنه الله، وسبَّ الرسول ﷺ، فأقبلوا بصواليجهم، فما زالوا يخبطونه حتى مات!

فرُفع ذلك إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فوالله ما فرح بفتح ولا غنيمة كفرحته بقتل الغلمان لذلك الأسقف، وقال: الآن عزَّ الإسلام، إن أطفالاً صغاراً شُتم نبيُّهم فغضبوا له وانتصروا.

● قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: رأيت أخي عمير بن أبي وقاص يتوارى قبيل بدء معركة بدر، فقلت: ما لك يا أخي؟ قال: إني أخاف أن يراني رسول الله ﷺ فيستصغرني فيردني، وأنا أحب الخروج لعل الله أن يرزقني الشهادة.

قال: فعُرض الجيش على رسول ﷺ، فرآه، فردَّه لصغره، فبكى أخي عمير، فأجازه مرة أخرى.

فكان سعد رضي الله عنه يقول: فكنت أعقد حمائل سيفه من صغره، فقتل وهو ابن ست عشرة سنة!

● قال الإمام ابن الجوزي: كنت في حلاوة طلبي العلم ألقى من الشدائد ما هو أحلى من العسل لأجل ما أطلب وأرجو. وكنت في زمن الصبا آخذ معي أرغفة يابسة فأخرج في طلب الحديث، وأقعد في مكان، فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء، فكلما أكلت لقمة شربت عليها، وعينُ همتي لا ترى إلا لذَّة تحصيل العلم. فأثمر ذلك عندي.

قال : ولم أقنع بفن واحد، بل كنت أسمع الفقه والحديث، وأَتْبَعُ الزهاد، ثم قرأت اللغة، ولم أترك أحداً ممن يروي ويعظ، ولا غريباً يَقْدُم إلا وأحضره، وأتخيَّر الفضائل. ولقد كنت أدور على المشايخ لسماع الحديث فينقطع نَفَسي من العدو لئلا أُسْبق !

● يقول الإمام سفيان بن عيينة : كنت على باب المسجد، فإذا شيخ على حمار، فقال لي : يا غلام، أمسك عليَّ هذا الحمار حتى أدخل المسجد فأركع. فقلت : ما أنا بفاعل، أو تحدِّثني ! قال : وما تصنع أنت بالحديث ؟ واستصغرني. فقلت : حدِّثني. فقال : حدثني جابر بن عبدالله، وحدثنا ابن عباس . . فحدثني بثمانية أحاديث.

فأمسكت حماره، وجعلت أحفظ ما سرده علي. فلما صلى وخرج قال : هل نفعك ما حدثتك به ؟ فقلت : حدثتني بكذا، وحدثتني بكذا. فرددت عليه جميع ما حدَّثني به. فقال : بارك الله فيك، تعال غداً إلى المجلس. فإذا هو عمرو بن دينار !

● كان عبد الملك بن مروان صغيراً، فتطاول عليه صبي فضربه، فقيل له : لو شكوته إلى عمك لانتقم منه، فقال : أنا لا أعدُّ انتقام غيري انتقاماً !

● قال إياس بن معاوية : إن أول شيء حُكي عني أني كنت في مكتب رجل من أهل الذمة، فاجتمع إليه أصحابه، فقال : ألا تعجبون من أهل الإسلام، يقولون إنهم يأكلون في الجنة ولا يتغوطون ! فقلت : يا معلم، أليس الدنيا ضرَّة الآخرة ؟ قال : بلى. قلت : كل ما يؤكل في الدنيا يخرج غائطاً ؟ قال : لا. قلت : فأين يذهب ؟ قال : يذهب بعضه غذاءً. قلت : فما تنكر إذا كان بعضه يذهب في الدنيا غذاءً أن يكون كله في الجنة يذهب غذاءً ؟

قال : فألوى بيده وقال : قاتلك الله من صبي !

● قال الأصمعي : بينا أنا في بعض البوادي ، إذا أنا بصبي معه قربة قد غلبته ، فيها ماء ، وهو ينادي : يا أبت ، أدرك فاها ، غلبني فوها ، لا طاقة لي بفيها .

قال : فوالله لقد جمع العربية في ثلاث !

● قال الأصمعي : قلت لغلام حدث السن من أولاد العرب : أيسرُّك أن يكون لك مائة ألف درهم وأنك أحمق ؟ قال : لا والله . قلت : ولِمَ ؟ قال : أخاف أن يجني عليَّ حمقي جناية تُذهب مالي ويبقي علي حمقي !

● كان طرفة بن العبد ـ من شعراء الجاهلية الفحول ـ مع عمه وهو صغير في بعض أسفارهما ، فنزلا على ماء ، فنصب طرفة فخَّه للقنبر وقعد لها ، وهن يَحْذَرْنَ الفخ ، وينفرن مما جوله ، فقال :

قاتلكن الله من قنابر منتبذات في الفلا نوافر

وأخذ فخه ورجع إلى عمه ، فلما تحمَّلوا ، أقبلت القنابر تلتقط ما كان ألقاه لهن من الحب ، فالتفت فرآهن ، فقال :

يا لكِ من قُبَّرة بمَعْمر خَلا لكَ الجوُّ فبيضي واصفري

ونقِّري ما شئت أن تُنقِّري قد رُفع الفخُّ فماذا تحذري

لا بدَّ يوماً أن تُصادي فاصبري !

● عاش يزيد بن زبيبة الشيباني دهراً طويلاً حتى لحق زمن الحجاج ، وكان في صف ابن الأشعث ضد الحجاج ، فظفر به الحجاج ، وورد عليه كتاب عبد الملك بن مروان يأمر بقتله .

فلما دعا به قال له : أيها الأمير، اتق الله بسبع عشرة نسوة ، أو تسع عشرة نسوة ليس لهن قيِّم غيري . قال : أحضرهن .

فلما حَضَرْنَ، سألهن الحجاج عن شأنهن، فما منهن امرأة إلا وهي تقول: اقتلني ودَعْه. فقامت بنية له صغيرة. فبكت بكاء حاراً موجعاً محرقاً، وأنشأت تقول:

أحجَّاج إما أن تجود بنعمة ... علينا وإما أن تقتِّلنا معا

أحجَّاج كم تفجعْ به إن قتلته ... ثلاثاً وعشراً واثنتين وأربعا

فمن رجلٌ دانٍ يقوم مقامه ... علينا فمهلاً لا تزدنا تضعضعا

فرحمه الحجاج، وكتب إلى عبد الملك يسأله العفو عنه، فأجابه إلى ذلك، وأطلقه.

● قحطت البادية في أيام هشام بن عبد الملك، فقدمت العرب من أحياء القبائل، ودخل رؤساؤهم عليه وبينهم «دِرْواس بن حبيب» وله أربع عشرة سنة، فأحجم القوم وهابوا هشاماً، ووقعت عين هشام عليه فاستصغره، فقال لحاجبه: ما يشاء أحد أن يصل إلي إلا وصل، حتى الصبيان! فعلم دِرْواس أنه يريده. فقال: يا أمير المؤمنين.. إن هؤلاء القوم قدموا لأمر أحجموا دونه، وإن الكلام نشر والسكوت طي، ولا يعرف الكلام إلا بنشره.

فقال هشام: فانشر لا أبالك! وأعجبه كلامه.

فقال: أصابتنا سنون ثلاث: فسنة أذابت الشحم، وسنة أكلت اللحم، وسنة أنْقَتَ اللحم. وفي أيديكم فضول أموال، إن كانت لله ففرِّقوها على عباده المستحقين لها، وإن كانت لهم فعلامَ تحبسونها عنهم؟ وإن كانت لكم فتصدَّقوا بها عليهم، فإن الله يجزي المتصدِّقين، ولا يضيع أجر المحسنين.

فقال هشام : ما ترك الغلام في واحدة من الثلاث عذراً .

ثم أمر أن يقسم في باديته مائة ألف درهم . . وقال لدرواس : ما لك من حاجة تذكرها لنفسك ؟ قال : ما لي من حاجة دون عامة المسلمين !

● قال بعض المعلمين : حضرت لتعليم المعتز وهو صغير، فقلت له : بأي شيء نبدأ اليوم ؟ قال : بالانصراف !

● قال بشر بن الحارث ـ المعروف بالحافي ـ : أتيت باب المعافى بن عمران ، فدققت الباب ، فقيل لي : من ؟ قلت : بشر الحافي . فقالت لي بنيَّة صغيرة من داخل الدار : لو اشتريت نعلاً بدانقين ذهب عنك اسم الحافي !

● كان لمحمد بن بشر الشاعر ابنٌ جسيم ، فأرسله في حاجة ، فأبطأ عليه ، ثم عاد ولم يَقْضِها ، فنظر إليه ثم قال :

عقلُه عقلُ طائر ... وهو في خِلْقة الجَمَلْ

فقال الصبي :

شَبَهٌ منك نالني ... ليس لي عنه مُنْتَقَلْ

● أرسل رجل ولده يشتري له رشاء (حبلاً) للبئر طوله عشرون ذراعاً . فوصل إلى نصف الطريق ، ثم رجع فقال : في عرض كم ؟ قال : في عرض مصيبتي فيك يا بني !

● صاح صبي بشيخ أحدب (مقوس الظهر) : بكم اشتريت هذا القوس يا عماه ؟ فقال : إن عشتَ أُعطيتها بغير ثمن !

أنباء نجباء الأبناء (*)
لابن ظفر الصقلي

● قال العباس عم النبي ﷺ لابنه عبد الله : يا بني ، إني أرى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أكرمك وأدناك واختصَّك دون أكابر أصحاب رسول الله ﷺ ، فاحفظ عني ثلاثاً :

لا تُجرينَّ عليه كذباً .

ولا تفشين له سراً .

ولا تغتابن عنده أحداً .

● سأل معاوية ابنه يزيد : لو سألك سائل يا يزيد فقال : من قومك ؟ ماذا تقول له ؟ قال : أقول له : سلاماً ! قال : أحسنتَ .

(*) أنباء نجباء الأبناء / لبرهان الدين محمد بن محمد المكي المعروف بابن ظفر. ـ القاهرة : مطبعة التقدم، ـ ١٣٥هـ، أ ـ ح، ٢٠٠ ص.

والمؤلف مكي الأصل، مغربي المنشأ . . تنقل في البلاد، وكان متضلعاً في مذهب مالك ومذهب الشافعي . وكان واعظاً متكلماً شاعراً ناثراً. تجوَّل صغيراً في البلاد لطلب العلم، ودخل أكثر الأمصار، واستوطن آخر عمره مدينة حماة، وبها توفي سنة ٥٦٧هـ . . . ولم يزل يكابد الفقر إلى أن مات. له مؤلفات كثيرة .

والكتاب ـ كما قال مقدمه ـ فريد في بابه؛ لأن مؤلفه خصه بأخبار من اشتُهر بعلو الهمة، ونور البصيرة . . ممن رشح نفسه للملك أو الرئاسة، أو نطق ببليغ الحكمة، أو صاغ بديع الشعر، أو جاد بماله ونفسه، أو قاد الكتائب والجيوش، أو أخلص لله الطاعة، أو تخصص بحسن الزهادة .

وقال المؤلف مبيناً هدفه من وضع هذا الكتاب : «هذا كتاب أودعته من أنباء نجباء الأبناء، ما هو كشررة من ضِرام . . لأني قصدتُ به تلقيح عقل غلام، وتنقيح فطنة كهام [الكهام : السيف الذي لا يقطع، وهو هنا استعارة للغلام البليد] . إلا أني أجنيت قارئيه من هذا النوع ألذه وأطيبه، وأحليته أسرَّه وأعجبه، مضرباً في الغالب عما سجع به الحمام هاتفاً، وهمع به الغمام واكفاً؛ لأن النفوس طلعة إلى الفائق العجيب، مولعة بالرائق الغريب، ذي المتناول والقريب . . . » .

يريد بقوله : ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ [1].

● قال المؤلف : بلغني أن هارون الرشيد اطلع يوماً من منظر له في قصره، فرأى ولده المأمون - وهو صبي - يكتب على الحائط.

فقال لخادم بين يديه : انطلق فتأمَّل ما يكتب المأمون، واحترس أن يفطن لك أو لتأمُّلك.

فذهب، فتسلَّل عليه حتى قام خلفه، وهو مقبل على الحائط مفكراً، ثم رجع فقال :

يا أمير المؤمنين، إنه يكتب هذا :

قل لابن حمزة ما ترى   في زبرباج محكمة [2]

قال الرشيد : ارجع إليه فاسأله عما هو فيه ؟ فسيقول لك : إني مفكر في إجازة هذا البيت، فقل له :

قال ابن حمزة يا بنيَّ   هزلت مجترئاً فمه !

فانطلق، فقال له ذلك، وأنشده البيت. فأطرق المأمون قليلاً، ثم التفت إلى الخادم وقال : يا غلام، قد علمتُ أنك مرسل، ولولا ذلك لم تنج سالماً.

فرجع الخادم، وأخبر الرشيد بذلك.

ثم إن الرشيد أخبر ابن حمزة الكسائي بذلك كله، وقال له : من أين علم المأمون أن الخادم كان مرسلاً ؟!

---

(١) سورة الفرقان، الآية ٦٣.

(٢) ابن حمزة هو الكسائي، وكان المأمون يقرأ عليه القرآن.

قال : لا أدري .

قال : علمه من قوله «فمه» ، إذ كان الخادم لا يستطيع على مخاطبته بذلك إلا مأموراً . ومه معناها اكفف .

● وقيل إن قطـر النـدى بنت خمارويـه بن أحمد بن طـولـون لما زُفَّت إلى المعتضد بـالله أغرم بها . فوضع يومـاً رأسه في حجرهـا ، فلما نام ، تلطفت في إزالة رأسه من حجرها ، ووضعت تحته وسادة . وخرجت من البيت .

فلما استيقظ ، غضب ، وناداها فأجـابته من قرب ، فقال : وضعت رأسي في حجركِ فذهبتِ عني ؟

فقالت : لم أزل كإليةٍ لأمير المؤمنين .

قال : فما أخرجك عني ؟

قالت : إن مما أدبني به أبي أني لا أجلس مع النيام ، ولا أنام مع الجلوس . فاستحسن ذلك منها .

● وذكر أن الكسـائي كان لا يفتـح على ولد الـرشيد إذا غلطـوا في القراءة عليـه ! وإنما كان ينكس طـرفـه ، فإذا غلط أحـدهم نظر إليـه ، وربما ضرب الأرض بخيزرانه التي في يده ، فإن سُدِّد القارئ للصواب مضى ، وإلا نظر في المصحف .

فـافتتح المأمون يـوماً عليـه السـورة التي فيها الصف ، فلما قـرأ : **﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾** [1]، نظر إليه الكسائي ، فنظر المأمون في المصحف ، فإذا هو مصيب ، فمضى في قراءته .

---

(١) سورة الصف ، الآيـة ٢ .

ولما رجع إلى الرشيد قال له : يا أمير المؤمنين، إن كنتَ قد وعدتَ الكسائي شيئاً فهو يستنجزه.

قال : إنه كان استوصاني أن أعطي لبعض القراء، فوعدته، فهل هذا هو الذي ذكر لك ؟

فقال المأمون : إنه لم يذكر لي شيئاً.

ثم أخبره بالأمر !

● شاور قتيبة بن مسلم الباهلي وزراءه في رجل يؤمِّره على جيش يحارب به الكفار، فقيل له : هل لك في فلان ؟ فقال : ذاك رجل ذو كِبْر. ومن تكبَّر أُعجب برأيه، ومن أعجب برأيه لم يؤامر نصحاءه، ومن تحلى بالإعجاب ودبر بالاستبداد كان من الرشد بعيداً، ومن الخذلان قريباً. ومن تكبَّر على عدوّه احتقره، ومن احتقر عدوَّه قلَّ احتراسه منه، ومن قلَّ احتراسه كثر عثاره. وما رأيت محارباً تكبَّر على عدوِّه إلا كان مخذولاً مهزوماً مغلولاً !

● قال المؤلف : وبلغني أن السَّري بن المغلس السقطي قرأ على مؤدبه : ﴿ونسوقُ المجرمينَ إلى جهنَّم وِرْداً﴾ (١)، فقال : يا أستاذ، ما الوِرْد ؟ فقال : لا أدري.

فقرأ : ﴿لا يملكون الشَّفاعة إلا من اتَّخَذَ عند الله عهداً﴾ (٢).

فقال : يا أستاذ، ما العهد ؟

قال : لا أدري !

فقطع السري القراءة وقال : إذا كنتَ لا تدري، فلِمَ غررت بالناس ؟

---

(١) سورة مريم، الآية ٨٦.

(٢) سورة مريم، الآية ٨٧.

فضربه المؤدب. فقال السري: يـا أستاذ، ألم يكفك الجهل والغرور حتى أضفت إليهما الظلم والأذى؟!

فطلب المعلم منـه المسامحة، وتاب إلى الله تعـالى من التأديب، وأقبل على طلب العلم، وكان يقول: إنما أعتقني من رقِّ الجهل السري.

● وقال: بلغني أن أبـا يزيـد البسطامي لما حفظ ﴿**يا أيها المزَّمِّل قم الليل إلاَّ قليلاً**﴾[1]، قال لأبيه: يا أبه، من الذي يقول الله تعالى له هذا؟

قال: يا بني، ذلك النبي محمد ﷺ.

قال: يا أبه، ما لك لا تصنع كما صنع النبي ﷺ؟

قال: يا بني إن قيام الليل خُصِّص به النبي ﷺ وبافتراضه دون أمته!

فسكت عنه. فلما حفظ قوله سبحانه وتعالى: ﴿**إن ربَّك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطـائفة من الذين معك**﴾[2] قال: يا أبه، إني أسمع أن طائفة كانوا يقومون الليل، فمن هذه الطائفة؟

قال: يا بني، أولئك الصحابة، رضوان الله عليه أجمعين.

قال: يا أبه، فأي خير في ترك ما عمله النبي ﷺ وأصحابه؟!

قال: صدقت يا بني.

فكان أبوه بعد ذلك يقوم من الليل ويصلي!

---

(١) سورة المزمل، الآيتان ١ ـ ٢.

(٢) سورة المزمل، من الآيـة ٢٠.

التحفة البهية والطُّرفة الشهيَّة (*)

● مرض النضر بن شميل، فدخل عليه الناس يعودونه، فقال له رجل: مسح الله ما بك. فقال له النضر: لا تقل مسح الله، بل قل: مصح الله ما بك (1).

فقال الرجل: لا بأس فيما قلت فإن السين قد تعاقب الصاد فتقوم مقامها.

فقال النضر: إن كان كذا فينبغي أن تقول لمن اسمه سليمان: «صليمان»، وتقول: قال «رصول» الله. ثم قال: لا يكون هذا في السين إلا مع أربعة أحرف: الطاء والخاء والكاف والعين. وربما أبدلوها بزاي، كما قالوا: زراط وسراط وصراط.

قال الصولي: وهذه حروف الاستعلاء، تبدل إذا كانت بعد السين، فأما إذا كانت قبل، فلا.

● خرج غسان بن عباد من عند المأمون، فأتبعه بصره وقال: لا تزال الخلافة نضرة ما حضر مجلسنا مثلُ هذا؛ ما اغتاب عندي قط أحداً، ولا اعترض في كلام متكلم، ولا التمس حاجة لنفسه، ولا وقفنا منه على كذب ولا جناية، ولا سبقه لسانه بلفظ احتاج إلى الاعتذار منه.

(*) التحفة البهية والطرفة الشهية: مجموعة مختارة من عيون الأدب العربي. ـــ الآستانة: مطبعة الجوائب، ١٣٠٢هـ، ٢٩٤ ص.

وهو مجموعة لطيفة تشتمل على سبع عشرة رسالة وكتاباً، منتخبة من الكتب النادرة الغريبة.

وقد اخترت بعض الفقرات المناسبة من الرسائل التالية: «كلمات مختارة من درر الكلم»، «تنبيه النائم الغُمر على مواسم العمر» لابن الجوزي، «رسالة عبد الواسع في المعاتبة»، «روايات لطيفة وحكايات ظريفة»، «رسالة في الألغاز».

(1) مصح الشيءُ: زال أو كاد. ومَصَّح الله ما به: أذهبه.

● قال عيسى بن ماهان : صحبتُ جعفر بن يحيى البرمكي خمس عشرة سنة، فما رأيته غضب غضباً مفرطاً، وإنما أكبر غضبه إذا غضب على خدمه أن يقول : لا تخدمني، أو : لا أرضى عنك.

● اختلف عاصم بن عمر بن الخطاب وفتى من قريش في ضيعةٍ، فقال الفتى ـ وقد غضب ـ : ادخلها وأنت رجل !

فقال عاصم : أبلغَ بك الغضب هذا ؟ هي لك.

قال القرشي : سبقتني إلى المكرمة، بل هي لك.

قال عاصم : ما أنا راجع في هبتي.

فقال القرشي : ولا أنا.

فلم يأخذها واحد منهما.

● كان عبد الملك بن مروان يحب ابنه الوليد ولا يحثه على الأدب، فخرج لحَّاناً، فقال : أضرَّ حُبُّنا بالوليد.

● كان الشيخ الزاهد داود الطائي يشرب الفتيت ولا يأكل الخبز، فسئل عن ذلك فقال : بين شرب الفتيت ومضغ الخبز يفوتني قراءة خمسين آية !

● دخل قوم على عابد فقالوا له : لعلنا شغلناك ! فقال : نعم، منعتموني من وردي، ومن نظر في شرف العمر اغتنمه.

● رسالة عبد الواسع في المعاتبة.

.. أما بعد : فإن هذا كتاب كله عتاب، وقصةٌ كلها غُصَّة، وكلام كله ملام، وحكاية أكثرها شكاية، وفصول كلها نصول، وألفاظ كلها غلاظ، ورسالة فيها بسالة.

. . لا يوفون بالعقود، بل يطرون على الحقود، يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، ولا يميزون بين الحق والباطل، والحالي والعاطل . . فمن اعتمد عليهم فكأنما اعتمد على السراب، ومن اعتضد بهم فكأنما اعتضد بالخضاب يسلي عن الشباب .

أخلاَّء هذا الدهر هشٌّ وجوههم   وفي القلب من نار النفاق أزيز

فلما بلونا واحداً بعد واحد   علمنا بهم أن الوفاء عزيز

ولما جربتهم جميعاً، تقلصت عنهم سريعاً. فلا أغترُّ بعد هذا اليوم، بأمثال هؤلاء القوم، مع أني صاحبت منهم من كان أحسنهم فعالاً، وأصدقهم مقالاً . . فصار عهدهم رياء، وودهم هباء .

ومنهم من أصغيته ودادي، وأعطيته اعتقادي، وألقيت عليه مني محبة، وهو لم يكن يساوي حَبَّة. وكم خضتُ لأجله بطون المسالك، وامتطيت ظهور المهالك، وتجشمت المصاعب، وتحملت المتاعب، فلما انحصدَ ما زرعته سبق إليه الجراد، وظهر فيه الفساد. ومنهم من رفعته بعد السقوط، وأعليت قدره بعد الهبوط، فلما بلغتُ به الأمد الأقصى، ورقيته إلى الدرج الأعلى، أعرض عني ملياً، وتركني نسياً . . وأنا أنشد :

أعلمه القوافي كل يوم   فلما قال قافية هجاني

أعلمه الرماية كل يوم   فلما اشتد ساعده رماني

أعلمه المروءة كل يوم   فلما طرَّ شاربه جفاني

. . قد مزج المرارة بالحلاوة، وترك المودة بالعداوة، فصار ودُّه هباء منثوراً، كأن لم يكن شيئاً مذكوراً . . ولقد نظمت قصيدة تشتمل على هذه المعاني بأكثر أبياتها .

مللتُ النـاسَ كلَّهُـم اضطـراراً — لأنَّ ودادَ أكثـرهـم هبـاءُ
وقـد قبحتْ مخابـرهم جميعـاً — وإن حَسُنَتْ وجـوهُهم الـوضـاء
لئـن رفضتني الخلان جهـلاً — فإن المسـك تطـرحـه الظبـاء
وكم مـن صـاحـب أصفي ودادي — لـه، ونصيبنـا منـه الـريـاء
وأرعـى عهـده ويضيع حقـي — وهـذا يـا أخـي بئس الجزاء
ويظهـر بـاللسـان الشـوق منـه — إليَّ، وقلبـه منـه خـلاء
إذا أجـرى القضـاء عليك خَطْبـاً — فطب نفسـاً بما فعل القضـاء
فكل شـديـدة ولها انفـراج — وكـل بليـة ولها انقضـاء
وعُـذْ بـالله يَكْفِكَ كـلَّ شرٍّ — فـإن الله يفعل مـا يشـاء

● حُكي أن امـرأة دخلت على هـارون الـرشيد وعنـده جماعـة من وجـوه أصحابـه، فقالـت: يـا أمير المؤمنين، أقرَّ الله عينك، وفـرحك بما أعطاك، لقد حكمت فقسطت.

فقال: من تكونين أيتها المرأة؟

فقالت: من آل برمك، ممن قتلتَ رجالهم وأخذت أموالهم.

فقال: أما الرجال فقد مضى فيهم قدر الله، وأما المال فمردود إليك.

ثم التفت إلى الحاضرين من أصحابه وقال: أتدرون ما قالت هذه المرأة؟

فقالوا: ما نراها قالت إلاّ خيراً.

قال: مـا أظنكم فهمتم ذلك. أما قولها: أقـر الله عينك، أي: أسكنها عن الحركة، فإذا سكنت العين عن الحركة عميت.

وأما قولها: وفـرحك بما أعطاك، فقد أخذته من قـوله تعالى: ﴿حتى إذا فَرِحُوا بما أُوتوا أخذناهم بغتة﴾ (١).

---

(١) سورة الأنعـام، الآيـة ٤٤.

وأما قولها : حكمتَ فقسطت، فقد أخذته من قوله تعالى : ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنَّمَ حَطَباً﴾ [1].

● من الألغاز شعراً :

بلـــد في الشـــام أضحى — كـلُّ شيء منـــــه يُجْلَبْ
أخـــرجِ التصحيفَ منـــه — رأسُ كلـب خلـف ثعلـب [2]

ما اسمُ شيءٍ تركيبُه من ثلاث — وهـــو ذو أربع تعـالىٰ الإلـــه
حيـــوان والقلب منـــه نبـــات — لم يكن عنـد جـوعـه يـرعـاه
فيك تصحيفـــه ولكـن إذا مـــا — عكســـوه يصير لي ثلثـــاه [3]

مـــا اسمٌ إذا مـــا سأل المرء عن — تصحيحـه خـــلا لـه أفحمـــه
فنصـف يـس لـــــــه أول — من غير مـــا شك ولا جمجمـــه
وإن تـــزد ثـــانيـــه فهـــو لا — يـــذكـر للســـائل كي يفهمـــه
وإن تقل بيِّـــنْ لنـــا مـــا الـــذي — منـــه تبقى بعـــد ذا قلت : مـــه
بيِّــــنْـــهُ لي إن كنـت ذا فطنـــه — فإنـني قـــد جئـت بـــالترجمه [4]

يـــا مـن يحل اللغـــز في ســـاعـــة — كلمحـــة في طـــرفـــة العين
مـــا اسـم إذا نقصت مـن عـــده — في الخط حـرفـاً صـار اسمين [5]

---

(1) سورة الجن، الآية ١٥.

(2) هو بعلبك.

(3) هو الفيل.

(4) هو كلمة : سلامـة.

(5) يعني : يا سمين.

ترويح النفوس ومضحك العبوس (*)
لحسن الآلاتي

الحمد لله الذي أضحكنا بما أفاض علينا من السرور، والصلاة والسلام على من كان يمزح ولا يقول إلا حقًّا، وعلى ساداتنا آله وأصحابه الذين كان وجه الزمان لهم طلقاً. أحمده حمد عبدٍ بُشِّر بالجنة فضحك، وأشكره شكر من أنعم عليه ربُّه الملك.

● أهدي سلاماً يجاري البحر في السمك … وينطوي كانطواء الرِّجل للحنكِ
يسوىٰ من العيش مَقلياً بتنجرةٍ … ألفاً إذا كان ملفوفاً مع الكَبكِ
● أكرمْ به من شاعرٍ قد بَجَحا … في المدحِ حتى صار مثل المنفحه
فأقرن مع خرفانه واستنطحا … واستن من أفراخه بدرُ الضحى
والشيصبيص كدنَّة الجلمود

(*) ترويح النفوس ومضحك العبوس / تأليف حسن الآلاتي. ـ القاهر: مطبعة جريدة المحروسة، ١٣٠٧هـ، جـ١ : ١٦٧ ص.
الكتاب يقع في ثلاثة أجزاء . . وهذه صفحات مختارة من الجزء الأول فقط، الذي لم أرَ غيره . . ويغلب عليه الأسلوب الإنشائي والنَّفَس الطويل في الجمل والعبارات والوصف . . وليس فقرات . . بل يجمع بين القصة والحكاية والمقامة . . وفيه الشعر الفصيح والزجل المصري . . ويحتوي على فقرات غير مناسبة لما فيه من الأدب المكشوف . . لكن الجميل ألاَّ يحدد المؤلف الأسماء، إلا المستعارة منها. ويتوضح أن المؤلف ذو ثقافة عالية . . أدبية ودينية ولغـوية واجتماعية، وهو من النوع «الحكواتي».
وقد استغربت كيف يطبع مثل هذا الكتاب؛ نظراً لأنه حديث المجالس الخاصة جدًّا، ولا يقال مثله إلا في جو اجتماعي محدد . . وإنما نقلت منه القليل لدلالته على فترة محددة هي أواخر العصر العثماني في مصر. ولأنه نوع غريب من «الأدب» !!
وقد عرَّف صاحب الأعلام (٢/ ٢٠٧) بالمؤلف حسن بن علي الآلاتي، وذكر أنه متأدب مصري، من ظرفاء الكتاب، تعلم في الأزهر، وكُفَّ بصره، ومال إلى الغناء . . وكان حاضر النكتة . . وعُني بنظم الزجل . . مولده ووفاته بالقاهرة. ت نحو ١٣٥٥هـ.

يـــا مـن فتحت لكل بيت مخرجـــا ونظمت شعـــــراً من رواه استنعجـــا
لك في منـــاخ الأنس واصطبل الـــرجـــا فـــرح يـــريك ذوي المعـــافـــر في الـــدجى
وسط النهـــار كحيصـــة بـــالعـــودِ

نظم القصيـــــدة ليس بـــــالمتحفلط خــــالٍ من التعقيـــــد غير مشلفـط
حصنت قـــائلـــه عـــروس المربط بالقـــارطين البـــارطين العـــابطيـ
نَ القـــامطين الســامطين الســـود

لم أخل شعـــرك قـط من تبـــويظـــهِ يـــا حـــاسب التـــاريخ في محفـــوظـــهِ
إن رمتَ يـــومـــاً تـــرتـــوي من بـــوظـــهِ تـــاريخه بحظـــوظـــه وبظـــوظـــهِ
فـــرح المعـــانـــد غـــايـــة المقصـــود

أعـــداء شيخي لا زالـــوا مســـاخيطـــا كأنهم نصـف ثـــوب في مســـاخيطـــا
قـــوم إذا استعبطـــوا عبطـــوا وإن خبطـــوا خبطـــوا وإن لبطـــوا كـــانـــوا مـــلابيطـــا
والشيخ لا زالـــت الآمـــال تخدمـــه في جحفل كـــان أبهى من فـــرح طيطـــا
يفـــوق عن أهـــل بلـــدتـــه بأربعـــةٍ علماً وجهـــداً و إحســـانـــاً وقنيطـــا
وزاد عن أهـــل هـــذا الثغـــر أربعـــة جـــوداً وبخـــلاً ومعـــروفـــاً وتقميطـــا
أهـــدى إليَّ مكـــاتيبـــاً مضمَّخـــة بـــالمسك من فيـــه شعـــر مـــا بـــه إيطـــا
يـــا صـــاحب القـــامة الحسنى وبـــدر دجى كـــأنها شطـــروه بـــالبلنشيطـــا
لـــك المواعينُ في بحـــر البـــديع ولي مقـــداف نحـــوٍ فـــامـــلأهـــا قـــراميطـــا
يـــا سيـــداً مـــا لـــه في الحســـن من مثيل ولـــو نـــدورُ في الـــدنيـــا ببركيطـــا

● . . أشنع من عركـة عجر، وأرزل من عجر وبجر، وأحـز من طزفش، وألعن من عفش نفـش، وأسمج من سخـام ولطـام، وأبـرد من صرم على رخام، وأتعب من مـرا بتولد، وأوخم من ملقت طنطا بعـد المولد، وأنتن من

معمل طـرشي، وأوسخ من بطانـة عشي. سـلام لا فيش ولا عليش، أوسخ من الـوحل وأتخن من الخيش، ملطخ بسخام وجلـه، ووراه كل علة وعلـة، تحمله أرياح عرجه، تمشي حدارجـة بدارجة، لا تعطر ولا تتقنطر، ولا داهية تحوشه ولا وابور يدوسه ولا حيـة تلوشه حتى يخبط، وش الجنـاب اللي لا هنا ولا هنـاك، المحشـور في وشك ظهـرك، قفـاك الـوسخ الـوحش، اللي تملي يـرتعش، المصن العفش، المسطــو المحشش، الغجـري الموشش، سيـدي شقلبان مقلبان، هلا بلا الشيخ ابن فلان، دامت رزالته وزادت هبالته.

● . . وقال إن كان قصـدكم الراحة فعليكم بالاستراحـة. فلما سمعنا من لسانه الأعوج ما عرج به وأعوج، ورأينا له وجهاً أشد سواداً من القمر وأعظم بياضاً من الفحم الحجر، قلبنا عليـه أجمعين، وتوجهنا عنه راجعين، فذهبنا لنقطع التذاكـر . . . فبينما نحن جالسون في العـربة، وقـد ذكر كل منا قـومه وعربه، فما نشعر إلا وغبار ثرى وأثار الثرى، وصفير استطار وسُمع من جميع الأقطار، وقـال الكوميساري وهو في الجوسـاري، أخّر رجلك ونجي خيلك ورجلك. وإذا بعفـريت من حديـد؛ يسبق كل مهر جـديد، لـه باع مـديد وصـوت يحاكي الحمار في التغـريـد، لـه ذراعين مـن جنبيـه كأنـه بـدر تجلى بالكنبية.

● . . ومثلهم طـراطير ملونـة من الشـوشة للكتف بشرط أن يكـون العم الغالي المقدار والعالي المدار يكتب لمحسوبة إجـازة عامة عامرة الأركان بجميع مـا يحويـه من النكـايت بحسب الإمكـان، وأن يكـون كـاتب رجليـه في كل مـوضـوع، ويسند إليـه كل مخفـوض ومـرفـوع. وهذا مـا اتفق عليـه مجلس المصلحة على سبيل المباسطة، وانتهى أمره بلا إشكال ولا مغالطة.

شهـد بذلك عمك طهمـة، وخالـك لخمة، وعمتك كـوهية، وخـالتك شلبية، وابن خالك عفريت السواحل، وابن عمك أبو الجلاجل.

صورة علم طلب

. . . إلى الأمير المحتشم والهمام المحترم، صـادق الـوعد وحـافظ العهـد، ولاحس من السلالم العقـد، معتدل الزاويـة، صاحب الأضلاع المتسـاوية، والأركـان المتعادلـة المتـوازية، من لا يـزال إلى الأرض شاخص حتى يضربـه الشاخص، حضرة بيت التربيع وحصان الربيع، صاحب ميزان الهوى وخط الميل والاستـوا، مثلث الصـدر، ومستطيـل الانسيـاط، وجغـرافي المنخـار، ورأسي اللحيـــة و. . . . ، مضلع الحاجبين، مخمـــوس الأذنين، مسبـــول الشـوارب، زاغط القـوارب، وماخطُ القـوالب، مسطَّح الأكتـاف، مكعَّب الأرداف، طويل الساقين، عريض الساعـدين، قوي الباع، شديد الذراع، مستديـر الفم، بيضاوي الجسم، مَنْ شهد كلُّ مهندس بصنـاعته، واعترف كل مجنـون ببراعتـه ألا وهـو صاحبُ النفـس الشريفة، والأخـلاق الحميـدة اللطيفـة، والهمـة العليـة المنيفـة، الأسطى حسين أفنـدي خليفـة، تمرجي البنـائين ومعمارجي المحفلطين المقلفطين، لا زالت ديـاره عـامـرة، والخيرات عليـه متواتـرة، لا زال هـو وأنجـاله متمتعين بـالسرور، ومحفـوظين من جميع الشرور بعناية الرّب الغفور.

اعلم يا زكيَّ الهمـة، ومهندس الأمة، وكـاشف عن رأسي الغمة، أنـه قد سبق إليَّ نطق فمك الكـريم ومـرسـومك الفخيم، بـالتبرع من غير إجبـار، وصـدر منك الإقـرار بنصف متر جبس للسـلالم، وقـاكَ الله شرَّ كل جـايـر وحاسد وظالم.

ومن حيث أنـك تبرعت بـالجبس المتين، الـذي يمسـك السلَّم بـــدون عجين.

ومن حيث أني من ضمن المحسوبين عليك والواقعين بين رجليك.

ومن حيث أنك تبرعت بـلا جبر، ولم يكن عنـدك أدنى فتحة صـدر، ولا أقل فشر.

ومن حيث أني أعلم وأتيقن أنك قدَّها وقدود، وأنك قبل أن تُسأَل تجود.

ومن حيث أن المبلِّطين قد حضروا واشتدوا لنحت البلاط وبادروا.

ومن حيث أننـا قد بنينـا المركـز الأول الذي عليـه المعوَّل ولم يبقَ إلاَّ نجـاز وعدك ووفاء عهدك.

فبناء على هـذه الأسباب الضعيفـة، والمستندات الخفيفـة، أرجو صـدور الحكم على نفسك بإرسال القدر من الجبس العظيم، وعدم المماطلة والتأخير والتقديم، فالعجلَ العجل قبل فـوات الأجل، وإلاَّ . . . كتبنا لك إنذاراً، وأرسلنـاه من البرور والبحـار، ونُطلع عليـه معظم الأصحـاب والأعـداء والأحبـاب، طبقـاً للمادة خمسـة آلاف من القـوانين الـوديـة، والمنشـورات القسمية، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تحريراً في السنة الفلانية من يوم كذا.

وهذه صورة جواب دبلاق قد أرسلناه إلى رجل ببولاق

من العنيـد الغالي، نـاسج الشـوالي، أخذ الأجـرة قبل حلول الليـالي، ذو القفطان الجديد، والعصايا الحديد، آكل الثريد، ناظر الوقيد، وهو الأستاذ الفلاني، المعلم حسن آغاصي الآلاتي.

إلى ذي المجـد والإفضـال، والبهجـة والكمال، بـالع الجبـال، خـاطف الجمال، حضرتلري مـولانا وأستاذنـا الخواجـا عبد العـال، ملك الساحل، آكل الراجل، محسـن إلى المقيم ومسيء إلى الراحل. قد شـوقتمونـا بقدومكم

بعـد صـلاة الجمعـة ، وجمعتم علينـا أكبر جمعـة ، وصـار النـاس بين قـادح ومـادح ، وجـد ومازح ، إلى أن مضى معكـم نجلنا البهلـول ، وحصل بعـد مضيكم أمر مهول ، أفضى إلى الملاكمة بعد المشاتمة ، وما زلنا نقمص ونبرش حتى وصلنا إلى المفتش ، فقضى لي بالمجيء إلى بولاق ، وحكم لي بالأكل من عنـدكم بأكل ما عنـدكم من الأصحـاب والرفـاق ، وقد وصلنـا من الخيمات اثنان ليس لهما أسنـان ، وعليكم ذبح الشيال وأجـرة المشال ، متعكم الله بتمام الأفـراح والسرور وجعلكم من أمراء فقهـاءِ الوابـور، ويوم الأربع إن شـاء الله يكون الحضور بـلا دستور ولا حادور، وسلموا لنا على السيد المهـاب ، مولانا وأستاذنا الشيخ يوسف حجـاب ، ومن لكم وله من الأحباب ، ودمتم آكلين الكباب ، وبالعينَ الباب !

(امضاء)

العنيد الأوزع والشجاع الخروع

حسن أفندي علي الأكتع

صورة عرضحال مقدم للشيخ العنيد من رجل بليد ..

قبيحتلـو أفنـدم ، عنيـد عموم المضحكخـانـة المصريـة ، وحضرة البطل البطال ، والساذج المفضال ، من هو فريد الزمان ، وغرَّة الأهل والخلان :

غِبَّ التقهقهـات المترادفات ، والنكـات المتتابعـات ، اللايقين بمقـامكم السـامي ، المماثلين بهزلكم النـامي ، أعـرض لأنني كنت سـابقاً مستخـدمـاً بالمضحكخـانة الصـورية ، الكـائنة في الغـورية ، فاشي سرِّ الـرئيس ، وكنتُ منكتاً علي أيَّ تنكيتٍ ، بمرتب شهـري ألف وخمسمائة كلمة تصرف لي شهرياً من خزينة التهجيص . . !!

الجـراب الجـامـع (*)
لأشتات العلوم والآداب
لكنــون

● نهى السلطان عـام ١١٠١هـ في سـائر أقطار المغرب عـن لبس السبَّاط الأسود (أي الحذاء)، وأمر بلبس الأصفر مكـانه، لما قيل : إن الناس اتخذوا الأسود حين استولى العدو على العرائش، أسفاً عليها .

● قـال بعضهم :

(*) الجـراب الجامـع لأشتـات العلـوم والآداب / عبد الصمـد كنــون؛ راجعـه وقــدم لــه محمـد أبو الأجفان . ـ ط ٢ . ـ تونس : مطبعة الكواكب، ١٤٠٧هـ، ٣٧٥ص .

مؤلفه عبد الصمـد بن محمد التهامي، ابن كنون المستاري الفاسي، ثـم الطنجي . ولد بفاس سنة ١٢٩٠هـ، ونشأ في أسرة علمية كان أعضـاؤها يتفانون في خدمة العلم، ويـرفعون لواءه في رحاب جامع القرويين، وفي غيره من مراكز العلم والمعرفة . وقد حفظ القرآن الكريم بالروايات الثلاث : البصري والمكي وورش قبل أن يختم السنة الثالثة عشرة من عمره . وقد انتقل إلى طنجة واستقرَّ بها، وكان له نشـاط علمي فيها . وكان من الفقهاء المفتين، وخطيبـاً بارعاً مؤثـراً، ويستأنف الأحكام الشرعية التي تصدرها محكمة طنجة . . ولـه مؤلفات عديدة . توفي سنة ١٣٥٢هـ .

والكتاب جمع فوائد وطرائف ولطائف، فيها زاد وفير من المعلومات التي لا يربطها سلك خاص، بل هي تثـري ثقافـة العامـة، وتساعـدهم على المذاكـرة المفيدة . ففيـه مسائل من تفسير القـرآن وتجويـده، وأخرى في تأويل بعض الأحـاديث النبـوية، وحجج ممـا سـاقه المتكلمـون، وقواعـد ومبـاحث من علـوم النحو والصرف، والبـلاغـة والبيـان . . وفيه تـراجم، ومعلـومـات تاريخيـة وجغرافية، وفوائد طبيـة، ومواعظ وحِكم، وسيرة نبوية، وجوانب فقهية عـديدة، وفتاوى نوازل وقعت واستدعت الاستفتاء .

وفي هذا الجراب نصوص ورسائل وإخوانيات تبادلها الطلبة والعلماء، وفيه ألغاز . . وما إلى ذلك .

إنه حقًّا جراب جامع، وكشكول صغير، ودائرة معارف إسلامية وأدبية موجزة .

عليك بالحفظ بعد الجمع في كتبٍ ... فإن للكتب آفاتٍ تفرِّقها
الماء يُغرقها والنار تُحرقها ... والفأر يخرقها واللص يسرقها

● قيل لإبراهيم بن أدهم : كيف أنت ؟ فقال :

نرقِّع دنيانا بتمزيق ديننا ... فلا ديننا يبقى ولا ما نرقِّع
فطوبى لعبدٍ آثر الله وحدَهُ ... وجاد بدنياه لما يتوقَّع

● قال بعضهم :

وما ينفع الفتيانَ حُسْنُ وجوههم ... إذا كانت الأفعالُ غير حِسان
فلا تجعل الحُسْنَ الدليلَ على الفتى ... فما كلُّ مصقولِ الحديدِ يماني

● قال رجلٌ لأحدهم : العلم والمال يؤخذان من البطن ! قال : وكيف ذلك ؟ قال : أمسك عن الشهوات يكثر مالك، وأقلل من الأكل يكثر علمك !

● قال أحدهم :

هو الوزير ولا أزر يشدُّ به ... مثل العَروضي له بحر بلا ماء

● الراحة لا تُنال بالراحة، والعلم لا يُنال براحة الجسم، فادرس ترأس، واحفظ تُحفظ، واقرأ ترْقَ.

● مما قاله الطبيب الماهر الأديب عبد القادر بن شقرون في منافع النعناع :

ألا هل من الأعشاب نبتٌ يوافق ... موافقةَ النعناع بل ويرافق ؟
فكم من خصالٍ حازها وفوائد ... وكم من مزايا لا يفي بها ناطقُ
يصون غذاء المرء من كلِّ آفةٍ ... فليس كما النعناع خِلٌّ موافق
ففي مَضْغِهِ إنْ عزَّ هضمٌ لناهش ... وفي التُّخمة الشنعاء خيرُه دافق

لـه في عـلاج الصـدر سهم مفـوّق | وفي خفقـان القلب سيفـه بـارق
ويُخرج ديـدان البطـون بأسرهـا | وللشمّ دفّـاع وللبرء سـائق
بمضغه يُشفى السِّنُّ من وجعٍ ومن | بُثـورِ بلثـاتٍ لـذي الفتق راتق
وللنكهـة التطييب عنـد اقتضـائه | ونـاهيك منـه مـا حـوتـه الحدائق
فما لي لا أثنـي عليـه وأعتنـي | بنظم لآليـه وفضلُـه سـابق ؟!

● وقال بعضهم :

لقـاءُ أكثـرِ من يلقـاك أوزار | فـلا تبـال أصـدُّوا عنك أو زاروا
أخـلاقهم حين تبلـوهنَّ أوعـارُ | وفعلُهم منكـرٌ للمـرء أو عـار
لهم إذا جنحـوا إليك أوطـار | إذا قَضَوْها تنحَّوا عنك أو طاروا !!

● قال السيد نـور الدين السمهودي : ناولتُ السكينَ مرةً شيخنـا العلامة الشمسَ الشرواني، فلم يتناولها منـي، وقال : ضعها. فـوضعتُها بين يـديه، فأخذها وقال : هي آلة القطع، وآلة القطع لا تُناول للمحبين !

● قال أحدهم :

والله والله مـرتين | لَـحَفْرُ بئـرٍ بإبـرتين
وكنسُ أرضِ الحجـاز يـومـاً | في يـومِ ريحٍ بـريشتين
وغسلُ عبـدين أسـودين | حتـى يصيرا أبيضين
ولا وقـوفي ببـاب شخصٍ | يلقـاني يـومـاً بـوجـه شَيْن !

● وقال الفقيه محمد بن القاضي :

لَقَلْـعُ ضِرْسٍ وضنـكُ حبـسٍ
ولقمُ نـارٍ وحمل عـارٍ

وضربُ ألفٍ بألف كفٍّ
وقتلُ غمٍّ وطول همٍّ
وحفر بئر بفأس قير
وردُّ أمسٍ بكل نحس
وبيعُ دار بربع فلس
وضيق خُفٍّ ونزعُ نفس
وشربُ سُمٍّ وألف نكس
في أرض جيرٍ كحرِّ شمس
ولا وقوفي بباب شمس
يلقاني يوماً بوجه عبس

● كان يقال : أربع لا تُقْبِل عليها حتى تسأل الخبير بها :

السوق لا تُقدم عليه حتى تسأل عن النافق والكاسد فيها .

والمرأة لا تُقدم على خطبتها حتى تسأل عن منصبها وخُلقها .

والطريق لا تسلكها حتى تسأل عن أمنها وخوفها .

والبلدة لا توطنها حتى تسأل عن مرافقها وسيرة سلطانها وأخلاقها وقوة من يكيد أهلها ويعاديهم .

● قال بعض المشايخ :

إذا أردت أن تصير من جملة الأبدال ، فحوِّل أخلاقك إلى أحوال الأطفال .

فقيل له : وكيف ذلك ؟

قال : لأن الأطفال فيهم سبع خصال : لا يهتمون برزق ، وإذا مرضوا لم يشكوا من خالقهم ، ويأكلون الطعام فيجتمعون عليه ، وإذا تخاصموا لا

يتحـاقـدون، ويتسارعـون إلى الصلح، ويُـخوَّفون فيخـافـون بأدنى شيءُ، وتدمع أعينهم بسرعـة.

● قال بعض الشعراء:

وإخـــوان حسبتهـم دروعـــاً ... فكـانـوهـا ولكـن لـلأعـادي
وخلتهم سهـامـاً صـائبـات ... فكـانـوهـا ولكن في فـؤادي
وقـالـوا: قـد صَفَتْ لنـا قلوبٌ ... لقـد صـدقـوا ولكن: من ودادي

● ومن نظم مؤلف الكتاب:

إن النعـــاس والكسـل ... أحلى مـــذاقـــاً من عسـل
إن لم تصـــدقنـي فسـل ... من كـــان قبلي قـــد كسـل!

● وقال بعضهم:

لا يعجبنك من يصـون ثيـابـه ... خـوف الغبـار وعـرضـه مبـذول
فلـربما افتقـر الفتـى فـرأيتـه ... دنس الثيـاب وعـرضـه مغسـول

● نظم بعضهم أسماء بُناة الكعبة المشرفة فقال:

بنى الكعبـة الغـرَّاء عشرٌ ذكـرتهم ... ورتبتهم حسب الـذي رتب الثقـه
مـلائكـة الـرحمن، آدم ولـده ... كـذاك خليل الله، ثم العمالقـه
وجـرهم، يتلـوه قصي قـريشهم ... كذا ابـن الزبير، ثم حجـاج لاحقه
ومن بعـدهم من آل عثمان واحـد ... مـرادٌ مليك الـروم والسَّعْـدُ وافقـه

● ومن نظم الإمام المكودي رحمه الله:

إذا عَـرَضَـتْ لي في زمـاني حـاجـةٌ ... وقـد أشكلت فيهـا عليَّ المقـاصـد
وقفتُ ببـاب الله وقفـةَ سـائل ... وقلت: إلهي إنني لك قـاصـد
ولست تـراني واقفـاً عنـد بـاب من ... يقـول فتـاه: سيدي اليـومَ راقـد!

● قال ابن حبيب : قد أذَّن للنبي ﷺ أربعـة : بلال، وأبو محذورة، وابن أم كلثوم، وسعد القرظي. وزاد غيره : زياد بن حارث الصداوي.

ونظمهم الشيخ التاودي بقولـه :

عمـــرٌو، بـــلالٌ، وأبـــو محذوره سعـدٌ، زيـاد، خمسة مـذكـوره
قـــد أذَّنـــوا جميعهـم للمصطفى نـــالـــوا بـذاك رتبـة وشرفـا

● لا يكون الطالب طالباً حتى تجتمع فيه معاني حروفه :

فالطاء : أن يكون طاهر القلب، صفياً، نقياً.

واللام : أن يكون لبيباً ليناً.

والباء : أن يكون باكياً على ذنوبه، ويتخشع ويتقي مولاه.

فإن كان هكذا فطالب، وإلا فظالم.

وقد نظم مؤلف الكتاب هذا المعنى بقوله :

فطـــــاءٌ ولامٌ وبـــــاءٌ أتـت حـــروفـــاً لطـــالب علم عـــلا
فطـــاء : طهـــارة قلبـــه مِنْ شـــوائب تكـــديـــره كـــالقـــلا
ولام : لبـــابتـــه فـــانتبـــه ولين جـــانبـــه للفضـــلا
وبـــاءٌ : بُكـــاهُ على مـــا جنى مـن الـــــذنـب في سرِّه والملا
فإن كـــان في نفســـه هكـــذا وإلا فـــذا ظـــالمٌ مبتلى !

● عن وهب بن منبـه رحمه الله قال : خـرجتُ ذات يوم في زقـاق المدينة، فوجـدتُ فيه رجلاً طبيباً، اجتمع عليـه خلقٌ كثير، وهو يعطي وينعت لكل واحد منهم دواء بيده. فدنوتُ منه، وسلمت عليه، فردَّ عليَّ السلام.

قال : فقلت له : يا سيدي ! هل عندك شيء من دواء الذنوب ؟

فلما سمع مني ذلك، أطرق برأسه إلى الأرض. فبقي متفكراً ساعة، ثم رفع رأسه وقال: أين أنت يا سائلاً عن دواء الذنوب؟

فقلت له: ها أنا يا سيدي.

قال: سِرْ إلى وادي الإيمان، وخذ منه عروق النِّية، وأوراق الندامة، وثمرة العلم، وغبار التواضع، واسحقها جميعاً في مهراز التوبة، واعجنها بماء الحياء في آنية الخشوع، وأوقد تحتها نار الخوف بحطب الزهد، واشربها بكأس الصبر، في موضع لا يراك فيه أحد إلا الله، تجد راحة نفسك، والسلام.

● مرَّ الإمام الحسن البصري بشاب وهو يضحك، فقال له: يا بني! هل جُزْت على الصراط؟ قال: لا. قال: هل تَبيَّن لك إلى الجنة تصير أم إلى النار؟ قال: لا. قال: هل تدري أن ربَّك راضٍ عنك أم ساخطٌ عليك؟ قال: لا. قال: ففيمَ هذا الضحك؟

فما رُئي ذلك الفتى ضاحكاً بعده قط!

● ومن نظم عم المؤلف الشيخ محمد بن المدني كنون في معاني «مولى»:

معاني «مولى» إحدى وعشرون:	مالك، رب، ناصر، والأقربون
جار، عتيق، معتق، وعبد	حليف، صاحب، والابن عدُّوا
عمٌّ، شريك، وابن أخت، والنزيل	وليٌّ، تابع، محب، يا نبيل
صهر، ومُنْعِمٌ عليه	كذاك في القاموس فاحفظ ما لديه!

● وفي العدوى قوله:

وذكروا العداء في سبع علل	لا تَقْرَبَنْ صاحبها بلا خلل
سِلٌّ جُذام حصبة وجدري	مع رَمَد وجَرَب وبَخَر

● وأورد من نظم والده:

وهــاك ألقــابَ ملــوكِ مَنْ غَبَرْ   كسرى نجــاشيٌّ عــزيــزٌ قيصرُ
فــرعــونُ خــاقــان كــذاك تُبَّعٌ   للفُــــرْس والحُبْش مصرُ تَتْبُعُ
والــــروم والقبطُ وتــــركٌ حِمْيَرٌ   وأَوَّلٌ لأَوَّلٍ لا تــمـتـــري
وزِدْ هِــرَقْــلاً لقبــاً للشــام   أميرَ المؤمنين لــلإســلام

● ولـه :

عُــدَّ أحــاديث صحيح مسلم   أربعــةً من الألــوف فــاعلم
بغير تكــرار وبــالتكــريــر   سبعــةُ آلاف بــلا نكير

● ولـه :

عُــدَّ أحــاديث الموطأ المرويَّــه   بِعــدِّ مــا للغــافقي ستميَّــه
وستــةٌ تضــاف للستينــا   وعُــدَّهــا مجملــة عشرونــا
أضف لها ألفــاً وسبعمئــه   بعــدِّ الأبهري الإمــام الثقــه

● ولـه :

ولم تجيء كلمــــةٌ أوَّلها   يـــاءٌ بكسرة فكـن منتبهــا
إلا يِــوام ويِســار لليــدِ   كــذا يِعــار جمع يعــر فــاهتــد

● ولـه ناظماً غزواته ﷺ التي غزا فيها بنفسه، وهي سبعة وعشرون، وقاتل في تسع منها فقط :

يــا سـائلي عن غــزوات المصطفى   هــاكهــا زاده الإلــه شرفــا
وهي على تــرتيبهــا في الــذكــر   ودان مــع بُــــواط والعشير
وبــدر الأولى كــذاك الثــانيــه   بنــو سليم قينقــاع تــاليــه
لها كــذاك غــزوة الســويق   فــاحفظ هــداك الله للتحقيق

غزوة أنهار وبحران أُحد ... وبعدها غزوة حمراء الأسد

بنو النضير والرقاع وكذا ... غزوة بدر الأخيرة خذا

دومة جندل وغزو خندق ... بنو قريظة تليها حقق

غزو بني لحيان غزو الغابه ... مريسع فغزوة الحديبة

وخيبر كذاك عمرة القضا ... غزوة فتح فحنين تقتضىٰ

وغزوة الطائف ثم العُسْره ... وهي تبوك موضع ذو شُهره

هذي التي فيها غزا بنفسه ... وغيرها عدد نقط ما به

وكلها جرت بُعيد الهجره ... والإذن في القتال قصد النصره

ولم يقاتل ما عدا في تسعه ... بدر حنين أُحد قريظه

وخندق مريسع وخيبر ... والفتح والطائف فافهم واذكر

● محصَّل المنقول من الأفعال المبنية للمجهول ـ أي الأفعال التي تكون مبنية للمجهول دائماً :

عُنيت بالشيء وأُعنى به .

أُولع بالأمر وأُوزع به ، معناهما واحد ، أي : أُغرق .

وُثِىء . يقال : وُثِئت يده ، معناه : أصيبت بالوثاء ، وهو الفك ، أي : انفراج المفاصل وتزلزلها وخروج بعضها عن بعض .

زُهي ، أي تكبَّر.

نُتج : يقال : نُتجت الناقة ، ولا يقال : نَتَجت .

أُهرع الرجلُ : إذا كان يرعد من غضب وغيره .

أُغمي وغُمي على المريض .

غُمَّ عليه الخبر، أي خَفي . وغُمَّ الهلال : ستر بغيم أو غيره .
أُهلَّ واستُهلَّ ـ ومنهم من يجيز بناءهما للفاعل .
سُقط في يده : أي نَدِم .
بُهت ، أي دُهش وتحيَّر.
أُرعدت فرائصه : اضطربت .
وُضِع في حَسَبه ، فهو وضيع : أي ساقط .
شُدِه فلان عند المصيبة ، أي دُهش .
وُكِس الرجل في تجارته : خسر فيها .
نُخي فلان : تعاظم وتكبَّر.
شُغِلَ عنه وبه : تلهَّى .
شُهِرَ فلان في الناس أو الأمر : اشتُهر وفشا .
طُلَّ دمُ فلان : هُدر.
حُصِر الرجل : اعتُقل بطنه واحتبس .
وُقص فلان عن دابته : سقط عنها فاندقَّت عنقه .
غُبن في البيع فهو مغبون ، أي منقوص في الثمن .
هُزل الرجل والدابة : أصابها الهُزال .
نُكب فلان : أصابته نكبة من نكبات الدهر، أي مصائبه .
حُلبت ناقتك وشاتك لبناً كثيراً .
رُهصت الدابة : أصابها الرهص ، وهو داء يصيب الرِّجْل .
زُكم الرجل : أصيب بالزكام .

لُقي فلان : إذا أصيب باللقوة، وهي داء يصيب الوجه .

دِير بي عليهم وأُدير.

غُشي على المريض .

بُرَّ حجُّك، أي تُقبِّل .

ثُلج فؤاد، أي اطمأن .

فُلج فلان إذا أصابه الفالج .

أُرض الخشب : إذا أكلته الأَرَضة، وهي دويبة تأكل الخشب .

ضُنك عيشُه : ضِيق .

وُقرت أذن الرجل تُوقر : صُمَّت .

شُغف بالشيء .

سُرَّ الرجل بالشيء يُسَرُّ به سروراً .

نُفِسَت المرأة، إذا ولدت .

أُسهب الرجلُ : إذا ذهب عقلُه من لدغ الحية، عياذاً بالله .

امتُقع لونه : إذا تغيَّر من حزن أو فزع أو مناسبة .

أُعرب الرجل : إذا اشتدَّ وجعه .

انقُطع بزيد أو قُطع به : إذا عجز عن سفره بأي سبب كان، كنفقة ذهبت، أو ضلَّت عليه راحلته، أو حيل بينه وبين ما يؤمله .

نُسئت المرأة . . وذلك عند أول حبلها، حين يتأخر حيضها عن وقته، فيرجى أنها حُبلى .

عُنست الجارية وعَنسها أهلُها، ولا يقال عَنست. ومعناه: طال مكثها في منزل أهلها بعد إدراكها حتى خرجت من عداد الأبكار، وهذا إذا لم تتزوج، فإن تزوجت مرة فلا يقال عُنست.

شُبَّ لي كذا، وأُشِبَّ أي: أُتيح وتيسَّر.

أُعرب الفرسُ: إذا فشت غُرَّته حتى تأخذ عينيه.

دهش فلان: تحيَّر في أمره ولم يتجه لشيء.

نُفش العذق، وهو النخلة، والمراد هنا التمرُ، إذا أظهر به نكت، أي نقط من الأرطاب.

سُوِس الرجلُ أمورَ الناس إذا ملك أمرهم.

أُوكس فلان في تجارته: أي خسر.

أُحصر فلان: اعتُقل بطنه، والعَقول: الدواء الذي يمسك البطن.

تُطع الرجل: أي زُكم.

دُفق الماء، وهو الانصباب بشدة.

أُرتج على القارئ: إذا لم يقدر على القراءة، كأنه أطبق عليه، كما يُرتج الباب.

طُلِق السليم ـ أي اللديغ ـ إذا رجعت إليه نفسه وسكن وجعُه.

افتُلتت نفس فلان: مات فجأة.

أُرث فلان: حُمل من المعركة جريحاً.

دُبر القومُ: أصابتهم ريح الدبور، وهي التي تهبُّ من جهة الغرب.

رُيحَ الغدير: أي ضربته الريح. والغدير: القطعة من الماء يغادرها السيل. سمي بذلك لغدره بأهله بانقطاعه عند شدة الحاجة إليه!

رُكض الفرسُ على ما لم يسمَّ فاعله: إذا عدا.

قُنيت الجاريـــة تُقنىٰ : إذا مُنعت مـن اللعب مع الصبيـــان وسُترت في البيت .

كـانت تلك سبعون كلمـة مبنية للمجهـول استفـادها المؤلف من كتـاب «المزهر» في علوم اللغة للسيوطي ، وزاد عليها ثلاثاً من عنده هي :

حُـمَّ . . من الـحُمَّى .

وُعِك ، يقال : فلان موعوك ، أي محموم .

جُن . . فهو مجنون .

جمع الجواهر في المُلَح والنوادر (*)
للحصري

● ولّى الحجاجُ أعرابياً على تبالة [1]، فجمع أهلها وقال : إن الأمير أوصاني عليكم، ووالله لا أُحسن أن أَقضيَ بين خصمين مرتين، ووالله لا أُوتىٰ بظالم ولا مظلوم إلا وضربته حتى أقتله.

فتناصف الناسُ بينهم !

● سقط أبو الحارث - واسمه جِمّيْر - من سطح، فقيل له : أكان السطح مرتفعا ؟ قال : لا تسأل عن شيء، استطبتُ برد الهواء قبل الوصول إلى الأرض !

● وقال رجل : أشتهي أن أرى خلفي. فجاءه أبو الحارث بمرآة، وجعل وجه المرآة تلقاء وجهه هو، وظهرها تلقاء وجه الرجل !

(*) جمع الجواهر في المُلَح والنوادر / لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني؛ حققه وضبطه وفصّل أبوابه ووضع فهارسه علي محمد البجاوي. - القاهرة : دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٢هـ، ٤٠٣ ص.

وهو أيضا مجموعة من الأخبار والطرائف والنوادر الأدبية والاجتماعية، بذل المؤلف جهده في ترتيبها والعناية بها، وإيراد بعض مناسباتها. وإنما انتقيت بعض الأخبار من ص (٢٠٣ - ٣٦٨). وهو ما عثرت عليه مصوَّراً في إحدى المكتبات الخاصة.

والمؤلف أديب وناقد معروف. وهو من أهل القيروان، ونسبته إلى عمل الحصر. وله كتاب «زهر الآداب وثمر الألباب» ومختصره : «نور الطرف ونَوْر الظرف». ت ٤٥٣هـ. وأشير إلى أن كتابه الذي نحن بصدده سبق أن طبع أيضاً بعنوان : «ذيل زهر الآداب».

(١) بلد باليمن خصبة. استُعمل عليها الحجاج، فأتاها فاستحقرها فلم يدخلها، فقيل : أهون من تبالة على الحجاج !

● ونَصب مع رفقاء له قِـدْراً، وجعل فيها لحماً. فلما كاد أن ينضج، نشل بعضُهم قطعـة وقال : تحتـاج إلى ملح . ونشل آخرُ قطعـة وقال : تحتـاج إلى توابل . ونشل آخر قطعة وقال : تحتاج إلى بصل .

فرفع أبو الحارث القِدْر وقال : والله تحتاج هذه القِدْر إلى لحم .

● طبخ بعض البخلاء قِدْراً، فقعد هو وامـرأته يأكلان، فقال : ما أطيب هذا القـدر لولا الـزحام ! قـالت : أي زحام هـاهنا ؟ إنما أنـا وأنتد ! قال : كنت أحب أن أكون أنا والقِدْر.

● كان بعض الأكـاسرة يتطيَّر. فلقيه رجل أعـور، فأمر بحبسـه . فأقام مدة، ثم أطلقـه . فتعرَّض له فقـال : لِـمَ حبستني ؟ قـال : تشاءمت بك . قـال : فأنـت أشأم مني؛ خـرجتَ من قصرك فلقيتنـي فلم تـر إلا خيراً، وخرجتُ أنا فلقيتك فحبستني . فقال الملك : صدق . وأمر له بصلة .

● نـزل شيخٌ أعرابي من بني نهشل يكنى أبـا الأغر على بنتِ أختٍ لـه من قريْش بالبصرة، وذلك في شهر رمضان؛ فخرج الناسُ إلى ضياعهم؛ وخرج النساء يصلِّين في المسجـد، ولم يبق في الدار إلا الإماء؛ فـدخل كلب، فرأى بيتـاً فدخلـه وانصفقَ الباب، فسمع الإمـاءُ الحركَـة فظننَّ لصاً دخل الـدار، فذهبت إحداهن إلى أبي الأغر فأخبرته، فأخذ عصاً ووقف على باب البيت، فقال : إيهاً والله ! إني بك لعارف، فهل أنت من لصوص بني مازن، وشربت نبيذاً حامضاً خبيثاً، حتى إذا دارت الأقداحُ في رأسك منَّتْك نفسُك الأماني، فقلت : أطـرقُ دورَ بني عمـرو، والـرجـالُ خلـوف، والنسـاءيصلّين في مسجـدهن فأسرِقهـنّ، سـوءَةً لك ! والله مـا يفعل هــذا حـرّ، بئسما منَّتْك نفسك، فـاخـرج بـالعفـو عنك وإلاّ دخلتُ بـالعقـوبـة عليك، وايم والله

لتخـرجنّ أو لأهتفنَّ هتْفـةً يلتقي فيها الحيَّـان عمـرو وحنظلة، ويصير زيـد زيداً، وتجيء سَعْد بعدد الحصى، وتسيلُ عليك الرجـال من هاهنا وهاهنا؛ ولئن فعلت لتكونن أشأم مولود في بني تميم.

فلما رأى أنـه لا يجيبـه أخـذه بـاللين، فقـال: اخـرج بأبي أنت منصـوراً مستـوراً، إني والله ما أراك تعـرفني، ولئن عـرفْتَني لوثقْت بقـولي، واطمأْننْت إليّ، أنـا أبـو الأغـر النهشلي، وأنـا خـال القـوم وجِلْـدَة مـا بين أعينهم، لا يَعْصون لي رأياً، وأنا خفير كفيلٌ، أجعلك شحمة بين أذني وعاتقي، فاخرج فأنت في ذمتي، وإلاّ فعندي قوصَرتان أهـداهما إليَّ ابنُ أختي البار الوصول، فخذ إحداهما فانتبذها حلالاً من الله ورسوله.

وكـان الكلـبُ إذا سمع هـذا الكـلام أطـرق، وإذا سكت وثَب يـريـدُ الخروج. فتهافت أبـو الأغر ثم قـال: ياألأم النـاس، أراني بك الليلة في وادٍ وأنت في آخـر، وأنت في داري أقلب البيضـاء والصفـراء، فتصيح وتطـرق، وإذا سكتُّ عنك وثبتَ تريد الخروج، والله لتخرجنَّ أو لألجنَّ عليك.

فلما طال وقـوفهُ جـاءت جاريـة وقالـت: أعرابي مجنـون! والله ما أرى في البيت أحـداً، ودفَعت البـاب، فخـرج الكلبُ مبـادراً، ووقع أبـو الأغـر مستلقياً. فقلن له: قمْ ويحك! فإنه كلب. فقـال: الحمد لله الذي مسخه كلباً، وكفى العرب حَرْباً.

● قال أبو علقمة النحوي لجارية كان يهواها: يا خريدة؛ إخالك عَرُوباً، فما بـالُنا نَمِقُـكِ وتشنئينا؟ فقـالت: مـا رأيتُ أحـداً يحب أحداً ويشتمـه سواك!

والخريـدة: الناعمـة الليـنـة. والعَروبـة: المتحببـة إلى زوجها. والمِقَـة: المحبة.

● وأتى الهيثم بن العريان بغريم قد مَطَل غـريمه ديناراً فقال : ما تقول ؟ قـال : إنـه ابتـاعني عنجـراً واسْتَنْسأْتُـه حَـوْلاً، فصـار لا يلقـاني في لَقْم إلاَّ اقتضاني. فقال الهيثم : أمن بني أمية أنت ؟ قال : لا. قال : فمن أكفائهم من بني هـاشم ؟ قـال : لا. قال : ويلي . . . فعـلامَ تتكلم بهذا الكـلام ؟ السياط ! فلما جُـرِّد قال : أصلحك الله ؛ إنَّ إزاري مُرَعْبَلة. فقـال : دعوه، فلو ترك التثاقل بالغريب في وقتٍ لتركه الآن !

والعنجر : عجم الزبيب. واللقم : الطريق. والمرعبلة : الخَلَقة.

● دخل أبو العيناء على ابن منارة الكاتـب وعنده أبو عبد الله بن المرزبان، فقال لابن منـارة : أحِبُّ أن أعبث بأبي العيناء. فقال له : لا تقـوم به. فأبى إلاّ العبثَ بـه، فلما جلس أبـو العيناء قـال لـه : يا أبـا عبـد الله ؛ لِمَ لبست جُبَّاعـة ؟ قال : ومـا الجبَّاعـة ؟ قال : التـي ما بين جبـة ودرّاعة. قـــال أبو العينـاء : لأنك صفديم. قـــال : وما صفـديم ؟ قـال : الـذي هو مـا بين صفعان ونديم !

● بينا ابنُ أبي ليلى في مجلس القضاء، إذ تقدَّم إليه امـرأتان عجوزٌ وشابة. فقالت الشـابة : أنا أصلح اللهُ القاضي امـرأةٌ مُبَدَّنة [1]، وقد بهرني النَّفَس ؛ فإن رأى القاضي أن يأذَن لي فأحسرَ عن وجهي فليفعل. فقـالت العجوز : أصلح الله القـاضي، إنها مـن أحسن النـاس وجهـاً، وإنما تُـريـدُ أن تخدعَ القاضي، لا أمتعها الله بما وهبها من الجمال. فقال لها ابن أبي ليلى : إذا أنتِ شدَدْتِ قِناعَك فشأنك ووجهك.

(١) المبدنـة : الجسيمـة.

فحسرت الفتاة عن وجـه جميل. ثم قالت : أصلح اللهُ القـاضي، إنَّ هذه عمتي وأنا أسمِّيها أمي لكبر سنهـا، وإن أبي مات وخلَّف مالاً، وخلَّفني في حجرهـا؛ فجعلت تمونني وتحسنُ التدبيرَ في المال وتـوفيره عليَّ، إلى أن بلغتُ مبلغَ النساء، فخطبني ابنُ عم لي، فـزوجتني منـه، فكـان بي وبه من الحب مـا لا يـوقف على صِفته، ثم إن ابنـةً لعمتي أدْركتْ، فجعلت هـذه تـرغِّب زوجي فيها؛ فتـاقتْ نفسه إليها، فخطبها. فقـالت : لست أزوِّجكها حتى تجعل أمرَ بنـت أخي في يدي. فقال لها : قـد فعلت ! فلم أشعر حتـى أتاني رسولُها فقـال : عمتك تقـرئك السلام وتقول لك : إنَّ زوجك خطب ابنتي، وإني أبيتُ أن أزوِّجهـا منـه حتى يجعلَ أمـرك في يـدي ففعـل ذلك، فأنتِ طالق. فحمدتُ الله تعالى على ما بُليت به.

وإنَّ زوج عمتي هذه قدم من سفرٍ، فسألني عن قصَّتي، فأخبرته فقال : تزوجين نفسك ؟ فقلت : نعم ! على أن تجعل أمرَ عمتي في يدي. قال لي : فما تصنعين إذاً ؟ قلت : ذلك إليَّ؛ إمـا أن أعفوَ وإمـا أن أقتصَّ. قال : قـد فعلت، فأرسلتُ إلى عمتـي أن زوجك خطبني وأني أبيتُ عليـه حتى يجعل أمرك في يدي، ففعل؛ فأنت طالق !

فضحك ابن أبي ليلى ! فقالت العجوز : لا تضحك أيها القاضي، فالذي بَقِي أكثرُ وأعظمُ.

فقالت الشـابة : ثم إن زوجَ عمتي مـات، فجعلت تخاصمني في ميراثه، فقلت لها : هـو زوجي وأنـا أحـقُّ بميراثـه. فـأغـرتْ ابنَ عمي ووكلتـه بخصومتي، ففعل.

فقلت : يـا ابـن العم؛ إن الحقَّ لا يُستحيـا منـه؛ وقـد صلحت لك إذ نكَحْتُ زوجاً غيرك، فهل لك في مراجعتي ؟ فقال : كان ما كان ولا ذَنْبَ لي فيه، بل كنَّا على أشد رغبـة وأعظم محبّة . ثم قال : أوَ تفعلين ؟ قلت : على أن تجعل أمر بنت عمتـي بيدي . قال : قـد فعلت . فأرسلتُ إلى بنت عمتي أنَّ زوجَك خطبني، وأني أبيتُ عليه حتى يجعل أمرك في يدي، ففعل، فأنتِ طالق !

فقالت العجوز : أصلح اللهُ القاضي؛ أيحلُّ هذا، أُطلَّق أنا وابنتيّ ؟ فقال ابن أبي ليلى : نعم، التَّعْس [1] والنَّكْس لك .

ثم ركب إلى المنصور فأخبره حتى ضحـك وفحص برجليه، وقـال : أَبْعَدَ الله العجوز ولا فرَّج عنها .

● أتى رجل نخـاسـاً فقـال : اشترِ لي حماراً ليس بـالصغير المحتقـر، ولا بـالكبير المشتهـر، إن أشبعتُـه شكر، وإن أجعتـهُ صبر، وإنْ خَـلاَ الطـريق تدفَّـق، وإن كثر الزحـام ترفَّـق، لا يصدُم بي السواري، ولا يـدخل بي تحت البواري . إن ركبتُـه هام، وإن ركبـه غيري نام . فقـال له النخـاس : أَنْظِرني قليلاً، فإنْ مسخَ الله فلاناً حماراً اشتريتُه لك !

● قال أبو سودة لابنه : يـا بني، تعلَّم خطبة النكاح، فإني أريد أن أُنكح أخاك . قال : نعم . فلما كان من الليـل قال : أتعلمتَ شيئاً ؟ قال : نعم . قـال : هات . قـال : الحمد لله، أحمده وأستعينـه وأؤمن بـه وأتوكل عليـه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحـده لا شريك له، وأن محمداً عبدُه ورسـوله، حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح .

---

(١) التعس : الهلاك .

فقـال أبوه : يـا بني، لا تُقم الصـلاة حتى أذهب وأجيء، فإني على غير وضوء !!

● أتى رجل أبـا محمد النـوبهاري فقـال : وضعتُ رأسي في حجْر امـرأتي فقـالـت : مـا أثقل رأسك ! فقلت : أنـت طـالق إن كـان رأسي أثقل من رأسك. فقـال النـوبهاري : تطلق عليـك، فقيل لـه : ولِـمَ ؟ قـال : لأن القصَّابين أجمعوا على أن رأس الكبش أثقل من رأس النعجـة !

● كتب رجل إلى قاضٍ في أمـر قوم من جيرانه اختصمـوا : إن الذي لم يجرِ بينهما غير مفهوم، وقد أردتُ الاستصلاح فعاد استفساداً. فإن رأى القاضي ـ أدام الله عزلـه ـ أن يصفح عن كتابي فإن فيه نقصاً.

فقال القاضي : لا، بل فيه زيادة لام، كفانا الله شرَّها (١).

● سُئل أحدهم عن رجل فقال : رزين المجلس، نافذ الطعنة.

فحسبوه سيداً ! فإذا هو خياط : طويل الجلوس، نافذ الإبرة !

● طلب العتبيُّ بعد ثمانين سنة أن يتـزوج، فقيل له في سبب ذلك فقال : أولاد الزمان فسدوا، فأردتُ أن أُذلهم باليُتم، قبل أن يُذلوني بالعقوق !

● ابتـاع أعرابي غـلاماً، فقـال له : إنـا نبرأ إليك من عيب فيـه. قـال : ما هو ! قالوا : يبولُ في الفراش. قال : إن وَجَدَ فراشاً فليفعل !

● رأى أعـرابي سراويل في فلاة، فأخـذه يظنـه قميصاً، فلم يعـرف كيف يلبسه !

فمرَّ يعـدو ورماه. فلقيه رجل فقـال : ما لك يا أعـرابي ؟ قال : أصبتُ قميصاً للشيطان، وأخاف أن يلحقني فيقول : لِـمَ أخذتَ قميصي ؟!

(١) يعني اللام الزائدة في كلمة «عزلـه»، فكان المقصود : أدام الله عزَّه.

● خصَّ والد أحد ولـديه بهدية ثمينة دون ابنـه الآخر، فسمع بذلك الابن الثاني، فكتب لأبيه شعراً :

ليـس لي بعـــــــد إلهي	مشتكـى إلاَّ إليكـــــــا
وأخـــي في الفضـــل مثلي	وكِـــلانـــا في يـــديكـــا
لا تفضِّلْــــــــــهُ عليَّ	بـــالحبـــا من نـــاظـــريكـــا
إنما ابنـــــاك كعينيـــــــ	ـــكَ فـــداوي مُقْلتيكـــا
إن أذقـتَ العين كُحـــــلاً	هـــاجـت الأخـــرى عليكـــا

فأرسل إليه هدية مثلها .

● دخل أبـو عبد الله بن الجَصـاص على ابن لـه وقد احتضِر، فبكى عنـد رأسه، وقـال : كفاك الله يـا بني الليلة مـؤنة هاروت ومـاروت. قالـوا : وما هـاروت ومـاروت ؟ قال : لعنَ اللهُ النسيـان، إنما أردتُ يأجـوج ومأجـوج. قـالوا : ومـا يأجوج ومأجوج ؟ قـال : فطالـوت وجالوت. قـالوا : فلعلَّك أردتَ منكـراً ونكيـراً. قـال : والله ما أردتُ إلا غيرهمـا !! يـريـد أن يقول : ما أردت غيرهما !

● وغفل عنه أهلُه يوماً فسمعوا صياحَه، فأتوه، فوجدوه في بيت كالميت. فقالوا : ما لَكَ ؟ قال : فكَّرْتُ في كَثْـرَةِ مالي وشدَّةِ مصادرة السلطان للتجار في هذا الـوقت وتعذيبـه لهم بالتعليق، فعلَّقت نفسي ونظـرتُ كيف صَبْري، فزحلت[1]، فلم أتخلَّص حتى كِدْتُ أموت !

● كان أبو بكر الخوارزمـي رافضياً غالياً. وكان فاحشـاً بذيئاً، مستخفاً، جريئاً على ذوي الإنعـام عليه والإحسان إليه . قـال إسماعيل بن عبَّاد لما بلغه موته :

(١) زحل عن مكانه : زال، أو تنحى وتباعد.

سألتُ بـريـداً من خـراسـان مقبـلاً — أمـات خـوارزميكم؟ قـال لي : نعم
فقلت اكتبوا بالجص من فوق قبره : — ألا لعن الـرحمن من يكفـر النِّعم

وكـان هجـا بعض الملـوك، فظفـر بـه ذلك الملك، فـوسمـه في جبهتـه سطرين، فيهما شطـران بأقبح هجاء. فكـان يشدُّ العمامة على حـاجبيه ستراً عليهما.

● قال بعضُ الرواة : خرجنا نريد البصرة، فنزلنا على ماء لبني سعد، فإذا أعرابيـةٌ نائمة، فـأنبهناها للصلاة؛ فأتَتْ الماءَ فـوجدتُه بـارداً، فتوجهت إلى القِبْلـة قـاعـدة ولم تمس الماء. فكبَّرت ثم قـالـت : اللهم قمتُ وأنـا عَجْلى، وصلَّيْتُ وأنا كسلى؛ فاغْفِرْ لي عدد الثرى. قال : فعجبنا وقُلنا : ما تجوزُ لك الصلاة، وما هذه بقراءة! قالت : والله إن هذه لصَلاتي منذ أربعين سنة.

● وقام أعرابيٌ وقد حضرت الصـلاة فقال : حَيَّ على العمل الصالـح، قد قامت الفلاح. ثم تقدَّم فكبَّر. وقال : اللهم احفَظْ لي حَسبِي ونسبِي، واردُدْ عليَّ ضالتِي، واحفَظْ هَمَلي [1]، والسلام عليكم.

● وكان بمصر رجل يعرف بأبي جعفر الشق، شبيه بأبي علي بن الجصاص في الغفلة والجَدِّ والنعمة.

وقـد حضر إليـه رجل مـرة، فطلب إليــه أن ينتظـر ليأكل معـه. فقـدِّم الطعام، وفيه حصرمية غير محكمة. فرفع يده وقال : مثل مطبخي يكون فيـه مثل هذه؟ عليَّ بالطباخ. فأتي، فقال لـه : ما هذا العمل؟ فقال : يا سيدي إنما أنا صـانع، وعلى قدر مـا أُعطى أعمل، وقد سألت المُنْفِـقَ يشتري لي ما أحتاجُ إليه فتأخَّر عني، فعملت على غير تمكّن؛ فجاء التقصيرُ كما ترى.

(١) الهَمَل : الإبل المتروكـة ليلاً ونهاراً.

فقال : عليَّ بالمنفِـق. فأُحضر. فقال : مالي قليل ؟ قـال : لا يا سيدي، بل عندك نعمٌ واسعة. قال : فما لك تضايُقنا في النفقة ولا توسع كما وسَّع الله علينا ؟ قال : يا سيدي، إنما أنفِقُ مـا أُعْطَى، وقد سألتُ الجهْبِذَ أن يدفعَ لي فتأَخَّر عني. فقـال : عليَّ بالجِهْبِذ. فأُتي به، فقـال : ما لك لم تدفَعْ للمنفِقِ شيئًا ؟ قال : لم يوقع لي الكاتب. فقال للكـاتب : لِـمَ لَـمْ تدفع إليه شيئًا ؟ فتلعثم في الكـلام، ولم يكن عندُه جـواب. فقـال للكـاتب : قِفْ هاهنـا. فـوقف، ووقف خلفه الجهبـذ، ووقف خَلْفَ الجهبـذ المنفِقُ، وخَلْفَ المنفِق الطباخ. وقـال : نفيت من فلان إن لم يَصْفَعْ كلُّ واحد منكم مَنْ يليـه بأكثر ما يقدر عليه، فتصافعوا.

قال : فخرجت وأنا متعجّب من غباوته، ودقته في هذا الحكم.

● ودخل عليه كاتبـه أبـو الحسين، فوجده يبكي بكـاءً شديـداً ويقـول : وا انقصـام ظَهْـرَاه، وا هلاَ كـاه ! فقلت : مـا للشريفِ لا أَبْكَى اللهُ عينـه ؟ فقـال : مـاتت الكبيرة ـ يـريد أمّـه ـ وكـان بارًّا بها. فقلت : مـاتَتْ ؟ قال : نعم ! فشققت جَيْبِي وأظهرتُ من الجَزَع ما يَجِبُ لمثلي. ثم إني أَنكَرْتُ الحالَ، إذ لم أَجِدْ لـذلك دليـلاً، لا أحدَ يعزِّيـه، ولا في الدار حَـرَكَة ؛ فبقيـتُ حائراً حتى أَتَتْ الخادِمـة. فقالت لسيـدها : الكبيرة تُقْـرئك السلام وتقـول لك : إيش تأكل اليوم ؟ قال : قولي لها، ومتى أكلْتُ قطّ بغير رغبتك ؟ فقلت له : يا سيـدي، والكبيـرة في الحيـاة ؟ فقال : وإيش تظنّ أنها مـاتَتْ من حـق؟ إنما رأيت البـارحـةَ في المنام كـأنها راكبةٌ على حمار مصري تسقِيـه من النيــل، فـذكرتُ قــول الشـاعـر : إذا ذهب الحـمــار بأمّ عمـرو . . . . . . البيت المشهور ! !

● وقال أبـو الحسين كاتبه : وأتيتُ إليـه يوماً وقـد ماتَتْ والدتي فعـرَّفْتُه ، فبكى وقال : ماتت كبيرتي ومـربِّيتي ـ وهو كان أكبر منهـا بأربعين سنة ـ ثم قال لغلامه : يا بشري ، قُمْ فجئني بعشرين ديناراً. فأتاه بها ، فقال : خُذْها فاشترِ بعشرة دنـانير كفناً ، وتصـدَّقْ بخمسة دنـانير على القَبْر. وأقبل يَصْرِفُ هو الخمسة الباقية فيما يحتاج إليه من تجهيزه . ثم قال لغلام آخر : امْضِ أنت يا لؤلؤ إلى فلان صاحبنـا يغسلها ، فاستحيَيْتُ منه وقلت : يا سيدي ، ابعث خلف فلانة تغسلها . قال : يا أبا الحسين ، ما تدع عَقْلَك في فرح ولا حزن ، كأنّ حرمَك ما هي حرمي ! كيف يـدخلُ عليها من لا نعرِفه . قلت : نعم ! تأذَنُ لي بذلك . قـال : لا والله ما يغسلهـا إلاَّ فلان ! فقلت : وكيف يغسل رجلٌ امرأة ؟ قال : وإنما أمك امرأة ؟ والله لقد أُنسيت ! !

● جـاء رجل إلى أبي ضمضم يستعـدي على رجل في دابَّةٍ اشتراهـا منـه ، وظهر بها عيب . فقـال له أبو ضمضـم : وما عيبُها ؟ قـال : في أصل ذَنَبها مثل الرمانة ، وفي ظهرهـا مثل التفاحة ، وفي عجيزتها مثل الجوزة ، وفي بطنها مثل الموزة ، وفي حلقها مثل الأتـرجة ، فقـال له أبـو ضمضـم : اذهب عنا ، فهذه صفة بستان وليست بصفة دابة !

● كانت امرأة سقـراط كثيرة الأذى لـه ، وقد أقبلت يوماً تشتمـه وهو ينظر في كتـاب ولا يلتفت إليها ، وهـي تغسل ثوبـاً ، فأخـذت الغسَّـالة وأراقتهـا عليه ، فقال : مازلت تُبرقين وترعدين حتى أمطرت !

ـ ولما مُضي بـه ليُقتل ، أقبلت تبكي وتصيح : وا مظلوماه ! فقـال : أكان يسرُّك أن أقتل ظالماً ؟ !

● حبس عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ الحطيئة لهجائه المقذع ، فكتب إليه من الحبس :

مـــاذا تقـــول لأفـــراخٍ بـــذي مَـــرَخٍ　　زُغْبِ الحواصلِ لا مـاءٌ ولا شجرُ (١)
غـادرْتَ كـاسبَهـم في قَعْـرِ مُظْلِمـةٍ　　فاغفـر هَدَاك مليـكُ الناسِ يـا عمر
أنتَ الإمـامُ الذي من بعـد صاحبـه　　ألقَتْ إليك مقـــالِيــدَ النهى البَشَرُ
لم يـــؤْثـــروكَ بها إذْ قـــدمـــوك لها　　لكن لأنفسهم كــانت لها الأُثَـر (٢)

فبكى عمر وأحضره، فقـال : قَدْ والله يا أمير المؤمنين هجـوتُ أبي وامرأتي وأمي . قال : وكيف ذلك ؟ قال قلت لأبي :

ولقـــد رأيتـك في المنـــام فسُـــؤْتني　　وأَبـــا بنيكَ فســـاءني في المجلسِ

وقلت لأمي :

تَنَحَّيْ فـــاجْلِسِي مني بعيـــداً　　أراحَ اللهُ منـكِ العـــالمينـــا
أَغِـــرْبـــالاً إذا استُـــودِعْتِ سِرًّا　　وكـــانـــونـــاً على المتحـــدثينـــا

وقلت لامرأتي :

أطـــوّف مـــا أُطـــوّفُ ثم آوِي　　إلى بيـت قَعيدتـــه لَكَـــاعِ

واطلعت في بئر فرأيتُ وجهي قبيحاً فقلت :

أَبَتْ شفتَـــاي اليـــومَ إلاَّ تكلُّما　　بســـوءٍ فـلا أَدْرِي لمن أنـــا قـائلـه
أرَى لي وجْهـــاً قبّـح الله خَلْقَـــهُ　　فقُبِّحَ مـن وجْـهٍ وقُبِّحَ حَـامِلُـهْ

فتبسّم عمر وقـال : فإن عَفَوْنا عنك، أتهجـو بعدها أحداً ؟ قـال : لا يا أمير المؤمنين، وعليَّ بذلك عَهْدُ الله ! فقال : لكأني بفتًى من قريشٍ قد نصب

---

(١) بذي مرخ يعني واديًا في الحجاز.
(٢) الأثر : جمع أثرة، وهي المكرمـة.

لك نمرِقَة [1]، فاتَّكَأْتَ عليها، وأقبلـت تنشده في أعراض المسلمين. قال : أعوذ بالله يا أمير المؤمنين.

قال بعض الـرواة : فوالله لقد رأيته عند عبيـد الله بن زياد على الحال التي ذكر عمر، فقلت له : لكأن أمير المؤمنين عمـر كان حاضراً لك اليوم ! فتأَوَّه وقال : رحم الله ذلك المرء، فما أصدق فراسته !

● قال مِزْيَد لامرأتـه : أنتِ غير شفيقةٍ علي، ولا راعيةٍ لي. فقالت : والله لأنـا أرعى بك من التي كانت قبلي وأشفق. قـال : أنت طالق ثـلاثاً ! لقـد كنتُ آتيها بالجرادة فتطبخ لي منها أربعة ألوان وتَشْوي جنينها !

فَـدَعَتْـهُ إلى القـاضي، فجعل القـاضي يطلـب لـه المخـرج، فقـال لـه : أصلحك الله، لا عليك إن أَشْكَلَتِ المسألة، فهي طالق ثلاثين !

● ولقي مِزيـد رجلاً كان صـديقاً لأبيـه فقال : يا بني، كـان أبوك عظيم اللحية، فما بالك أجرد ؟ فقال مزيد : خرجتُ لأمي !

● قال رجل لامرأتـه : الحمد لله الذي رزقنا ولداً طيبـاً. فقالت : ما رُزق أحدٌ مثلما رزقنا. فَدَعياه، فجاء، فقـال له الأب : يا بني، من حفر البحر ؟ قـال : موسى بـن عمران. قـال : من بلطـه ؟ قال : محمـد بن الحجـاج ! فشقَّت المرأة جَيْبَهَا، ونشرت شَعْرهـا، وأقبلت تبكي ! فتعجب الأب وقال : ما لكِ ؟ فقالت : لن يعيش ابني مع هذا الذكاء ! سيقتله ذكاؤه !

● مما يشكل هل هـو مدح أو هجـاء، أن أبا الينبغىٰ دفع إلى خيَّـاط أَعوَر اسمه زيـد طيلساناً يقـوِّره لـه، فلما جاءه ليأخذه دفعـه إليه، وقال لـه : قد

---

(١) النمرقـة : الوسادة الصغيرة، أو المثيرة.

خِطْتُ شيئًا لا تدري أهـو طيلسان أو هو دُواج [1]. فقال : وأنا أقولُ فيكَ بيتاً لا تدري أهو مدحٌ أو هجاء. وأنشده :

خـــاطَ لي زيـــد قَبـــاء ليـت عَيْنَيـــه سَـــوَاء

يريد بسواء : يكونان صحيحتين أو ذاهبتين.

ومن هنا اهتدى أبو الطيب المتنبي إلى قولـه :

فيـابنَ كـروَّسٍ يـا نِصْفَ أعمى وإن تفخَـرْ فيـا نِصْفَ البصير
تُعَـادِينـا لأنَّـا غيرُ لُكْنٍ وتُبغضنـا لأنَّـا غِيْرُ عُـورِ

ومن عجيب ما يتعلَّق بهذا البـاب إنه وصل إلى حَضرة سيف الـدولة رجل من أهل بغداد يعـرف بالمبحث، وكان ينقّر على العلماء والشعـراء بما لم يدفعه الخصم ولا ينكره الـوَهْم، فتلقَّاه سيفُ الدولـة باليمين؛ وأُعجِبَ به إعجـاباً شديداً؛ فقال يوماً : أخطأ امرؤ القيس في قولـه :

كـأَني لم أَرْكَب جـواداً للـذَّة ولم أتبطَّنْ كـاعبـاً ذات خَلْخَـال
ولم أسْبَأ الـزِّقَّ الـرويَّ ولم أَقُلْ لخيليَ كُـرِّي كـرَّةً بعـد إجْفَـال

وهـذا معدول عـن وجهه لا شك فيـه. فقيل : وكيف ذلك ؟ قـال : إنما سبيلُه أن يقول :

كـأني لم أركب جـواداً ولم أقـل لخيليَ كُـرِّي كـرةً بعـد إجْفَـالِ
ولم أَسْبَـأ الـزِّقَّ للـذَّةٍ ولم أتبطَّن كـاعبـاً ذات خلخـال

فيقترن ذِكْرُ الخيل بما يشـاكلها في البيت كلّه، ويقترن ذِكْـرُ الشرب واللهو بالنساء. ويكون قوله : للذَّةٍ في الشرب، أطبع منه في الركوب.

---

(١) الدُّواج : معطف غليظ.

فبهت الحاضرون، واهتزَّ سيف الدولة، فقال بعضُ الحاضرين من العلماء للمبحث : أنت أخطأْتَ، وطعَنْتَ على القرآن إن كنتَ تعمَّدتَ ؟ فقال سيف الدولة : وكيف ذلك ؟ فقال : قال الله تبارك وتعالى : ﴿إنَّ لكَ ألاَّ تجوعَ فيها ولا تَعْرَى . وأنَّك لا تظمأُ فيها ولا تَضْحَى﴾[1]. وعلى قياسه يجب أن يكون : إنَّ لك أن لا تجوع فيها ولا تَظْمَأ، ولا تعرى فيها ولا تَضْحَى . وإنما عطفه امرؤ القيس بالواو التي لا تُوجِبُ تعقيباً، ولا ترتب ترتيباً . فخجل وانقطع .

● كان أبو الحارث حسين يُظهر لجاريةٍ من المحبة أمراً عظيماً . فَدَعَتْهُ، وأخَّرتِ الطعام إلى أن ضاق . فقال لها : ما لي لا أسمع للغداء ذكراً ؟ فقالت : يا سبحان الله ! أما يكفيك النظرُ إلي وما ترغبه فيَّ من أن تقول هذا ؟ فقال : لو جلس جميل وبثينة من بكرة إلى هذا الوقت لا يأكلان طعاماً، لبصق كلُّ واحد منهما في وجه صاحبه !

● تسابقت الخيل في الحَلَبة، ففاز حصان من بينها، فجعل رجل من الحضور يكثر الفرح ويكبِّر ويصفِّق . فقال له رجل إلى جانبه : يا فتى، الحصان لك ؟ قال : لا، ولكن اللجام لي !

● عوتب طفيلي على التطفل فقال : والله ما بُنيت المنازل إلا لتُدخل، ولا نُصبت الموائد إلا لتؤكل، وإني لأجمع في التطفيل خصالاً جيدة، فأدخل مُجالساً، وأقعد مستأنساً، وأنبسط وإن كان ربُّ الدار عابساً، ولا أتكلف مَغْرَماً، ولا أنفق درهماً، ولا أُتعب خادماً !

● قيل لبشار بن برد : إن فلاناً يزعم أنه لا يُبالي بلقاء واحدٍ أو ألف .

فقال : صدق، لأنه يفرُّ من الواحد كما يفرُّ من الألف !

● كان جامع بن وهب الصيدلاني من أكبر الناس دنيا، وأعظمهم غفلة :

---

(1) سورة طه، الآيتان ١١٨ ـ ١١٩ .

ـ دخل بستاناً له، فقال لوكيله : اغرس لي بصلاً بِخَلّ، فإنه نافع للصفراء!

ـ وعثرت به البغلة، فقال لغلامه : انظر، هل سال الدم من إصبعها؟

وسقطت ابنته في البئر فقال : يا بنيَّة لا تبرحي من مكانك حتى أجيء بمن يخرجك منها!

● تعطَّر مغفَّل بالبخور في ثياب نفيسة، فاحترقت، فحلف بالطلاق أن لا يتبخَّر بعدها إلا عُرياناً!

● وأتى مغفَّل آخر ليكسر لوزة. فزلقت عن الحجر! فقال : كل شيء يفرُّ من الموت، حتى البهائم أيضاً!!

● وقال الحمدوني في أضحية أهداها إليه سعيد بن أحمد بن جوسبنداد :

أسعيدُ قد أهديتَني أضْحيةً مكثت زماناً عندكم ما تُطْعَمُ
نضْواً تغامزَت الكلابُ بها وقد شدّوا عليها كي تموت فيولِموا
فإذا الملاَ ضَحِكُوا بها قالتْ لهم لا تهزؤوا بي وارحموني تُرْحَمُوا
مرّتْ على عَلَفٍ فقامت لم تَرِمْ عنه وغنَّتْ والمدامعُ سُجَّمُ

● وقال :

أبا سعيد لنا في شاتِك العِبَرُ جاءت وليس لها بَوْلٌ ولا بعرُ
وكيف تَبْعَرُ شاةٌ عندكم مكثَتْ طعامُها الأبيضان : الشمس والقمرُ
لو أنها أبصرَتْ في نومها عَلَفاً غنَّتْ له ودموع العينِ تنحدرُ
يا مانعي لذَّةَ الدنيا بما رحُبت إني ليمتعني من وجهك النَّظَرُ

وقال :

شـــاةُ سعيـــد في أمـــرِهـــا عِبَرٌ ... لما أتتنـــا قـــد مسَّهـــا الضرَرُ
وهي تُغنِّـي لســـوء حـــالتهـــا ... حَسْبي بما قـــد لقيت يـــا عُمَـــرُ
مـــرَّتْ بقطـف خضر ينشِّرُهـــا ... قـــــومٌ فظنَّـت بـأنها خضر
فأقبلَـتْ نحـوهـــا لتـــأْكلهـــا ... حتـى إذا مـــا تبيَّن الخبـــرُ
وأبـــدلتهـــا الظّنـــون من طَمع ... يـــأْســـاً تغنَّتْ والـــدمعُ ينحـــدرُ
كـــانـــوا بعيـــداً وكنتُ آملهم ... حتى إذا مـــا تقـــرَّبـوا هجَـــرُوا

وقال :

لسعيـــــــدٍ شُـــــــوَيْهَةٌ ... سَلَّهَـــــــــا الضُّرّ والعَجَـفْ
قـــــــد تغنَّـتْ وأبصرتْ ... رجـــلاً حـــامـــلاً عَلَـفْ
بـــأبي مـن بكفّـــــــــه ... بُـــرْءُ مـــا بي من الـــدَّنَفْ
فـأتـــاهـــا مطمِّعـــاً ... فأتتـــــــــه لتَعْتَلِـفْ
فتـــــــولَّى فـأقبلـت ... تتغنَّــــى مــــن الأسَـــفْ
ليتـــه لـــــم يكُنْ وَقَـفْ ... عـــــــذَّبَ القلـبَ وانصرَفْ

● قَدِمَ رجـلٌ إلى القاضي في شيء يـدَّعيه عليه، فـأنكر. فقـال للقاضي : اكتب لي أصلحك الله إنكارَه. قال : ذلك في يدك متى شئت !

● بعثت عائشـة بنت سعد بن أبي وقـاص مولاها فنـداً يأتيها بنـارٍ ـ وهي بالمدينـة ـ فمضى إلى مصر، فأقام بها سنـةً، ثم جاء بنارٍ وهو يعـدو مسرعاً، فعثر، فبدَّد الجمر ! فقال : تعست العجلة ! !

مـــا رأينـــا لغـــراب مثـــلاً ... إذ بعثنـــاه يجي بـــالمشعلـــةْ
غير فنـــدٍ أرسلـــوه قـــابســـاً ... فثـــوى حـــولاً وسبَّ العجلـــةْ !

● صعد ابن زهير الخُزاعي جبلاً، فأعيا، وسقط كالمغشي عليه، فقال: يا جبل ما أصنع بك؟ أأضربك؟ لا يوجعك. أأشتمك؟ لا تُبالي. يكفيك يوم تكونُ الجبال كالعهن المنفوش!

● قالت الخنفساء لأمها: ما مررتُ بأحد إلا بصق علي! قالت: يا بُنية لحسنك تُعوَّذين.

● وقف كلب على قصَّاب فآذاه، فقال له القصاب: والله لئن قمتُ إليك لأرمينَّك بهذا الكرش! فلم يبرح. فتغافل عنه القصاب، فلما طال وقوفُ الكلب، قال للقصاب: ترمينا بالكرش أو ننصرف!

الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة (*)
لابن سماك

● ذكر أن ملكاً من ملوك الهند (1) نزل به صمم، فأصبح متوجِّعاً، مهتماً بأمور المتظلِّمين وأنه لا يسمع استغاثتهم. فأمر مناديه ألا يلبس أحد في مملكته ثوباً أحمر إلا مظلوم، وقال: لئن مُنِعْتُ سمعي لم أُمنع بصري. فكان كل مظلوم لبس ثوبا أحمر ووقف تحت قصره يكشف عن ظُلامته!

● قال رجل ليحيى بن خالد البرمكي: والله لأنتَ أحلم من الأحنف، وأحكم من معاوية، وأحزم من عبد الملك، وأعدل من عمر ابن عبد العزيز!

(*) الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة / لابن سماك العاملي؛ دراسة وتقديم وتحقيق محمود علي مكي. ـ مدريد: المعهد المصري للدراسات الإسلامية، ١٤٠٤هـ، ١٩٠ ص.
والمؤلف أبو القاسم محمد بن أبي العلاء محمد بن سماك المالقي الغرناطي، من تلاميذ ابن الخطيب في غرناطة خلال النصف الثاني من القرن الثامن الهجري.
والكتاب مجموعة من الأخبار والطرائف والمواعظ، قصد بها المؤلف تقديم مادة لتثقيف المتأدبين من الأمراء وأبناء السلاطين. يقول في مقدمته: «إن في الاطلاع على أخبار المتقدمين ومن سلف من خيار المسلمين لمسلاةً للنفس، واستجلاباً لحصول الأنس، لما يتخلَّل ذلك من نوادر الأخبار، ويفيد من المواعظ والاعتبار، ولما يشتمل عليه من ضروب الفوائد، ويوقظ إليه من الهداية إلى جميل السِّير وكريم المحامد، لا سيما أخبار الملوك والأمراء، والحجاب والوزراء، فأخبارهم تعمُر مجالس الأشراف، وللنفوس إلى تعرُّفها تطلُّع واستشراف، ولهممهم عنها سؤالات ومباحث، واستشهاد بما جرت به الكوائن والحوادث . . . فجمعتُ في هذا المرسوم من نكت أخبارهم الغريبة، ونوادرهم العجيبة، وتوقيعاتهم المختصرة القريبة، ما ربما يُستحسن مسموعُه، ويندر في كل كتاب وقوعه. أضفتُ كل شكل منها إلى شكله، وضممتُ الفرع إلى أصله، ضمَّنتُه منها كل حكاية لطيفة، وحلَّيتُه بكل طريفة، فاجتمع منها زهرات يانعة، لفنون الأخبار جامعة، بديعة الوضع، مجنبة عن الطول، فيها استبصار لأرباب العقول . . .».
(1) في مصادر أخرى أنه من ملوك الصين.

فقـال له يحيـى : والله لعُمير غلامُ الأحنف أحلم مني ، ولسَرْجُـون كـاتب معاويـة أحكم مني، ولأبو الزُّعيزعـةَ صاحب شرطة عبـد الملك أحزم مني، ولمزاحـم قهرمـان عمر بن عبد العزيـز أعدل مني . وما تقـرَّب إليَّ مَنْ أعطاني فوق حقي .

فعجب مَنْ حضره من سرعة جوابه وتعديـده لمن لا يعرفه ، حتى كأنه قد أعدَّ الجواب !

● عُـرض على المنصور بن أبي عـامر اسم أحـدْ خُدَّامـه في جملة مَنْ طـال سجنه؛ وكـان شديد الحقد عليـه . فوقَّع على اسمه بأن لا سبيل إلى إطـلاقه حتى يلحق بأمه الهاوية (يعني الموت) . وَعَرَفَ الرجل بتوقيعه ، فاغتمَّ وأجهد نفسه في الدعاء والمناجاة . فـأُرِق المنصور بن أبي عامر على إثر ذلك ، وحاول النـوم فلم يقدر، وكـان يأتيه عنـد بدايـة نومـه آتٍ كريـه الشخص ، عنيف الأخذ ، يأمره بإطلاق الرجل ويتوعَّده على حبسه ! فاستدفع شأنه مراراً، إلى أن علم أنه نـذير من ربِّـه ، فانقاد لأمـره ، ودعا بـالرواة من مـرقده ، فكتب بإطلاقه، وقال في كتابـه : هذا طليق الله على رغم أنف ابن أبي عـامر !

وتحدَّث الناسُ زماناً بما كان فيه .

● سأل سليمان بن عبـد الملك موسى بن نصير : مـا كنتَ تفزعُ إليـه عند خروجك إلى حربك ومباشرة عدوك ؟

قال : الدعاء، والصبر عند اللقاء .

قال : فأي الخيل رأيتها في تلك البلاد أصبر ؟

قال : الشُّقـر.

قال : فأي الأمم كانوا أشدَّ قتالاً ؟

قال : هم أكثر من أن أصفهم لك .

قال : فأخبرني عن الروم .

قال : أسود في حصونهم ، عِقْبانٌ على خيـولهم ، إن رأوا فرصة افترصوها ، وإن رأوا غلبةً فأوعالٌ تذهب في الجبال ، لا يرون الهزيمة عاراً .

قال : فأخبرني عن البربر.

قال : هم أشبـه بالعـرب لقاءً ونجـدة وصبراً وفروسيـة وسماحة ، غير أنهم أغدر الناس ، لا وفاء لهم ولا عهد .

قال : فأخبرني عن أهل الأندلس .

قال : ملوكٌ مترفون ، وفرسان لا يَجْبُنون .

قال : فأخبرني عن الإفرنج .

قال : هنالك العدد والعُدَّة ، والـجَلَد والشِّدَّة ، والبأس والنجدة .

قال : فأخبرني كيف كانت الحرب بينك وبينهم ؟ أكانت لك أم عليك ؟

فقال : أما هذا فوالله يا أمير المؤمنين ما هُزِمَتْ لي رايـة !

قال : فضحك سليمان وعجب من قولـه !

● قال الخليفة أبو جعفر المنصور : بلغني أن أسـداً لقي خنزيراً ، فقال له الخنـزير : قـاتلني . فقال لـه الأسد : إنما أنت خنـزير ، ولست لي بكفُـو ولا نظير ، ومتى فعلت الذي تـدعوني إليه فقتلتك قيل : قتل خنزيـراً ، فلم أعدَّ ذلك فخراً ولا ذكراً حسناً ، وإن نالني من قبلك شيءٌ كان سُبَّـةً علي .

فقال له الخنزير : إن أنت لم تفعل رجعتُ إلى السباع وأعلمتُها أنك نكلتَ عني وجَبُنْتَ عن قتالي .

فقال الأسد : احتمالي كذبك أيسرُ عليَّ من لطخ شاربي بدمك !

● حُكي عن معروف الكرخي أنه جلس يوماً على شاطىء دجلة وحوله جماعة من تلامذته، إذ نظروا إلى قوم بإزائهم يتغنَّون بالعود، ويتعاطون ماء العنقود، فقالوا : أيها الأستاذ، أما ترى اجتراء هؤلاء على الله ؟ ادعُ الله عليهم . فقال معروف : اللهم كما فرَّحتهم في الدنيا ففرِّحهم في الآخرة . فقالوا : سألناك أن تدعو عليهم فدعوتَ لهم ! قال : نعم، إنه إن فرَّحهم في الآخرة تاب عليهم في الدنيا .

● خرج الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فنظر إلى النجوم تُزْهِر، فحمد الله، وسبَّح، واعتبر، ثم قال في آخر كلامه : اللهم لا تُحوِجْني إلى أحد من خلقك ! فسمعه أبوه رضي الله عنه فقال : تطلب من الله شيئاً لم يُعْطَهُ الصفوة من أنبيائه ؟ إنما قل : اللهم ليِّن لي قلوب عبادك .

● قيل لأعرابي : أتحسن أن تدعو ربك ؟ قال : نعم. قيل : فادعُ . فقال : اللهم إنك أعطيتنا الإسلام من غير أن نسألك، فلا تَحْرِمنا الجنة ونحن نَسْأَلُك .

سلوان المطاع في عدوان الأتباع (*)
لابن ظفر الصقلي

● حُكي أن موسى الهادي كان يوماً في بستان ومعه أهل بيته وبطانته، وهو راكب على حمار، وليس معه سلاح. فدخل عليه حاجبه، فأخبره أن رجلاً من الخوارج جيىء به أسيراً ـ وكان الهادي حريصاً على الظفر به ـ فأمر بإدخاله بين رجلين قد أمسكا بيديه. فلما رأى الخارجي الهاديَ، جذب يديه من الرجلين الذين كانا يمسكانه، واخترط سيف أحدهما، ووثب نحو

(*) السلوانات في مسامرة الخلفاء والسادات: سلوان المطاع في عدوان الأتباع / تأليف أبي عبد الله محمد بن محمد بن ظفر الصقلي؛ حرره وراجعه على النسخ الخطية وقدم له: أبو نهلة أحمد بن عبدالمجيد. ـ القاهرة: أسعد طرابزوني الحسيني، ١٣٩٨هـ، ١٥١ ص.

يعد الكتاب ضمن كتب سياسة المجتمعات، عن طريق سرد الحكايات وإيراد الحكم والوصايا والإرشادات، مما يناسب سياسة الملوك، وينتفع به القادة والرؤساء. وقد ألَّفه ابن ظفر سنة ٥٥٤ هـ للقائد الصقلي أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم علي القرشي. وذكر في مقدمته أنه سمى هذه السلوانات التي جمعها «سلوان المطاع . . » مبيناً أن «السلوان» جمع سلوانة، وهي خرزة تزعم العرب أن الماء المصبوب عليها إذا شربه المحبُّ سلا !!

والكتاب يحوي خمس سلوانات: الأولى في التفويض، والثانية في التأسي، والثالثة في الصبر، والرابعة في الرضى، والخامسة في الزهد.

وهي طويلة، وقد انتقيت منها حكايتين أتتا عرضاً ضمن هذه السلوانات، مع انتقاء بعض الحكم والإرشادات المفيدة الغريبة.

والمؤلف ولد بصقلية، ونشأ بمكة المكرمة. وقصد مصر في صباه، ثم قصد المهدية بإفريقيا. ولما استولى النورمانديون على المهدية سنة ٤٨١هـ انتقل إلى صقلية، ومنها إلى حلب، ماراً بمصر. وفي حلب كتب تفسيره للقرآن الكريم بمدرسة ابن أبي عصرون، ثم قصد حماة بعد أحداث وقعت في حلب. وفي حماة تلقى وظيفة بالديوان كان راتبها دون الكفاف. وكان دميم الخلقة، غير أنه صبيح الوجه ـ كما يذكر ابن خلكان والصفدي ـ ت ٥٦٥ هـ.

الهادي . ولما رأى ذلك مَنْ كان حول الهادي من أهلـه وخاصته ، فرُّوا جميعاً ، وبقي الهادي وحـده . فثبت على حماره بمكانـه ، حتى إذا قرب الخارجي منـه وكـاد يعلـوه بـالسيف ، قـال الهادي : اضرب عنقــه يـا غـلام ! فـالتفت الخـــارجي حين سمع ذلك ، ووثب الهادي عـن سرجــه ، فإذا هـــو على الخـارجي ! وسقط الخارجـي تحتـه ، فقبض الهادي على يـده ، وانتـزع منـه السيف ، فذبحـه به ، ثم عـاد إلى ظهر حماره من فوره . وتـراجع إليه خـاصته وأهلـه يتسللـون وقد مُلـؤوا منه رعبـاً وحياء ، فما خاطبهـم في ذلك بحرف . ولـم يكن بعد ذلك يفارقه سيف ، ولا يركب إلا ألخيل .

● حُكي أن طحاناً كـان له حمار يطحن به ، وكانت له زوجـة سوء يحبها ، وهي تحب جـاراً لها ، وذلك الجار الـذي تحبـه يبغضها ويمتنع منهـا . فـرأى الطحان في منامه قـائلاً يقول لـه : احتفر في موضع كذا من مـدار الطاحونة تجد كنزاً . فحـدَّث امرأتـه برؤياه ، وأمـرها بكتمانه . لكنها أخبرت بها جـارها الذي تهواه ، وتقربت بها من قلبه . فواعدها أن يذهبا إلى الموضع ليلاً ليتعاونا على حفره . وفَعَلا ذلك ، فـوجدا الكنز ، واستخرجـاه . فقال جار المرأة لها : كيف نصنع بهذا المال ؟ قالت : نقسمه نصفين بـالسواء ، وينطلق كل واحد منا بنصفه إلى منـزله ، وتفارق أنت زوجتك ، وأحتالُ أنـا في فراق زوجي ، ثم تتزوجني ، فإذا اجتمعنا على النكاح جمعنا المال ، فكان بأيدينا .

فقال لها جـارها : أنا أخــاف أن يطغيك الغنى فتنكحي غيري ، ثم قـال لها : بل الرأي أن يكون جملـة المال عندي لتحرصي على التخلص من زوجك واللحاق بي .

فقـالت له المرأة : إني أخـاف منك مثل الذي خفت مني ولست مسلِّمـةً إليك حظي من هذا المال ، فلا تحسدني على حظي منه ، وقد آثرتك بالدلالـة عليه .

فلما سمع مقالتها، دعاه البغي والشَّرَه والحذر من نميمتها عليه، إلى قتلها! فقتلها، وألقاها في موضع الكنز، ولم يوار جسدها بالتراب . . فقد كان في عجلة من أمره!

ويخرج الطحَّان من بيته وهو راكب حماره متجهاً إلى مكان الكنز . . وعندما وصل إلى مقربة منه، رأى حماره جثة المرأة . . فوقف ولم يتقدَّم، فضربه الطحَّان، لكنه لم يتحرك ـ وهو لا يعرف سبب توقفه ـ فأخذ سكيناً، ونخسه نخسات كثيرة . . ثم استشاط غضبه، فطعنه بها على خاصرته، فمرَّت فيه السكين، وسقط ميتاً.

ولما انتشر الضوء، رأى الطحَّان الحفرة، ووجد امرأته فيها مقتولة، فاستخرجها، فرأى آثار الكنز. فاشتدَّ أسفه على ذهاب الكنز، وهلاك المرأة والحمار، فقتل نفسه!

● سأل يزدجرد بن بهرام حكيماً من الفلاسفة: ما صلاح الـمُلْك؟

قال: بالرعية، وأخذ الحق منها بغير تعسف، والتودُّد إليها بالعدل وآمن السُّبل، وإنصاف المظلوم.

قال: فما صلاح الـمَلِك؟

قال: وزراؤه. إذا صلحوا صلح.

● قيل: كان الحجاج بن يوسف إذا تعارضت آراؤه في خَطْب من الخطوب أنشد:

دعها سماويَّةً تجري على قَدَرٍ لا تفسدنَّها برأي منك منكوس

● قيل: إن حروف الغربة مجموعة من أسماء دالة على محصول الغرب!

فالغين: من غدر وغيبة، وغبن وغم وغلة، وهب حرارة الحزن، وغيرة وغول، وهي كلها مهلكة.

والراء: رزء وروع وردى، وهو الهلاك.

والباء : من بلوى وبؤس وبوار، وهو الهلاك .

والهاء : من هون وهواء وهم وهلك !

● كان يقال : يُسْتَدلُّ على إدبار الملوك بخمسة أمور :

أحدها : أن يستكفي الملك بالأحداث ومن لا خبرة له بالعواقب .

والثاني : أن يقصد أهل مودته بالأذى .

والثالث : أن ينقص خراجه عن قدر مؤونة المملكة .

والرابع : أن يكون تقريبه وإبعاده للهوى لا للرأي .

والخامس : استهانته بنصائح العقلاء وآراء ذوي الحنكة .

ـ ليس الأسير من أوثقه أعداؤه أسراً، إنما الأسير من أوثقه هواه قسراً.

ـ كُتب في الصحيفة الصفراء المعلقة في أعظم هياكل الفرس : كما أن الحديد يعشق المغناطيس، فكذلك الظفر يعشق الصبر، فاصبر تظفر.

ـ الصبر دَرَجٌ يفضي بمن عَرَج إلى الفرج .

ـ انظر إلى الناصح : فإن أتاك بما يضرُّ غيرك ولا ينفعك، فاعلم أنه شرير. وإن أتاك بما ينفعك ويضرُّ غيرك، فاعلم أنه طامع . وإن أتاك بما ينفعك ولا يضرُّ غيرك، فاصغ إليه وعوِّل عليه .

ـ إذا عجزت عن التحصن من كلام عدوِّك، فأنت عن التحصُّن من كيده أعجز.

ـ أيدي الرعية تَبَعٌ لألسنتها، فإذا قدرتَ على أن تقول، قدرت على أن تصول .

ـ لا تغشَّ عـدوَّك إلا متسلحاً متحرزاً متحفظـاً ، ولا يغرَّك منه استسـلامه وإلقاؤه السلاح ، فما كلُّ سلاح يُدْرَكُ بالبصر.

ـ من تعَرَّض لما لا يعنيه ، تورَّط فيما لا قبل له به .

ـ إذا لم تجد من الـخَدَم إلا من ساء أدبُه ، فاخدم نفسـك ولا تستخدمه ؛ لأنه يحمل على قلبك من المشقـة أضعاف ما تحمل على بدنك .

ـ من أوضح وبيَّن فقد نصح وزيَّن ، ومن حذر وبصر فما غدر ولا قصر.

ـ الغنى مفسدة للنساء ، لغلبة شهواتهن على عقولهن !

صاحب الذوق السليم ومسلوب الذوق اللئيم (*)
للسيوطي

● صاحب الذوق السليم : مزاجه مستقيم، يَتخذ التواضع سُنَّة، والعطاء من غير منَّة، والعفو عند المقدرة، والتغفُّل عن الـمَعْيَرة، لا يزدري فقير(1)، ولا يتعاظم بأمير، لا ينهر سائل، ولا هو عما لا يعنيه سائل، كريم طروب، قليل العيوب، كثير المزاح، جميع خصائله ملاح، صاحب الأصحاب، حبيب الأحباب، ليس بكذاب ولا مغتاب، نطقه صواب. عفيف شريف، كيِّس لطيف، ليس بكثيف. مليح الصفات، ليس بقتَّات(2) يواسيك ويسليك، ويتوجع إليك، ويعظك ويتحفك بعلمه وماله، ولا يُحوجك إلى سؤاله، ينظر إلى المضطر بعين الفراسة، ويواسيه بكياسة. رجل هُمام، والسلام.

المسلوب الذوب الأحمق : عقله ممزَّق، وعيناه تتبحلق، يعيط ويبقبق(3)، ولزوجته يطلق، لا يهتدي لصواب، ولا يتأمل ردَّ جواب. إن مدحتَه

(*) كتاب في صفة صاحب الذوق السليم ومسلوب الذوق اللئيم / جلال الدين أبو الفضل عبدالرحمن السيوطي. ـ ط، محققه. ـ بيروت : دار ابن حزم، ١٤١١هـ، ٨٠ ص.

وهو جزء من مقامات السيوطي، التي لم ترد ضمن «شرح مقامات جلال الدين السيوطي» التي صدرت في مجلدين، بشرح سمير محمود الدروبي.

يبدأ الإمام السيوطي مقامته هذه بصاحب العقل والذكاء، ويذكر من صفاته، ويُثنِّي بضدِّه وهو الأحمق، ثم يذكر صاحب الذوق السليم من الملوك وضده، ومن الأمراء والأجناد وأبناء الترك والغلمان، ثم يذكر بعد ذلك القضاة والموقعين والخطباء والكتَّاب وغير ذلك، إلى أن يختم بصاحب الطرب من المغنين والملحنين، وينهي مقامته بأرجوزة في مقامات الغناء.

(1) ينحو الكاتب منحى العامية في مقاماته، ولا يراعي القواعد النحوية، من أجل السجع.

(2) القتَّات : النمَّام.

(3) بقبق : كثر كلامه.

ازدراك، وإن تـركتـه عـاداك وهجـاك. مـا لعلتـه دواء، والخير والشرُّ عنـده سواء. لو فرشتَ خدك بالأرض، ظن أن ذلك عليك فرض. إذا لبس الشيء الجديد، يظنُّ النـاسَ كلهم له عبيد. في نفسه غلطان، ويظـنُّ أنه سلطان. فهـو من أنكاد الـدهـر، والـخَلْقُ جميعـاً منـه في قهر. رجل مطـلاق، سيء الأخلاق.

النذل من الـرجال : قليل الوفـاء، مصفوع القفـا. قليل الغَيْرة، مع كل خيل مغيرة. قليل الأدب، كثير الضحـك بـلا عجب. كثير النـوم، قليل الهمة بين القـوم. لا يقضي حاجـة، كثير اللجاجة. يـأكل الكدَّ الكثير، ولا يـرى لذلـك تأثير. ولو خـربت الشـام وسـائر الثغور، تـراه من غير فكـر في البجـاقـات يـدور. يغـوي الخصـال القبـاح، ويترك الخصـال الملاح. كثير العيوب، وهو من الذوق مسلوب. رحم الله من تأمل هذه الخصال، وجعل بينه وبينها انفصال.

صاحب الذوق السليم من القضاة : لا يقبل الرشوة، ويترفَّق في الدعوة، لا يسعى في وظيفـة، ويتأمل مـا كـان عليـه أبـو حنيفـة. ينظـر في حـال المسكين، ويحصل لـه عليـه مـن المشقـة كمن ذُبح بغير سكين. رضيُّ الخلق سيـوس، ضاحك غير عبـوس. يسـاوي بين الخصمين، وينظر في حقيقـة الـدَّيْن. لا يميِّز صـاحب ألف دينار على من يملك قنشـار [1]، ويعلم أن قاضياً في الجنة وقـاضيين في النار. لا يراعي في الحكم جار، ويخشى أن يُحرق بالنـار. لـه معـان وبيان، وفقه وتصريف بإمكـان، فهو خير إنسـان. نطقه سعيد، وخيره يزيد، وقد أقامه الله تعالى لمصالح العبيد. فهو خائف من الله

(١) القنشار : ما يساوي فلساً أو نحـوه.

متوكل على الله، لا يحكم إلا بحكم الله. لايقبل شهادة الزور، ولو كان على وزن الخردلة في كل الأمور.

فرحم الله من تأمل هذه الخصال، وجعل بينه وبينها اتصال.

ضد ذلك المسلوب الذوق من القضاة[1]: لا فقه ولا معاني ولا بيان، ألكن اللسان، لا يسوي بين الخصمين، ويقبل الرشوة ولو كانت فلسين. لا يرافق العلماء، ويزدري بالفقراء. يقبل شهادة الزور، ولا ينظر في عواقب الأمور، كأنه لا يرى التنقل من القصور إلى القبور، فهو رجل مغرور أو مسحور. فلا يفيق من الغفلة، وهو أضعف من نملة. ليس هو أهل الوظيفة، ولا يتأمل ما قال أبو حنيفة. فرحم الله من اتبع النعمان، وأعرض عن القضاء في هذا الزمان.

صاحب الذوق السليم من الشّحاذين: قليل السؤال، كثير الاحتمال، يرضى بالقوت، حتى لا يصير ممقوت. راض بقسمة الله، متوكل على الله. يمضي خماصاً ويعود بِطان، فهو من الشيطان في أمان. لا يحزن على ما فاته بالأمس، مهذب الأخلاق، لا يخالف الرفاق، كل خلوة عنده حلوة، إذا حصلت المؤونة، فلا يشقُّ المدينة. عفيف النفس نظيف، لا يسأل الناس أكثر من رغيف.

وضد ذلك المسلوب الذوق من الشحّاذين: ثقيل الدم لحوح، لو حلفتَ له بالطلاق ما يخليك تروح، جَرْبَنْدِيَتُه[2] ملآنة كِسَر، ويحلف أنه ما فطر. يشحت من بكرة إلى العشاء، ويقول إنه بات بلا عشاء. يجهل نعمة الله، ولا يرضى بما قسم الله، وقلبه ملآن بالحسد، ولا يشكر أحد، يكنز الفضة

---

(١) لم أنقل كل ما قاله الكاتب . . هنا وهناك!

(٢) جِراب يوضع على الكتف.

والذهب. يسأل وعنده ما يكفيه ويزيد، فكأنه من نار جهنم يستزيد. لا يشتري له حاجة بفلوس، بل يشحت من النصارى واليهود والقسوس. كثير السؤال، قليل الاحتمال. ما يكفيه كافية، فلا شفاه الله بعافية.

صاحب الذوق السليم من النساء : صيِّنة، ديِّنة. ليِّنة المعاطف، قلبُها من الله خائف.

لا تكلِّف بعلها ما لا يطيق، فهي من المؤمنات بتحقيق. ليست صخَّابة، ولا كذَّابة. جفونها وسنة، وألفاظها حسنة. شفوقة رفيقة، فهي نعمة وثيقة. تأكل من ماله بالمعروف، ولا ذبح كل يوم خاروف. لا تشكو بعلها للجيران، خائفة من النيران. نهارها صيام، وليلها قيام، ودينها تمام. كثيرة السكون، سوداء العيون. كيِّسة ظريفة، عفيفة شريفة، لطيفة نظيفة. لا تنقض العهود، قليلة الصدود، ناعمة الخدود. لا تسفر عن وجهها لغير بعلها، ولا تلين كلمتها إلا لأهلها. تزيد محاسنها بالعبادة، وتتخذ الخير عادة، داعية إلى الله أن تموت على الشهادة.

وضد ذلك المسلوبة الذوق من النساء : صخَّابة، سخَّاطة، حَمْرية شرواطة، حرفوشة عياطة [1]. لا يصطلى لها بنار، وهي من الأشرار. تتمنحس [2] وتغير، وزوجها معها كالأسير، تكلف زوجها ما لا يطيق. لا تقنع بالقليل، ولا تراعي في الأنام خليل. كثيرة الملك، ولو لبست حُلَّة من الحلل. تكره الحلال، وتبدي له الضجر والملال. نحسها معروف، ولو أُنفق عليها من الألوف. حالها متلوف، ولو ذُبح لها كل يوم خاروف.

فرحم الله امرأة تأملت هذه الخصال، وجعلت بينها وبينها انفصال.

---

(١) السخَّاطة يعني كثيرة السخط، والحمرية ربما من الاحمرار عند الغضب. وشرواطة كثيرة الشروط، وحرفوشة هي الأشرة كثيرة العراك، وعياطة أي دائمة الصياح والجلبة.

(٢) هي التي يصحبها النَّحْس دائماً.

طرائف الأطباء (*)

للحكيم التكريتي

● كان لبعضهم ولد نحوي يتقعَّر في كلامه، فاعتل أبوه علة شديدة أشرف منها على الموت، فاجتمع عنده أولاده وقالوا: ندعو لك فلاناً أخانا؟

قال: إن جاءني قتلني!

فقالوا: نوصيه أن لا يتكلم.

فدعوه، فلما دخل عليه قال له:

يا أبت قل لا إله إلا الله تدخل بها الجنة وتفز من النار، يا أبت والله ما شغلني عنك إلا فلان، فإنه دعاني بالأمس إلى ضيافة، فأهرس وأعدس واستبرح وسكبج وطهج وأخرج ودجج وأبصل وأمضر ولوزج وافلوذج..

(*) طرائف الأطباء/ راجي عباس التكريتي، ط ٢. ــ بيروت: دار الأندلس، ١٤٠٤هـ، ٣٦٨ص.

والكتاب مجموعة فريدة من النوادر والفكاهات والطرائف التي تتناول الطب والأطباء والمرضى والمستشفيات قديماً وحديثاً، جمعها طبيب متخصص في أوقات متفاوتة، لتكون تنفيساً لمن أرهقتهم مشكلات الحياة ودروبها الشائكة، وتكون تسلية لمن هم على أسرّة المرض، وربما تكون توجيهاً وحكمة وثقافة لمن أراد أن يدلف إلى أعماق هذه الطرائف والظرائف، ففيها فلسفة وحكمة وطب وفن،.. وأن تكون عوناً لبعض الأطباء لفهم مرضاهم ونوعية مراجعيهم بدلاً من ذكر الطلاسم والمعميات، وإدراك ما يفكر به المرضى، وما هو مستوى إدراكهم وتصوراتهم عن المرض، والتداوي، والمراجعات، والإمكانات المادية، ومشكلات البيت والحارة والمدرسة والسوق.

وقد وزع الكاتب طرائفه على الموضوعات التالية: من التراث القديم، طرائف غربية، مع أطباء المفاصل والعظام، مع طلبة الطب، مع أطباء وطبيبات الأمراض النسائية والتوليد، نوادر الصيادلة، استشارات طبية ومع المراجعين، مع أطباء الأمراض الداخلية والصدرية، مع أطباء العيون، مع أطباء الأسنان، مع أطباء الأطفال، أطباء الأنف والأذن، مع الجراحين، الأطباء النفسانيون، نوادر طبية متنوعة.

فصاح أبوه : أغمضوني فقد سبق هذا ملك الموت إلى قبض روحي!

● انتاب الشاعر حافظ إبراهيم ألم في بطنه من الجهة اليسرى، فاعتقد أنه مريض بـ«المصران الأعور» فأخبر بذلك طبيباً صديقاً له، فطمأنه بأن «الأعور» لا يكون إلا في الجهة اليمنى.

فقال حافظ: يا دكتور يمكن يكون اللي عندي أعور شمال!!

● تألمت امرأة جحا، فأشارت إليه أن يأتي بالطبيب. فذهب لإحضاره، وفيما هو خارج من الباب أطلت من النافذة وقالت له: الحمد لله فقد زال الألم فلا لزوم للطبيب.

ولكن جحا أسرع في الحال إلى الطبيب وقال له إن امرأتي تألمت وأشارت بلزوم إحضارك إلا أنها أطلَّت من النافذة وقالت: الحمد لله زال الألم فلا لزوم للطبيب، لذا جئت لأخبرك حتى لا تتحمل مشقة الحضور!

● قال سعيد بن بشير عن أبيه: إن عبدالملك قال حين ثقل به المرض ورأى غسَّالاً يلوي ثوباً بيده: وددت أني كنت غسالاً لأعيش بما أكتسب يوماً فيوماً.

فذكر ذلك لأبي حازم فقال: الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه ولا نتمنى عند الموت ما هم فيه.

● كان «هنري أرسكين» المدعي العام في أسكتلندا في أواخر القرن الثامن عشر يتلقى علومه على يد أستاذ خاص اشتهر بضعف ذاكرته. وكان «أرسكين» شديد الإعجاب بأستاذه العجوز.

وفي أحد الأيام التقى التلميذ بأستاذه بعد أن تخرج وأصبح رئيساً للنيابة،

فسأله هذا الأخير: لقد علمت بمزيـد الأسف يابني أن أحد أفراد أسرتك قد أصيب بـالحمَّى، وأنـه قضى نحبه، تُـرى هل كنت أنت أم شقيقك، هـذا الذي مات بالحُمَّى؟

وذهل «أرسكين» وهو يستمع إلى سـؤال أستاذه الغريب، فما كـان منه إلا أن قال: كنتُ أنا يا سيدي الذي أصيب بالحمى ومات!

ومدَّ الأستاذ يده مصافحاً تلميذه ثم قال:

- آسف جداً يابني، أرجو أن تبلغ أسرتك خالص تعزيتي.

وانصرف الأستاذ العجوز!

● كان بعض الأطباء يتقاضى خمسة جنيهات عن الفحص الأول، وجنيهاً عن الفحص الثاني.

ومرة جاءه مريض ماكر لم يسبق أن فحصه، فلما دخل عليه بادره بقوله:

- إن الدواء الذي وصفته لي في الزيارة الأولى لم يشفني؟

ففطن الطبيب إلى ما يـرمي إليه، ولكنـه تجاهل، ومضى يتحسس جسده وأعضاءه، ثم قال له:

- إنك أحسن حـالاً مما رأيتـك عليه قبل الآن، فثـابـر على الدواء الـذي وصفتُه لك في المرة السابقة!

● خصص أحـد كبـار الأغنيـاء في الغـرب نصف إيـراده لعـلاج المرضى الفقراء من كل لون ودين، فقال له أحد القساوسة:

- لو خصصت هذا المبلغ لمرضى الطائفة التي تنتمي إليها وحدهم؟

فأجابه الرجل غاضباً :

- لا يا سيدي . . إن جميع المرضى عندي سواء، فليس ثمة طاعون كاثوليكي، ولا سل بروتستانتي، ولا سرطان أرثوذكسي!

● دفعت المرأة أجرة الفحص إلى السكرتيرة ودخلت إلى الدكتور هادي السباك حاملة طفلها البالغ من العمر بضعة شهور، وهي شاكية ومشتبهة بأن شيئاً ما في عظام الطفل.

وبعد الفحص الدقيق أكد لها الدكتور السباك بأن طفلها بأتم الصحة، ولا يوجد في الساقين والعظام بصورة عامة مرض أو خلل ما على الإطلاق، وليس بحاجة إلى أي نوع من العلاج.

وهنا رجعت السيدة وتوجهت إلى السكرتيرة وقالت لها: ارجعي لي الدينار؛ لأن الدكتور يقول: لا يوجد شيئ في العظام ولا يحتاج إلى علاج!

● أصيب شيخ يبلغ السبعين من عمره بشلل في رجله اليمنى، فاستدعى طبيباً لفحصه وسأله:

- هلا أخبرتني يا سيدي كيف حصل لي هذا لشلل؟

فأجابه الطبيب:

- السبب بسيط . . إنه كبر سنك!

وهنا قال المريض:

- ولكن أتصور يا دكتور أن رجلي اليسرى خرجت من بطن أمي مع اليمنى بوقت واحد فلماذا لم تصب بالشلل أيضاً؟

● سأل أستاذ الطب طلابه سؤالاً عجزوا عن الإجابة عليه جميعهم، إلا واحداً وقف وأخذ يلقي الجواب عن ظهر قلب حرفاً حرفاً كما ورد في الكتاب، فقال له الطبيب الأستاذ:

- اجلس، فإنك لست بأحسن من رفاقك.. أنت مصاب بإمساك في التفكير وإسهال في الكلام!

● كان أول سؤال وجهه الممتحنون لأحد طلبة الطب ما يلي:

- اذكر لنا خمسة أسباب تجعل حليب الأم أفضل من حليب البقرة.

وهنا صمت الطالب برهة ثم أجاب:

أولاً: لطراوته، ثانياً لنظافته، وثالثاً: لسهولة استصحابه عند الذهاب للتنزه، ورابعاً: لأن القطط لا تستطيع سرقته، ثم فكر بسرعة وأجاب: وخامساً: لأنه محفوظ في إناء أنيق..!!

● تظاهرت الأم بأنها مريضة، فأخذها ولدها إلى الطبيب، فقال له الطبيب:

- يا بني، إذا أردت شفاء أمك فزوّجها!

فتزوجت الأم وهي كبيرة في العمر، فطلقها زوجها.

ثم تظاهرت بالمرض ثانية، فقال لها ابنها:

- .. هل أجلب لك الدكتور؟

فقالت:

- لا داعي لذلك.. أنت تعرف الوصفة من المراجعة السابقة!

● إذا وجدت أيتهـا الأم صعوبـة في حمل طفلك الصغير على ابتـلاع حبة الـدواء، فما عليك إلا أن تضعي الحبـة أو القـرص على الأرض. . واتـركي طفلك يحبو بقربها، وثقي أنه سيلتقطها في أقرب وقت، ويبتلعها بسرعة قبل أن تتمكني من منعه!

● جلس عدة آبـاء في حجرة الاستقبـال بمستشفى الولادة ينتظـرون أخبار وضع زوجاتهم:

وفُتح البـابُ فجأة، وأطلت منه الممـرضة، ثم أشـارت إلى أحد الجلـوس قائلة:

- أهنئك يا سيدي. . لقد رُزقت ابناً جميلاً.

فنهض رجل آخر منفعلاً وقال:

- ما هذه الفوضى؟ أين النظام؟ إنني هنا قبله بساعتين!

● دخل الطبيب غرفة النوم وترك الزوج واقفاً بقلق خارج الغرفة.

وبعـد دقيقتين خرج الطبيب وطلـب سكيناً كبيرة! فـاعتـذر الزوج بعـدم وجودها لديهم!

ودخل الطبيب الغرفـة مرة أخرى، وخرج بعد مـرور خمس دقائق، وطلب هذه المرة مطرقة مع مفك!

فذهب الزوج، وأحضرهما بسرعة، وكان في حالة شديدة من الذعر!

ودخل الطبيب الغرفة ليعود بعد خمس دقائق قائلاً:

- أنا متأسف. . أعتقد بأنني بحاجة إلى منشار!

فردَّ الزوج المسكين قائلاً :

- أسألك بالله يـا دكتور، هل يمكن نقل زوجتي إلى المستشفـى إذا كانت بهذه الدرجة من الخطورة؟ !

فأجاب الطبيب :

- كلا . . إنني فقط حاولت جاهداً فتح حقيبتي!

● بعد أن أنهى الطبيب فحص الـزوجة ، تقـدم نحو الزوج وقـال بصوت منخفض :

- عفواً . . إن أعراض زوجتك وهمية فقط ، وقد كتبت لها أدوية وهمية!

وهنا بادر الزوج :

- ما دامت الأعراض وهمية ، والعلاج وهمياً ، فلتكن أتعابك وهمية إذن!

وخرج من غرفة الطبيب!

● ذهب رجل إلى أحد المختبرات ومعه «بوله» . وبعد استلام النتيجة كُتب فيها :

حامل ثلاثة أشهر!

وتعجب المريض مـن ذلك ، وأخـذ يصـب جـام غضبـه على المختبرات والأطباء وأخطائهم القاتلة .

ولكن بعد رجوعـه إلى الدار أخبرته زوجته أن البول الـذي كان في القارورة كان قد انسكب ، مما اضطرها لأن تضع هي عوضاً عنه! !

● في لبنان ، لاحظت فيوليت أن جارتها قد اقترب يوم ولادتها ، فسألتها :

- هل اتفقت مع أحد الأطباء أو إحدى المولِّدات؟

فردت عليها قائلة :

- كلا، فإن زوجي يرفض أن نفعل هذا، فمن رأيه أن يعتمد الإنسان على نفسه!

● أعلن أحد الصيادلـة عن دواء يعيد الشباب. فاشتـد إقبال الناس على شرائه؛ فجـاءه رجل يطلب منـه زجاجـة، ولكن الصيـدلي أخطأ، فأعطـاه مسهلاً بدلاً منه!

وما لبث أن شرب الرجل جميع محتويات القنينة!

وفي الطريق إلى بيته شعر بمغص وإسهـال، إلى درجة أنه لم يستطع ضبط نفسه، فتلوثت مـلابسه الداخلية.. فلما بلغ الدار رأتـه زوجته، فسألته عن الأمر، فقال لها :

- لقـد أعطاني الصيـدلي دواءً يعيد إليّ الشبـاب.. ويظهر أن الـدواء من القوة بحيث أرجعني إلى دور الرضاعة!!

● تقابل زميـلان قديمان، وكان أحـدهما قد تخرَّج طبيباً، وأما الآخـر فقد اشتغل صَياداً.

وفي يوم ما، أراد الطبيب أن يعبر النهر، وأخذه الصياد في قاربه.. وسأله الطبيب :

- هل تعرف شيئاً عن الفسلجة والتشريح والطب؟

فأجاب الصياد : أبداً.

فقال له الطبيب: لقد ضاع عليك نصف عمرك.

وبعدها هبت عاصفة شديدة، فدار بينهما الحديث الآتي:

الصياد: هل تعرف شيئاً عن السباحة؟

الطبيب: أبداً.

الصياد: إذن لقد ضاع عليك عمرك كله!

● المريض: إنني أشعر بتعب في معدتي يا دكتور..

الطبيب: لا تأكل كثيراً.

المريض: وهل الأكل متعب للمعدة؟ إن أجدادنا كانوا يأكلون كثيراً وكانت معدتهم مثل الحديد!

الطبيب: أجدادنا كلهم قد ماتوا..!

● الزبون لطبيب الأسنان: إذا أحضرت لك زبائن هل تعطيني عمولة؟

طبيب الأسنان: طبعاً! كلما أتيت لي بزبون أقلع لك ضرساً واحداً مجاناً!

● كان الطبيب المتخرج حديثاً يفاخر طبيب العائلة القديم عن تقدم الطب وتخصصه، فقال له:

– لقد انتهى عصر عدم التخصص، وللحفاظ على تقدم العلوم الطبية يجب تشجيع التخصص.. وحتى ما يُدعى بالتخصص القديم فإنه واسع جداً. فخذ مثلاً «الأذن والأنف والحنجرة»، إنه فرع واسع جداً للرجل الواحد لتغطيتها جميعاً علمياً، والأفضل لي شخصياً أن أركز فقط على الأنف.

وهنا قاطعه الطبيب الكبير بمسحة من الاستهزاء وقال :

- حقاً ، ، وفي أي منخر ستتخصص؟ !

● كان الطفل المدلل في عيادة الجراح لمداواة جرح صغير له ، وكانت أمه المولعة به قلقة جداً عليه :

- لا تقلقي عليه أبداً، أستطيع أن أؤكد لك أنها غير مؤلمة أبداً ،

ولكن بعد دقائق سُمع صراخ عالٍ من غرفة العمليات ، وخرج الجرَّاح بعدها مصفرَّ الوجه !

- والآن . . والآن يا دكتور، أعتقد أنك قلت بأن العملية غير مؤلمة؟ !

- كما قلت يا سيدتي . . إن الذي صرخ هو أنا ، فقد عضني ابنك بشدة فلم أتمالك نفسي من الصراخ !

● مدرس التطبيق العملي الصحي :

- اشرح الخطوات التي تؤخذ لإنقاذ وإسعاف الرجل الغريق .

التلميذ الحاذق :

أولاً: إخراج الرجل من الماء، و. . ثانياً : إخراج الماء من الرجل !

● يروي النقيب ركن (ص . ع) هذه الحادثة التي وقعت له فقال :

عندما كنت طالباً في كلية الأركان ، وفي أمسية من أمسيات رمضان خُلع كتفي بعد حادث سقوط على الأرض ، ونُقلت على عجل إلى مستشفى الرشيد العسكري . وبينما أنا على طاولة العمليات سمعت الجراح المناوب يقول مكلماً صاحبه بالإنجليزية :

- إني لم أجـر عمليـة إرجـاع خلع الكتف قبل الآن، لـذا سأذهب لأقـرأ الموضوع، ثم أعود لإجراء العملية!

فما كان من النقيب ركن (ص. ع) إلا أن قال، بعـد أن عرف المحادثة بين الطبيبين، حيث إنه كان يعرف الإنجليزية، فقال:

- لا عليك يـا دكتور. . امسـك يدي هكـذا، واثنهـا هكذا، واسحبهـا هكذا، وأرجعها هكذا. . وهكذا تمت العملية بيسر وسهولة!

وقـد اندهش الجراح، فقـال النقيب: لا تـدهش يـا دكتور، فقـد أصبت بالخلع نفسه من قبل!

● كان لأحد الأطباء صديق شديـد البخل والتقتير. وحدث أن قابله يوماً فرآه مهمـوماً؛ ولما استفسر منه عن السبب، أخبره أنه شعـر بألم. ولما فحصه الطبيب، أشار عليـه بإجراء عملية استئصـال الزائدة الدوديـة، وهي عملية تكلف (٥٠) ديناراً، ثم سأل صديقه:

- ما رأيك أنت؟

فأجاب الصديق:

- رأيي أن تموت وتوفر الخمسين ديناراً!

● روى الجراح الأخصائي (و. خ) هذه النادرة:

زاره يومـاً أحد المرضى، وسأله فيما إذا كـان قد زار طبيبـاً آخر قبل أن يأتي إليه، فأجاب المريض:

- كلا، ولكني ذهبت إلى صيدلي!

فقال له الجراح (و. خ):

- وما هو الرأي السخيف الذي أشار عليك به؟

فأجاب المريض:

- لقد أشار عليَّ بأن أحضر إلى عيادتك!

● خرج رجل من مستشفى المجـاذيب مسرعاً، والتقى في الطـريق الريفي بمزارع، فسأله:

- هل رأيت مجنوناً هارباً مرَّ بك؟

- وما هي صفاته؟

- قصير جداً، ونحيف جداً، ويزن نحو ١٢٠ كغ، وأصلع جداً، وشعر رأسه منفوش!

واحتار المزارع فيما سأل، وسأل:

- وكيف يستطيع إنسان أن يكـون قصيراً جدا ونحيفـاً جداً ومع هـذا يزن ١٢٠ كغ؟ وكذلك أصلع جداً وشعر رأسه منفوش؟

- ولم لا؟ ألم أقل لك إنه مجنون؟

● قالت السيدة للطبيب:

- إن مشكلة ابني عويصة جداً يا دكتور، فهو يتخيل دائماً بأنه دجاجة!

- وكم من الوقت مضى عليه منذ أن انتابته هذه الحالة؟

- منذ سنة يا دكتور. .

- منذ سنة؟! (متعجباً) ولم تفكروا في علاجه إلا الآن؟

وردت السيدة بخجل:

- أنت تعرف يا دكتـور أننا فقراء، وكنا نظن أن الانتظـار قد يأتي بنتيجة، خاصة وأن أسعار البيض مرتفعة!!

● عرضت أم ابنتهـا البالغـة من العمر ست سنـوات على طبيب نفساني، فبادر إلى طرح أسئلته على الفتاة وقال:

- هل أنت بنـت أم ولـد؟ فكـري في الأمـر يـا صغيرتي ثم أجيبي على السؤال..؟

وجاء ردُّ الفتاة سريعاً:

- أنا ولد!

فقال الطبيب:

- حسناً.. وماذا تنوين أن تكوني حينما تكبرين؟

الفتاة:

- أريد أن أكون أبي!

وهنا تدخلت الأم وخاطبت ابنتها قائلة:

- ما هذه السخافات يا بنتي؟

وكان جواب الفتاة:

- ألا ترين أن الأسئلة السخيفة تدعو إلى أجوبة سخيفة!!

● استيقظ أحد أساتذة الجامعات المعروفين بالشرود وضعف الذاكرة ذات صباح وهو يحس بحرارة في فمه، فمر به طبيبه الخاص كي يفحصه. وبعد أن جسَّ نبضه قال له:

- إن ضربات قلبك عادية.. أرني لسانك.

وما إن فتح الأستاذ فمه حتى قال له الطبيب:

- ماذا؟ إن لسانك على ما يرام، ولكني أرى طابع بريد ملتصقاً به!!

فقال الأستاذ بعد أن أطرق لحظة يفكر:

- لقد تذكرت! بالأمس وضعته في فمي كي ألصقه على ظرف خطاب كتبته، فلصقته بلساني.. والعجيب أنني بقيت أبحث عنه وقتاً طويلاً دون جدوى!!

● ذهب رجل إلى طبيب نفساني، وطلب منه أنْ يساعده؛ لأنه يظن أنه كلب!

ولما سأله الطبيب النفساني: منذ متى بدأ يظن أنه كلب..

أجاب الرجل: منذ أن كنتُ جرواً صغيراً!

● ليس على الشيخ أضرُّ من أن يكون له طباخ حاذق وجارية حسناء، لأنه يستكثر من الطعام فيسقم، ويستكثر من الجماع فيهرم!

● عاد الرجل مريضاً فقال لأهله:

- آجركم الله.

فقالوا :

- إنه حي لم يمت بعد!

فقال :

- يموت إن شاء الله .

● الأولى : لقد تألمتُ حينما سمعتُ أن زوجك مريض راقد في الفراش .

الثانية : لا داعي للقلق . . إن زوجي بخير وعافية .

الأولى : إذاً لماذا يرقد في الفراش؟!

الثانية : حينما زاره الطبيب قبل شهرين قال له أن لا يترك الفراش إلا بعد أن يزوره مرة ثانية ؛ وقد التحق الطبيب بالجيش ولم يعد إلى الآن!

● أول تقرير وجده أمين العاصمة[1] الجديد فائق شاكر سنة ١٩٤٦م على منضدته بديوانه الرسمي في اليوم الأول من دوامه، هو التالي :

من الطبيب البيطري بأمانة العاصمة إلى أمين العاصمة .

سعادة أمين العاصمة المحترم .

الموضوع : التقرير اليومي للحيوانات التابعة لأمانة العاصمة والتي تستخدم في نقل الأزبال والأوساخ والأنقاض وجرّ العربات . . الخ .

مساء البارحة وبعد غروب الشمس بقليل، قام البغل الأسود رقم (٧٣) بممازحة رفيقه الحمار الأبيض رقم (٢٠١) المربوط بجانبه في الاصطبل الواقع

(١) يعني بغداد .

بالنزيزة مال شيخ عمر. . وقد أدى هذا المزاح (الشقة) ـ على غير عادتهم كل يوم - إلى الصراع أمام زملائهم، وأسفر مع الأسف الشديد عن فشخ الحمار بكوكة رأسه نتيجة ضربة زوج أرداف قوية ومتعاقبة من البغل، مما دفع زميله الحمار أن يخرج عن جادة الصواب ويملخ البغل بعضة قوية شلعت وصلة من كتفه الأيمن. وعند قيام النوبجي (السايس رقم ١١ جبار العور) بمفازعتهم أمام طولة الحيوانات. . أتته ضربة غير مقصودة في بطنه، وانطرح على الفشقي يتلوى من شدة الألم.

وقد أدخل المصابان في المستشفى البيطري بموجب ورقة الفحص الطبي ٩٣ في ١٩٤٦/٩/٢٥م. أما السايس فقد قام بعدها بسلامات.

تقدم للتفضل بالاطلاع والأمر مما يتم وإعلامنا والأمر منوط لسعادتكم

التوقيع

الطبيب البيطري

هامش:

أولاً: الحمد لله على سلامة السايس جبار العور.

ثانياً: يُغرم البغل والزمَّال بقطع العليج عنهم مدة ثلاثة أيام، حتى يتأدبوا من الآن فصاعداً، ويكونوا عبرة لغيرهم من الحيوانات، وليفهم كل من تسوِّل له نفسه بالخربطة أن الحكومة ساهرة وفاكة عينها على الصغيرة والكبيرة، وليتصوروا بهذه الفترة، وكلمن ابكيفه.

ثالثاً: يمنع الشقة بين الحيوانات بالشغل وأثناء الراحة منعاً باتاً بأمري، وتعلَّق قطعة بذلك في الاسطبل.

رابعاً: يـربط الطبيب البيطري بين الزّمال والبغل حتى إشعـار آخر، حتى يتأكد الطبيب - وهـو الأب المسؤول عن أبنـائه - أن البغل والحمار قد صفت قلوبهم، وما بقي بيناتهم عداوة قد تؤدي للكتل والمكتول!

خـامسـاً: على مـديـر الإدارة بأمـانة العـاصمـة أن يبرق إلى معـالي وزيـر الداخليـة أن يفاتح الجهـات المسؤولـة لنقلي فوراً إلى أيـة وظيفة مـاعدا أمـانة العاصمة لأني ما عندي خُلق الزمايل والبغال.

احنه ويه الأوادم هله هله، عاد وين الحواوين؟!

فائق شاكر

أمين العاصمة

٢٦/٩/١٩٤٦م

الفراسة (*)

لابن قيم الجوزية

أتت امرأةٌ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فشكرت عنده زوجها وقالت:

«هو من خيار أهل الدنيا، يقوم الليل حتى الصباح، ويصوم النهار حتى يمسي». ثم أدركها الحياء، فقال: «جزاك الله خيراً فقد أحسنت إلينا».

فلما ولت قال كعب بن سوار الأزدي (تابعي): يا أمير المؤمنين، لقد أبلغت في الشكوى إليك! فقال: وما اشتكت، قال: زوجَها. قال: عليَّ بهما. فقال لكعب: اقضِ بينهما. قال: أقضي وأنت شاهد؟ قال: إنك قد فطنت إلى ما لم أفطن له. قال: إن الله تعالى يقول: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾[1]. صم ثلاثة أيام، وأفطر عندها يوماً. وقم ثلاث ليال، وبت عندها ليلة، فقال عمر: هذا أعجب إلي من الأول.

(*) الفراسة/ لابن قيم الجوزية؛ تحقيق وتعليق صلاح أحمد السامرائي. . بغداد: مكتبة القدس، ١٤٠٦هـ، ٣١٢ ص.

وهذا الكتاب في الفقه الإسلامي، ويتخصص في الدعاوى القضائية والأدلة الجنائية. . وهو باب فريد لم أرَ من خصه بمؤلف مستقل سوى هذا الإمام البحر العلامة ابن قيم الجوزية!! يقول في مقدمته: «سئلت عن الحاكم أو الوالي يحكم بالفراسة والقرائن التي يظهر له فيها الحق والاستدلال بالأمارات، ولا يقف مع مجرد ظواهر البينات والأحوال؛ حتى إنه ربما يتهدد الخصمين إذا ظهر له أنه مبطل. وربما سأله عن أشياء تدله على بيان الحال، فهل ذلك صواب أم خطأ؟

فهذه مسألة كبيرة عظيمة النفع، جليلة القدر، إن أهملها الحاكم أو الوالي أضاع حقاً كثيراً وأقام باطلاً كبيراً، وإن توسع وجعل معوله عليها دون الأوضاع الشرعية وقع في أنواع الظلم والفساد. . .».

وإنما اخترت بعض الأخبار النادرة من أول الكتاب، ولم أورد المسائل الفقهية وتفريعاتها وما يحتاج منها إلى فراسة وكيفية ذلك وأقوال الفقهاء واستشهاداتهم. . رحمهم الله رحمة واسعة.

(١) سورة النساء، الآية ٣.

فبعثه قاضياً لأهل البصرة. فكان يقع له في الحكومة من الفراسة أمور عجيبة.

● وكذلك شريح في فراسته وفطنته، قال الشعبي: شهدت شريحاً - وجاءته امرأة تخاصم رجلاً - فأرسلت عينيها وبكت. فقلت يا أبا أمية، ما أظن هذه البائسة إلا مظلومة؟ فقال: يا شعبي، إن إخوة يوسف جاؤوا أباهم عشاء يبكون.

● وتقدم إلى إياس بن معاوية أربع نسوة. فقال إياس: أما إحداهن فحامل، والأخرى مرضع، والأخرى ثيب، والأخرى بكر.

فنظروا فوجدوا الأمر كما قال. قالوا: كيف عرفت؟ فقال: أما الحامل: فكانت تكلمني وترفع ثوبها عن بطنها فعرفت أنها حامل، وأما المرضع: فكانت تضرب ثدييها فعرفت أنها مرضع، وأما الثيب: فكانت تكلمني وعينها في عيني فعرفت أنها ثيب، وأما البكر: فكانت تكلمني وعينها في الأرض فعرفت أنها بكر.

● وقال المدائني عن رَوْح: استودع رجل رجلاً من أبناء الناس مالاً، ثم رجع فطلبه، فجحده. فأتى إياساً فأخبره، فقال له إياس: انصرف فاكتم أمرك، ولا تُعلمه أنك أتيتني، ثم عد إليَّ بعد يومين. فدعا إياس المودع فقال: قد حضر مال كثير وأريد أن أسلمه إليك، أفحصين منزلك؟ قال: نعم. قال: فأعد له موضعاً وحمالين. وعاد الرجل إلى إياس فقال: انطلق إلى صاحبك فاطلب المال. فإن أعطاك فذاك، وإن جحدك فقل له: إني أخبر القاضي. فأتى الرجلُ صاحبه فقال: مالي، وإلا أتيت القاضي وشكوتك إليه وأخبرته بأمرك. فدفع إليه ماله.

فرجع الرجل إلى إياس فقال: قد أعطاني المال. وجاء الأمين إلى إياس لموعده. فزجره وانتهره، وقال: لا تقربني يا خائن.

● واستودع رجل لغيره مالاً، فجحده، فرفعه إلى إياس، فسأله فأنكر، فقال للمدعي: أين دفعت إليه؟ فقال: في مكان في البرية، فقال: وما كان هناك؟ قال: شجرة؟ قال: اذهب إليها فلعلك دفنت المال عندها ونسيت، فتذكر إذا رأيت الشجرة! فمضى، وقال للخصم: اجلس حتى يرجع صاحبك، وإياس يقضي وينظر إليه ساعة بعد ساعة. ثم قال: يا هذا، أترى صاحبك قد بلغ مكان الشجرة؟ قال: لا، قال: يا عدو الله، إنك خائن: قال: أقلني، قال: لا أقالك الله. وأمر أن يحتفظ به حتى جاء الرجل، فقال له إياس: اذهب معه فخذ حقك.

● وجرى نظير هذه القضية لغيره من القضاة: ادعى عنده رجل أنه سلم غريماً له مالاً وديعة، فأنكر. فقال له القاضي: أين سلمته إياه؟ قال: بمسجد ناءٍ عن البلد. قال: اذهب وجئني منه بمصحف أحلِّفه عليه. فمضى، واعتقل القاضي الغريم، ثم قال له: أتراه بلغ المسجد؟ قال: لا. فألزمه بالمال.

● وقال معتمر بن سليمان، عن زيد أبي العلاء: شهدت إياس بن معاوية اختصم إليه رجلان، فقال أحدهما: إنه باعني جارية رعناء.

فقال إياس: وما عسى أن تكون هذه الرعونة؟ قال: شبه الجنون.

فقال إياس: يا جارية، أتذكرين متى ولدت؟ قالت: نعم. قال: فأي رجليك أطول؟ قالت: هذه. فقال إياس ردَّها فإنها مجنونة.

● وقال نعيم بن حماد، عن إبراهيم بن مرزوق البصري: كنا عند إياس

ابن معاوية قبل أن يُستقضى، وكنا نكتب عنه الفراسة كما نكتب عن المحدث الحديث، إذ جاء رجل فجلس على دكان مرتفع بالمربد، فجعل يترصد الطريق. فبينا هو كذلك إذ نزل فاستقبل رجلاً، فنظر إلى وجهه، ثم رجع إلى موضعه، فقال إياس: قولوا في هذا الرجل. قالوا: ما نقول؟ رجل طالب حاجة. فقال: هو معلم صبيان، قد أبق له غلام أعور.

فقام إليه بعضنا فسأله عن حاجته؟ فقال: هو غلام لي آبق. قالوا: وما صفته؟ قال: كذا وكذا، وإحدى عينيه ذاهبة، قلنا وما صنعتك؟ قال: أعلِّم الصبيان!

قلنا لإياس: كيف علمت ذلك؟ قال: رأيته جاء، فجعل يطلب موضعاً يجلس فيه، فنظر إلى أرفع شيء يقدر عليه فجلس عليه. فنظرت في قدره فإذا ليس قدره قدر الملوك، فنظرت فيمن اعتاد في جلوسه جلوس الملوك، فلم أجدهم إلا المعلمين، فعلمت أنه معلم صبيان. فقلنا: كيف علمت أنه أبق له غلام؟ قال: إني رأيته يترصد الطريق، ينظر في وجوه الناس. قلنا: كيف علمت أنه أعور؟ قال: بينما هو كذلك إذ نزل فاستقبل رجلاً قد ذهبت إحدى عينيه، فعلمت أنه اشتبه عليه بغلامه.

● فراسة الحسن بن علي رضي الله عنهما لما جيء إليه بابن ملجم، قال له: أريد أسارك بكلمة، فأبى الحسن، وقال: تريد أن تعض أذني. فقال ابن ملجم: والله لو أمكنتني منها لأخذتها من صماخيها.

وقال أبو الوفاء بن عقيل: فانظر إلى حسن رأي هذا السيد الذي قد نزل به المصيبة العاجلة ما يذهل الخلق، وفطنته إلى هذا الحد، كيف لم يشغله حاله عن استزادة الجناية.

● ومن ذلك: فـراسة أخيـه الحسين رضي الله عنـه، أن رجلاً ادعى عليـه مـالاً، فقال الحسين: ليحلف على مـا ادعـاه ويأخذه. فتهيَّأ الـرجل لليمين وقال: والله الذي لا إله إلا هـو. فقال الحسن. قل! والله والله والله – ثلاثاً – إن هـذا الـذي يـدعيـه عنـدي، وفي قلبي. ففعل الـرجـل ذلك. وقـام، فـاختلفت رجـلاه وسقط ميتـاً! فقيل للحسين: لم فعلت ذلك؟ أي عـدلت عن قوله: والله الذي لا إله إلا هـو، إلى قوله: «والله والله والله» فقال: كرهت أن يُثني على الله، فيحلم عنه.

● ومن ذلك ما يـذكر المعتضد بـالله، أنه كان جـالساً يشاهـد الصناع، فـرأى فيهم أسـود منكـر الخلقـة، شـديـد المرح، يعمـل ضعف مـا يعمل الصناع، ويصعـد مرقاتين مرقـاتين. فأنكر أمره. فأحضره وسألـه عن أمره؟ فلجلج! فقال لبعض جلسائه: أي شيء يقع لكم في أمـره؟ قالوا: ومن هذا حتى تصرف فكرك إليـه؟ لعله لا عيـال له، وهـو خالي القلب، فقـال: قد خمنت في أمره تخمينـاً ما أحسبه بـاطناً: إما أن يكـون معه دنانير قـد ظفر بها دفعة، أو يكون لصاً يتستر بالعمل!

فدعا به، واستدعى بالضراب فضربه. وحلف له إن لم يصدقه أن يضرب عنقه. فقال: لي الأمان. قـال: نعم إلا فيما يجب عليك بالشرع. فظن أن قد أمَّنه. فقال: قـد كنت أعمل في الأجر، فاجتاز رجل في وسطـه حزام، فجاء إلى مكان، فجلـس وهو لا يعلم مكـاني. فحلَّ الحزام، وأخرج منـه دنانير، فتأملته، وإذا كلـه دنانير! فسـاورته وكتفتـه وشددت فـاه. وأخذت الحزام، وحملته على كتفي، وطـرحته في حفرة، وطينتـه. فلما كان بعـد ذلك أخرجت عظامه فطرحتها في دجلة. فأنفـذ المعتضد من أحضر الدنانير من منزله وإذا على الحزام مكتوب: فلان ابن فلان. فنادى في البلـد باسمه، فجاءت امرأة

فقالت: هذا زوجي، ولي منه هذا الطفل، خرج وقت كذا وكذا ومعه ألف دينار، فغاب إلى الآن. فسلم الدنانير إلى امرأته وأمرها أن تعتد، وأمر بضرب عنق الأسود، وحمل جثته إلى تلك الحفرة.

● ومن عجيب الفراسة: ما ذكر عن أحمد بن طولون، أنه بينما هو في مجلس له يتنزه فيه، إذ رأى سائلاً في ثوب خلق، فوضع دجاجة على رغيف وحلوى، وأمر بعض الغلمان فدفعه إليه. فلما وقع في يده لم يهشَّ له ولم يعبأ به. فقال للغلام: جئني به. فلما وقف قدامه استنطقه، فأحسن الجواب، ولم يضطرب من هيبته فقال: هات الكتب التي معك، وأصدقني من بعثك؟ فقد صحَّ عندي أنك صاحب خبر.

وأحضر السياط، فاعترف.

فقال بعض جلسائه: هذا والله السِّحْر قال: ما هو بسحر ولكن فراسة صادقة. رأيت سوء حاله، فوجهت إليه بطعام يَشْرَهُ إلى أكله الشبعان فما هشَّ له، ولا مدَّ يده إليه. فأحضرته، فتلقَّاني بقوة جأش. فلما رأيت رثاثة حاله وقوة جأشه علمت أنه صاحب خبر، فكان كذلك!

● ورأى يوماً حمالا يحمل صناً[1] وهو يضطرب تحته فقال: لو كان هذا الاضطراب من ثقل المحمول لغاصت عنق الحمال، وأنا أرى عنقه بارزة، وما أرى هذا الأمر إلا من خوف.

فأمر بحط الصن، فإذا فيه جارية مقتولة وقد قطعت!! فقال: اصدقني

---

(١) الصن: وعاء شبه السلة يوضع فيه الخبز.

عن حالها، فقال: أربعة نفر في الدار الفـلانية أعطوني هذه الدنانير، وأمروني بحمل هذه المقتولة.

فضربه، وقتل الأربعة.

● وكان يتنكر ويطوف بـالبلد يسمع قراءة الأئمة. فدعـا ثقته وقال: خذ هـذه الدنـانير وأعطها إمـام مسجد كـذا فإنه فقير مشغـول القلب. ففعل، وجلس معه وباسطـه، فوجد زوجته قد ضربها الطلق، وليس معـه ما يحتاج إليه. فقال: صدق، عرف شغل قلبه في كثرة غلطه في القراءة.

● ومن ذلك: أن اللصوص أخذوا في زمن المكتفي بالله مالاً عظيماً، فألزم المكتفي صـاحب الشرطة بإخـراج اللصوص، أو غـرامة المال. فكان يـركب وحده، ويطوف ليلاً ونهاراً، إلى أن اجتاز يوماً في زقاق خال في بعض أطراف البلد، فدخله، فوجده منكراً، ووجده لا ينفذ. فرأى على بعض أبوابه شوك سمكٍ كثير، وعظـام الصلب، فقـال لشخص: كم يقـوم تقديـر ثمن هـذا السمك الذي هـذه عظامـه؟ قال: كذا دينـار. قال: أهل الـزقاق لا تحتمل أحوالهم مشترى مثل هـذا؛ لأنه زقاق بيِّن الاختلال، إلى جـانب الصحراء، لا ينزله من معـه شيء يخاف عليه، أو له مال ينفق منه هـذه النفقة، وما هي إلا بلية ينبغي أن يكشف عنها.

فاستبعـد الرجل هـذا وقال: هـذا فكر بعيـد. فقال: اطلبـوا لي امرأة من الدرب أكلمها.

فـدقَّ بـابـاً غير الذي عليـه الشـوك، واستسقى مـاءً، فخـرجت عجـوز ضعفية. فما زال يطلب شربـة بعد شربة، وهي تسقيه، وهـو في خلال ذلك يسأل عن الـدرب وأهله، وهي تخبره غير عـارفـة بعواقب ذلك، إلى أن قـال

لها: وهـذه الـدار من يسكنـونها؟ وأومأ إلى التي عليهـا عظـام السمك - فقالت: فيهـا خمسة شبـان أعفار[1]، كأنهم تجار. وقـد نزلـوا منذ شهـر، لا تراهم نهاراً إلا في كل مدة طويلة. وتـرى الواحد منهم يخرج في الحاجة ويعود سريعاً. وهم في طول النهار يجتمعون فيأكلون ويشربون، ويلعبون بالشطرنج والنرد. فإذا كان الليل انصرفوا إلى دار لهم في الكرخ، ويدعون صبياً في الدار يحفظها، فإذا كان سحراً جاؤوا ونحن نيام لا نشعر بهم

فقال للرجل: هذه صفة اللصوص أم لا؟ قال: بلى.

فأنفـذ في الحال، فـاستـدعى عشرة من الشرط وأدخلهم إلى أسطحـة الجيران، ودق هو البـاب. فجاء الصبي ففتح. فدخل الشرط معه. فما فـاته من القوم أحد. فكانوا هم أصحاب الجناية بعينهم!

● ومن ذلك: أن بعض الـولاة سمع في بعض ليـالي الشتـاء صوتـاً بـدار يطلب ماء بـارداً. فأمر بكبس الدار، فأخـرجوا رجلا وامـرأة. فقيل له: من أين علمت؟ قال: الماء لا يبرد في الشتاء، إنما ذلك علامة بين هذين.

● وأحضر بعضُ الولاة شخصين متهمين بسرقة، فأمـر أن يؤتى بكوز من الماء، فأخذه بيده، فألقـاه عمداً فانكسر. فارتـاع أحدهـم، وثبت الآخر فلم يتغير!

فقال للذي انزعج: اذهب، وقال لـلآخر: أحضر العملة. فقيل له: من أين عرفت ذلك؟ فقـال: اللص قوي القلب لا ينزعج، والبريء يرى أنـه لو نزلت في البيت فأرة لأزعجته، ومنعته من السرقة.

---

(١) أي: شجعان.

● سأل بعض الخلفاء ولده - وفي يده مسواك -: ما جمع هذا؟ قال: ضد محاسنك يا أمير المؤمنين.

● دخل معن بن زائدة على المنصور، فقارب في خطوه، فقال له المنصور: كبرت سنك يا معن. قال: في طاعتك يا أمير المؤمنين. قال: إنك لجَلَد. قال: على أعدائك. قال: وإن فيك لبقية. قال: وهي لك!

● خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعس المدينة في الليل، فرأى ناراً موقدة في خباء، فوقف وقال: يا أهل الضوء.

وكره أن يقول: يا أهل النار.

● كان لبعض القضاة جليس أعمى، فكان إذا أراد أن ينهض يقول: يا غلام، اذهب مع أبي محمد. ولا يقول: خذ بيده. قال: والله ما أخلَّ بها مرة واحدة.

● قال مالك: عن يحيى بن سعيد، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لرجل: ما اسمك؟ قال: جمرة. قال: ابن من؟ قال: ابن شهاب. قال: ممن؟ قال: من الحرقة. قال: أين مسكنك؟ قال: بحرة النار. قال: أيُّها؟ قال: بذات لظى. فقال عمر: أدرك أهلك فقد احترقوا.

فكان كما قال!

● قال الشعبي: كان عمر في بيت ومعه جرير بن عبدالله البجلي، فوجد عمر ريحاً، فقال: عزمت على صاحب هذه الريح لما قام فتوضأ. فقال جرير: يا أمير المؤمنين، أو يتوضأ القوم جميعاً؟ فقال عمر: يرحمك الله، نعم السيد كنت في الجاهلية، ونعم السيد أنت في الإسلام.

● قضى علي رضي الله عنه في مولود ولد له رأسان وصدران في حقو واحد، فقالوا: أيورث ميراث اثنين أم ميراث واحد؟ فقال: يترك حتى ينام، ثم يصاح به، فإن انتبها جميعاً كان له ميراث واحد، وإن انتبه واحد وبقي الآخر: كان له ميراث اثنين.

لطائف اللغة (*)

للبابيدي

● صفات الأحمق :

إذا كان أدنى حمق وأهونه : فهو أبله .

فإن كان مع ذلك تسرُّع . . . : فهو أهوج .

فإن كان عقله قد أَخْلَق وتمزق : فهو رقيع .

فإذا زاد حمقه : فهو بُوهة .

فإن كان مشبعاً حمقاً : فهو عفيك .

فإن زاد مابه من ذلك : فهو أخرق .

(*) لطائف اللغة/ تأليف أحمد بن مصطفى اللبابيدي الدمشقي . الآستانة : د. ن، ١٣١١هـ، ٢٤٨ص .

والمؤلف - كما في الأعلام - من أفاضل دمشق، ولد سنة ١٣١٨هـ .

قال في مقدمته : . . ورأيت كثيراً من أهل العلم والأدب يرغبون كتاباً حاوياً على غريب اللغات . . وكانت الكتب المؤلفة بها وإن كانت محتوية على فوائده، إلا أن المتناسب منها غير مجموع في مكان واحد : فكان تعليقه بالأذهان يحتاج إلى طول من الزمان، ولا يتيسر ذلك لكل إنسان . فجمعت ما تناسب منها تسهيلاً للمرام، وهو ما يشفي القلوب ويطفىء الأوام، لكونها ألفاظاً منسوجة على منوال عجيب، وآثاراً أسديت لُحمتها في صنع بديع غريب . فينبغي أن تتلقاها القلوب بالقبول، والصدور بالانشراح، والبصائر بالاستبصار . وذكرتُ مفردات لطيفة المعاني، دقيقة المباني، يظهر فضلها وحلاوتها في التراكيب، عند وصفها في المناسبات وأكمل الأساليب . . . وكان جلُّ مأخذه من القاموس، الذي هو لكل ذي أدب ناموس، وما أخذتُ من غيره إلا ما ندر وقل، ودقَّ وجلَّ، كفقه اللغة وفصيح ثعلب ومزهر السيوطي والأشباه والنظائر التي هي معتبرة عند أولي البصائر . . .

فإن لم يكن له رأي يرجع إليه : فهو مأفون .

فإذا زاد على ذلك : فهو مَرْقعان .

فإذا اشتدَّ حُمقه : فهو هَبَنْقَع .

● في اللؤم والخسَّة :

إذا كان الرجل ساقط النفس : فهو وغد .

فإن كان خبيث البطن والفرج : فهو دنيء .

فإن كان رذلاً نذلاً لا مروءة له : فهو فَسْل .

فإذا ازداد لؤمه وتناهت خسَّته : فهو عِكْل .

فإن كان مزدرى في خَلْقه وخُلُقه : فهو نذل .

فإن كان ضداً للكريم : فهو لئيم .

فإن كان مع لؤمه وخسَّته ضعيفاً : فهو نكَس .

فإن كان لا يدرك ما عنده من اللؤم : فهو أَبَلّ .

● أسماء الأنف : المساف ، العِرْنين ، المنشق ، المَرْعَـف ، الزُّعامىٰ ، المَرْثَم ، الخَطْم ، المَخْطم ، المَعْطس ، المَرْسَن ، المَرْغم ، الدوَّاسة ، المُكَرْنِف ، الخُرْطُم ، العجوز ، الأَسَمّ ، القِبِـرَيّ ، المُصْفَح ، القُعْنُب ، الخُشام .

● الشِّبْر : ما بين طرفي الخنصر إلى طرف الإبهام وطرف السبَّابة .

الرَّتَب : ما بين طرف السبَّابة والوسطى .

العَتَب : ما بين طرف الوسطى والبنصر .

البُصْم : ما بين البنصر والخنصر.

الفَوْت : ما بين كل إصبعين طولاً.

● تفصيل شعر الإنسان :

العقيقة : الشَّعر الذي يولد به الإنسان.

الفَرْوة : شعر معظم الرأس.

الناصية : شعر مقدَّم الرأس.

الذُّؤابة : شعر مؤخر الرأس.

الفَرْع : شعر رأس المرأة.

الغديرة : شعر ذؤابتها.

الغَفَر: شعر ساقها.

الدَّبَب : شعر وجهها.

الوَفْرة : ما بين شحمة الأذن من الشعر.

اللمَّة : ما ألمَّ بالمنكب من الشعر.

الطُّرَّة : ما غشَّىٰ الجبهة من الشعر.

الجُمَّة : ما غطى الرأس من الشعر.

الهُدْب : شعر أجفان العينين.

الشارب : شعر الشفة العليا.

العَنْفَقة : شعر الشفة السفلى.

المَسْربة : شعر الصدر.

الشعرة : شعر العانة .

الأسْب : شعر الأست .

الزَّبَب : شعر بدن الرجل .

●يقال :

لا تراه الطوارف : أي العيون .

حيَّا الله المعارف : أي الوجوه .

حيا الله قهبلك : أي وجهك .

أعان الله الحوامل : أي الأرجل .

سلم الله الأجنحة : أي الأيدي .

●في معايب العين :

الحَوَص : ضيق العينين . الخوص : غورهما مع الضيق

الشَّتر: انقلاب الجفن . العَمَش: أن لا تزال العين تسيل وترمص.

الكمش : أن لا يكاد يبصر. الغطَش : شبه العَمَش .

الجَهَر: أي لا يبصر نهاراً . العشا : أن لا يبصر ليلاً

الخَزَر: أن ينظر بمؤخر عينه الغَضَن : أن يكسر عينه حتى تتغضَّن جفونه .

القبل : أن يكون كأنه ينظر إلى أنفه ، وهو أهون من الحَوَل .

الشُّطور: أن تـراه ينظر إليك وهـو ينظر إلى غيرك، وهـو قريب مـن صفة الأحول.

الشَّوَص: أن ينظـر بأحد عينيـه ويميل وجهه في شق العين التي يـريد أن ينظر بها.

الخَفَش: صغر العينين وضعف البصر، ويقـال: إنه فساد في العين يضيق له الجفن من غير وجع ولا قرح.

الدَّوش: ضيق العين وفساد البصر.

الإطراق: استرخاء الجفون.

الجُحوظ: خروج المقلة وظهورها من الحجاج.

البخق: أن يذهب البصر والعين منفتحة.

الكمه: أن يولد الإنسان أعمى.

النجص: أن يكون فوق العينين أو تحتهما لحم ناتىء.

● في مقابح الأسنان:

الرَّوَق: طولها.

الكَسَس: صغرها.

الثَّعَل: تراكبها وزيادة سن فيها.

الشَّفا: اختلاف منابتها.

اللَّصَص: شدة تقاربها وانضمامها.

اليَلَل: إقبالها على باطن الفم.

الدَّفق: إنصابها إلى قُدَّام.

الفقم: تقدُّم سفلاها على العليا.

القلح: صفرتها.

الطُّرامة: خضرتها.

الحَفَر: ما يلزق بها. الدَّرَد: ذهابها.

الهَتَم: انكسارها. اللَّطَط: سقوطها..

● تفصيل الرياح:

إذا وقعت الريح بين الريحين: فهي النكباء.

فإذا هبَّت من جهات مختلفة: فهي المتناوحة.

فإذا جاءت بنَفَس ضعيف: فهي النسيم.

فإذا ابتدأت بشدة: فهي النافجة.

فإذا حركت الأغصان وقلعت الأشجار: فهي الزعزاع.

فإن كانت سريعة: فهي المُجْفِل.

فإذا هبَّت بالغبرة: فهي الهَبْوة.

فإن كانت باردة: فهي الحَرْجَف.

فإن كانت حارة: فهي الحرور.

فإن كان بردها يخرق الثياب: فهي الخريق.

فإن كانت لينة: فهي الرَّيْدانة.

فإن كان لها حنين كالإبل: فهي الحنون.

فإن كانت شديدة حتى جاءت بالحصى: فهي الحاصبة.

فإذا هبَّت من الأرض نحو السماء: فهي الإعصار.

فإن كان مع بردها ندى: فهي البليل.

● من أسماء الحجارة:

القهقر أو القهقار: الحجر الصلب.

المرجاش: الحجر الذي يرمى به في البئر ليصيب ماءها ويفتح عيونها.

المرداس: الحجـر الذي يـرمى بـه في البئر ليُعلـم أفيها مـاء أم لا، وليعلم مقدارها أيضاً!

الزَّور: حجر يظهر لحافر البئر فيعجز عن كسره.

البَلَق: حجارة باليمن تضيء ما وراءها كالزجاج.

المِلدس: حجر ضخم يُدَقُّ به النوى.

النَّسْفة: الحجر الذي تُدلك به الأقدام في الحمَّام.

الشَّهم: حجر يجعلونه في مصيدة الأسد يقع إذا دخله.

المضبوحة: حجاة تُقدح بها النار.

الحَبْس: حجارة تُبنى في مجرى الماء لتحبسه.

الضاحك: الحجر الأبيض الشديد البياض يبدو في الجبل.

● في الفروقات:

افترق: في المعاني والصفات. تفرّق في الأشخاص والأجسام.

الإنكار: باللسان. الجحود: بالقلب.

الجدال: المجادلة في الحق قبل ظهوره

المراء: المجادلة في الحق بعد ظهوره.

الإفادة: صدور الشيء عن نفسه.

الاستفادة: صدور الشيء عن غيره.

العجمي: منسوب إلى العجم وإن كان فصيحاً.

الأعجمي: من يمنع لسانه عن العربية ولا يفصح وإن كان نازلاً بالبادية!

المكتوم: في المعاني. المستور: في الأعيان.

الرداء: ما يكسو النصف الأعلى. الإزار: مَا يكسو النصف الأسفل.

الحَرور: الريح الحارة ليلاً السَّموم: الريح الحارة نهاراً.

التقريظ: مدح الرجل حياً التأبين: مدحه ميتاً.

السين: للاستقبال القريب. سوف: للاستقبال البعيد.

الدفع: صرف الشيء قبل الورود. الرفع: صرف الشيء بعد وروده.

جذبه: جرَّه لنفسه. سحبه: جرَّه على الأرض.

الحَزْم: التأهب للأمر. العَزْم: النفاذ فيه.

أحدب: إذا خرج ظهره ودخل صدره. أقعس: إذا خرج صدره ودخل ظهره.

سياع: طين فيه تبن. طين: إذا كان خالياً منه.

النيف: من واحد إلى ثلاثة. البضع: من أربعة إلى تسعة.

النهس: بأطراف الأسنان. النهش: بالأسنان والأضراس.

الجلوس: هو الانتقال من سُفل إلى علو.

القعود: هو الانتقال من علو إلى سُفل.

● الطاط والطوط والطيط: الرجل الطويل.

القاق والقوق والقيق: الرجل الطويل أيضاً.

الحَوْري والحُوْري والحِيري: الرجل الفائق.

قسمة ضأزى وضُؤزى وضيزى: جائرة.

● في الكليات:

كل ما أشبه رأسه رأس الحيات: فهو حنش.

كل شجر له شوك: فهو عضاة.

كل أرض مستوية: فهي صعيد.

كل شيء دبَّ على الأرض: فهو دابَّة.

كل جبل عظيم: هو أخشب.

كل ما ارتفع من الأرض: فهو نجد.

كل فعله شنيعة: فهي سَوْأة.

● الأشياء الصغيرة:

القارب: السفينة الصغيرة.

القَلَهْزم: الغرس الصغير.

الجدول: النهر الصغير.

الذَّر: صغار النمل.

الحُسبانة: الوسادة الصغيرة.

الخُشَيْش: الغزال الصغير.

السَّوْملة: الفنجانة الصغيرة.

الحبلَّق: صغار المعز.

الفسيل : صغار الشجر.　　اللَّمَم : صغار الذنوب .

● الأشياء الضخمة :

الجاب : الحمار الضخم .　　العُلْكوم : الناقة الضخمة .

الهراوة : العصا الضخمة .　　الهلُّوف : اللحية الضخمة .

● تقسيم الأنوف :

أنف الإنسان .　　مِخطم البعير　　هرثمة السبع

قِرْطِمة الطائر　　نُخْرة الفرس　　خُرطوم الفيل

خِنابة الجارح　　فنطيسة الخنزير

● ضروب مشي الإنسان :

الدَّرَجان : مشية الصبي الصغير.　　الحبو: مشي الرضيع على أسته .

الخطران : مشية الشاب بنشاط .　　الدليف : مشية الشيخ رويداً .

الهدجان : مشية المثقل .　　الرسفان : مشية المقيَّد .

الاختيَال : مشية المتكبر.　　العشزان : مشية المقطوع الرجل .

القزل : مشي الأعرج .　　التخلج : مشية المجنون .

الإهطاع : مشية المسرع الخائف من الله .

القهقرى : مشية الراجع إلى خلف .

● تقسيم النكاح :

نكح الإنسان .　　كام الفَرَس .　　باك الحمار.

قاع الجمل.   نزا التيس والسبع.   عاظل الكلب.

سَفَد الطائر.   قمط الديك.

● ترتيب النوم:

النعاس: أن يحتاج الإنسان إلى النوم.

التزنيق: مخالطة النعاس العين.

التغفيق: النوم مع سماع كلام قوم.

التهويم والغرار: النوم القليل.

الوسن: ثقل النعاس.

الكرى: الغمض بين النوم واليقظة.

الإغفاء: النوم الخفيف.

الرقاد: النوم الطويل.

● ألغاز لغوية وفقهية:

- هل يجوز للإنسان بيع الوقف؟

الجواب: نعم ولو بلغ ثمنه مائة ألف

(الوقف: حُلي المعصم كالسوار، وهو من عاج).

- هل يجوز للإنسان بيع الريحان؟

الجواب: لا يجوز ولو لكسوة العريان.

(الريحان: الولد).

- ما تقول في بيع أم عطية؟

الجواب : يجوز سراً وعلانية!

(أم عطية : الرحىٰ) .

- ما تقول في أكل أم جابر؟

الجواب : يجوز في الماضي والغابر.

(أم جابر: الخبز والهريسة ، وكلا المعنيين جائز هنا) .

- ما تقول في أكل المنشار والمنارة؟

الجواب : جائز كأكل قثّاء أو خيارة!

(المنشار: سمكة على هيئة المنشار، والمنارة : سمكة على هيئة المنارة) .

- ما تقول في شافعي لمس الإبريق؟

الجواب : يُنتقض وضوؤه عند كل صديق!

(الإبريق : المرأة الحسناء البرّاقة) .

- ما تقول في شافعي لمس الكنيسة؟

الجواب : يُنتقض وضوؤه عند كل أنيسة .

(الكنيسة : المرأة الحسناء) .

- ما تقول فيمن سجد على شمالة؟

الجواب : لا بأس بفعاله .

(الشمالة : قطيفة للصلاة) .

- ما تقول فيمن حمل جرواً وصلى؟

الجواب: هو كما لو حمل باقلاً.

(الجرو: البطيخ الصغير).

- ماذا لو ضحكت المرأة في صومها.

الجواب: بطل صوم يومها.

(يقال: ضحكت المرأة أي حاضت).

- ما تقول في وجود السبت يوم الخميس؟

الجواب: يجوز عند كل أنيس.

(السبت: حلق الرأس).

- ما تقول فيمن ضرب على يد اليتيم؟

الجواب: جائز إلى أن يستقيم.

(يقال: ضرب على يد اليتيم: حجر عليه إلى بلوغ رشده).

- ماذا يجب على من مَلَك مائة مصباح؟

الجواب: حُقَّتان ياصاح!

(المصباح: الناقة).

- هل يجوز أن يُضحَّى بالطالق؟

الجواب: نعم، ويُقري منها الطارق.

(الطالق: الناقة تُرسل في المرعى. ويُقري: أي يُطعم منها الطارق، وهو الضيفُ السائل).

- هل يوجد أعور له عينان؟

الجواب: يوجد في القاموس والتبيان.

(الأعور: الغراب).

- هل يجوز للرجل أن يذبح خاله للأضحية؟

الجواب: نعم، تكون جميع أفعاله مرضية!

(الخال: البعير الضخم).

- ما تقول في ذبح أبي الفضائل؟

الجواب: يجوز عند المناهل.

(أبو الفضائل: كنية الجمل).

- ما تقول في ذبح أبي حسان؟

الجواب: جائز للصلة والإحسان.

(أبو حسان: كنية الديك).

- ما تقول في ذبح أم الوليد؟

الجواب: يجوز عند كل فريد.

(أم الوليد: كنية الدجاجة).

- ما تقول في جواز قتل الرقيب؟

الجواب: جائز للبعيد والقريب.

(الرقيب: حية خبيثة).

● أمره عجيب وشأنه غريب:

- له وجه ولا وجه له!

(المراد من الوجه الأول: الوجه المعلوم للإنسان، والمراد من الوجه الثاني: هو الطريق، أي لا طريق له مخصوص).

- له لسان ولا لسان له!

(المراد باللسان الأول: اللسان المعلوم للإنسان، والمراد باللسان الثاني: الفصاحة، أي لا فصاحة له، فإن اللسان يطلق على الفصاحة أيضاً، وهي من جملة معانيه).

- له رقبة ولا رقبة له!

(يراد بالأولى: الرقبة المعلومة للإنسان، وبالثانية: الرقيق... قال تعالى: ﴿فتحرير رقبة مؤمنة...﴾).

- له يد ولا يد له!

(اليد الأولى هي اليد المعلومة للإنسان، والثانية: بمعنى القوة، فإنها تجيء بمعناها أيضاً).

- له فخذ ولا فخذ له!

(الأول هو الفخذ المعلوم للإنسان، والثاني: العشيرة...).

- له شقيقة ولا شقيقة له!

(الأولى: الأخت الشقيقة، والثانية: داء حاصل في الرأس، وهو مرض يعرف بالشقيقة)!

لطائف المعارف (*)
للثعالبي

● من ألقاب الشعراء الذين لُقِّبوا بأشعارهم :

الممزِّق : وهو شأس بن نهار العبدي ، لقب بذلك لقوله :

فإن كنت مـأكـولاً فكنْ خير آكلٍ ... وإلا فـأدركني ولمَّا أُمَـزَّق

المخرِّق : واسمه عباد الحضرمي ، لقب بذلك لقوله :

أنـا المخـرِّق أعـراضَ اللئـام كما ... كـان الممـزِّق أعـراض اللئـام أبي

تأبط شراً : وهو ثابت بن جابر، لقب بذلك لقوله :

تـأبط شراً ثـم راح أو اغتـدى ... يطـالع غنماً أو يسيـف إلى ذحل

(*) لطائف المعـارف/ تأليف أبي منصور الثعالبي ؛ تحقيق إبراهيم الأبيـاري، حسن كامل الصيرفي - القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٩هـ، ٣٠، ٣٢٨ص.

والكتاب مـوسوعة أدبيـة من نوع خـاص! فيه معلومـات طريفـة يصعب على متخصص أن يوفَّق لضمها ولم شتـاتها . . وفيها فـوائد كثيرة لا سبيل إلى جمعها إلا بالنظـر في كتب كثيرة متفرقـة . فهو يتكلم في الأوائل، وفي ألقاب الشعـراء، والألقاب الإسـلامية للـوجوه والأعيـان، وفي المتقدمين، والأعرقين من كل طبقة، وفي المتنـاسقين في أحوال مختلفة، وفي الغايـات من طبقات الناس، وفي ظرائف الاتفاقات في الأسماء والكنى. وتكلم في فنون شتى من المعارف النبوية والقرشية والملوكية، وتكلم في مُلح النوادر في غرائب الأحوال وعجائب المخلوقات، وتكلم في خصائص البلدان وذكر محاسنها ومساوئها .

والمؤلف هو عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعـالبي، من أئمة اللغة والأدب، من أهل نيسابور، كـان فرّاءً يخيط جلـود الثعالب، فنسب إلى صنـاعتـه، واشتغل بالأدب والتـاريخ فنبغ، وصنف الكتب الكثيرة الممتعة. ت ٤٢٩هـ.

عويف القوافي: وهو عويف بن معاوية بن عقبة، لقب بذلك لقوله:

سأُكذبُ من قد كان يزعم أنني إذا قلتُ قولاً لا أُجيد القوافيا

ذو الرُّمَّة: هو غيلان بن عقبة، لقب بذلك لقوله:

أشعث باقي رُمَّة التقليد

[وهذا البيت من أرجوزة لذي الرمة يخاطب بها أخاه مسعوداً، يصف وتداً يدق في الأرض يتشعث رأسه. والرمة: القطعة من الحبل. والتقليد: من قلده، إذا وضع في عنقه مثل القلادة. يعني: لم يبق في أرض الدار بعد نزح أهلها عنها غير هذا الوتد المشعث الرأس من كثرة ما دُقَّ عليه، فيه بقايا حبال هي كالقلادة له].

جِرانُ العَوْد: هو المستورد العُقيلي. لقب بذلك لقوله لامرأتيه:

خُذا حذراً يا طَلَّتَيَّ فإنني رأيت جِران العَوْد قد كاد يَصْلُح

[والطَّلَّة: امرأة الرجل.

والجران: باطن العنق الذي يضعه البعير إذا مَدَّ عنقه لينام، ومنه تعمل الأصواف.

والعَوْد: البعير المسن، وجلده أقوى وأمتن].

موسى شَهَوات: وهو موسى بن يسار، مولى قريش. لقب بذلك لقوله ليزيد بن معاوية:

لست منا وليس خالُك منَّا يا مُضِيعَ الصلاة للشهواتِ

عائد الكلب: هو مصعب بن عبدالله الزبيري، لُقِّب بذلك لقوله:

مالي مـرضتُ فلم يَعُـدْني عـائدٌ منكم، ويمـرض كلبُكـم فأعـودُ

مقبّل الريح، لقب بذلك لقوله :

يـا هنـدُ مـا تأمـرين في رجلٍ قـد اشتفى من فـؤاده الكَمَـدُ
هـبَّ شمالٌ فقيـل مـن بلـدٍ أنت بـه، طـاب ذلك البلـد
فقبّل الـريح مـن صبـابتـه مـا قبّلَ الـريحَ قبلـه أحـدُ!

● ومن ألقاب الأعيان : عبدالله الفقير. وهو عبدالله بن مسلم، أخو قتيبة ابن مسلم. لُقِّب بذلك؛ لأن أخاه قتيبة كان كلما قسم الغنائم بخراسان على أصحـابه وقـومه، قـال له عبـدالله : أيها الأمير، أنا رجلٌ فقير فـزدني. فلُقِّب بالفقير! فـولاه قتيبة سمـرقند، وقـال لأصحابـه : أترون هذا اللقـب يزول عن أخي الآن وهو والي سمـرقند؟ قـالوا : لا والله أيها الأمير، ولو ولي خـراسان، فإن اللقب ألزم له وألزق من الدَّين، وحُمَّى الرِّبع[1]، وشَعَرات القَصِّ[2].

● ذكر الأعرقين من كل طبقة والمتناسقين في أحوال مختلفة :

- أعرق الأنبياء في النبوة :

يـوسف الصديـق، ابن يعقوب إسرائيل، ابن إسحـاق الـذبيح[3]، ابن إبراهيم الخليل، صلوات الله عليهم أجمعين.

ولا يُعرف نبيٌّ ابن نبي ابن نبي ابن نبي سواه.

---

(١) حمى الربع : التي تنقطع ثلاثة أيام وتجيء في الرابع.

(٢) شعرات القص : يقال في المثل : ألزم من شعرات القص. والقص : رأس الصدر، وذلك أنه كلما حلقت نبتت. والمعنى : أنه لا يفارقك!

(٣) الصحيح أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام.

- أعرق الخلفاء في الخلافة :

المنتصر بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور وكذلك أخوه المعتز.

ومن العجائب أن أعرق الأكاسرة في الملك - وهو شيرويه - قتل أباه أبرويز، واستوى على ملكه، فلم يعش بعده إلا ستة أشهر.

وأعرق الخلفاء في الخلافة - المنتصر - قتل أباه المتوكل، واستولى على الخلافة، فلم يعش بعده إلا ستة أشهر!!

- أعرق الناس في صحبة رسول الله ﷺ :

محمد بن عبدالرحمن بن أبي بكر بن قحافة.

فإن أربعتهم رأوا النبي ﷺ وصحبوه!

- أعرق الأشراف في العمى :

عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب.

فإن كلاً منهم عمي في آخر عمره!

- أعرق الناس في القتل :

عُمارة بن حمزة بن مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد.

ولا يُعرف في العرب والعجم ستة مقتولين في نسق إلا في آل الزبير.

قُتل عُمارة وحمزة معاً يوم قُديد في حرب الإباضية.

وقتل مصعب بدير الجاثليق في الحرب بينه وبين عبدالملك بن مروان.

وقتل الزبير بوادي السِّباع في حرب الجمل .

وقتل العوام في حرب الفجار.

وقتل خويلد في حرب خزاعة!

- أعرق الناس في الغدر:

عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس بن معد يكرب .

فإن عبدالرحمن غدر بالحجاج بن يوسف لما ولاَّه البلاد، وخرج عليه، وواقعه زُهاء ثمانين وقعة، وكانت أُخراها دائرة السوء عليه!

وغدر محمد بن الأشعث بأهل طبرستان . وكان عبيد الله بن زياد ولاّه إياها، فصالح وعَقَد لهم، ثم عاد إليهم، فأخذوا عليه الشعاب، وقتلوا ابنه أبا بكر وفضحوه .

وغدر الأشعث ببني الحارث بن كعب . غزاهم، فأسروه، ففدى نفسه بمائتي بعير، وأعطاهم مائة، وبقيت عليه مائة فلم يؤدِّها، حتى جاء الإسلام فهدم ما كان في الجاهلية .

وكان بين قيس بن معد يكرب ومراد عهدٌ إلى أجل، فغزاهم في آخر يوم من الأجل . وكان ذلك يوم الجمعة، وكان يهودياً، فقال : إنه لا يحلُّ لي القتال غداً؛ لأنه السبت . فقاتلهم، فقتلوه وفرقوا جيشه!

وغدر معد يكرب ببني مهرة، وكان بينه وبينهم عهد، فغزاهم ناقضاً للعهد، فقتلوه، وشقوا بطنه فملؤوه حصى!!

- أعرق الناس في الشعر:

قال المبرد: كان يقال: أعرق قوم في الشعر آل حسَّان، فإنهم معتدُّون ستة في نسق كلهم شاعر، وهم: سعيد بن عبدالرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام. حتى جاء آل أبي حفصة، وتوارثوا الشعر.. وتناسق منهم عشرة على الولاء مذكورون بالشعر، أنشدوا الخلفاء وأخذوا الجوائز.

وهم: أبو حفصة مولى عثمان، ثم يحيى بن أبي حفصة، ثم سليمان بن يحيى بن أبي حفصة، ثم مروان بن سليمان، ثم أبو الجنوب بن مروان، ثم مروان بن أبي الجنوب، ثم يحيى بن مروان، ثم مروان بن يحيى، ثم محمود بن مروان، ثم متوَّج بن محمود!

● في الغايات من طبقات الناس:

- أشرف النساء نسباً:

فاطمة: أبوها سيد البشر محمد ﷺ، أمها أم المؤمنين خديجة، زوجها سيد الأوصياء علي رضي الله عنه، ابناها سيدا شباب أهل الجنة.

- امرأة لها اثنا عشر محرماً كلهم خليفة:

هي عاتكة بنت يزيد بن معاوية. يزيد أبوها، معاوية جدُّها، معاوية بن يزيد أخوها، عبدالملك بن مروان زوجها، مروان بن الحكم حموها، يزيد بن عبدالملك ابنها، الوليد بن يزيد ابن ابنها، الوليد وسليمان وهشام بنو زوجها، يزيد وإبراهيم - ابنا الوليد - ابنا ابن زوجها.

نظيرتها من بني العباس هي أم جعفر بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور. المنصور جدها، المهدي عمها، الرشيد زوجها، الأمين ابنها، المأمون والمعتصم ابنا زوجها.

● طرائف الاتفاقات في الأسماء والكنى :

- خمسة من الأنبياء عليهم السلام كلهم ذو اسمين :

محمد وأحمد، عيسى والمسيح، ذو الكفل واليسع، يعقوب وإسرائيل، يونس وذو النون .

- ملكان إسلاميان أول اسم كل واحد منهما (ع)، قتل كل منهم ثلاثة من الملوك، أول اسم كل منهم (ع)!

فأحدهما : عبدالملك بن مروان، قتل عبدالله بن الزبير، وعمرو بن سعيد بن العاص، وعبدالرحمن بن محمد بن الأشعث .

والآخر: أبو جعفر المنصور واسمه عبدالله بن محمد، قتل عبدالرحمن بن محمد أبا مسلم الخراساني، وعمه عبدالله بن علي، وعبدالجبار بن عبدالرحمن والي خراسان .

● فنون شتى :

- عيوب السادة :

قال أبو عمرو بن العلاء : ما رأينا شيئاً يمنع من السؤدد إلا وجدناه في سيد من السادة!

وأول ذلك :

الحداثة : وقد ساد أبو جهل قريشاً وما طرَّ شاربه، ودخل دار الندوة وما استوت لحيته!

والبخل: وقد ساد أبو سفيان، وكان بخيلاً معروفاً بالبخل!

والزاني لا يسود، وقد ساد عامر بن الطفيل، وكان أزنى من قرد[1].

والظالم لا يسود، وقد ساد كليب بن وائل، وحذيفة بن بدر، وكانا أظلم من حية[2]!

والأحمق لا يسود، وقد ساد عيينة بن حصن الفزاري، وكان أحمق. وفيه يقول النبي ﷺ: «هذا الأحمق المطاع».

والفقير لا يسود، وقد ساد أبو طالب وعتبة بن ربيعة، وكانا فقيرين عزيزين جداً.

ولا يعرف في العرب والعجم كذاب ساد.

والعرب تقول: ليس في الأرض شجاع إلا سخي، فنقض ذلك عبدالله بن الزبير، فإنه كان من أشجع الناس ومن أبخلهم.

وتقول العرب: ليس في الأرض شاعر إلا جبان، فنقض ذلك عنترة بن شداد العبسي، فإنه كان من أشعر الناس وأشجعهم!

● الصلع من الخلفاء:

كان عمر بن الخطاب أصلع، وعثمان أصلع، وعليٌّ أصلع، ومروان بن الحكم أصلع، وعمر بن عبدالعزيز أصلع. ثم انقطع الصلع عن الخلفاء!

---

(١) مات ١١هـ ولم يسلم.

(٢) وكلا هما جاهليان. والتاريخ مليء بالحكام الظالمين، لكن ربما يقصد الكاتب من بين الأشراف (السادة).

● صناعات الأشراف :

كـان أبو طـالب يبيع العطـر، وكان أبـو بكـر يبيع البز (هي الثيـاب من الكتان أو القطـن)، وسعد بن أبي وقـاص يبري النَّبل، وكان الـزبير جزاراً، وأبو سفيان يبيع الزيت والأدم، والعاص بن وائل يعالج الخيل والإبل .

● غرائب الأحوال وعجائب الأوقات والاتفاقات :

- أب وابن تقارب ما بينهما من السن تقارباً شديداً :

هو عمـرو بن العاص . كان بينـه وبين ابنه عبدالله ثـلاث عشرة سنة . ولا يُذكر مثل ذلك .

- أعجوبة فيها معتبر:

روت الرواة من غير وجه عن عبدالملك بن عُمير اللَّخمي[1] أنه قال :

رأيت في هذا القصر - وأشـار إلى قصر الإمارة بالكـوفة - رأس الحسين بن علي بن أبي طـالب بين يدي عبيدالله بـن زياد على ترس، ثم رأيـت فيه رأس عبيـدالله بن زيـاد بين يدي المختـار بن أبي عبيـد على تـرس، ثم رأيت رأس المختـــار بين يـدي مصعب على تـــرس، ثم رأيت رأس مصعب بين يـــدي عبدالملك بن مروان على ترس .

فحدَّث بهذا الحديث عبدالملك، فتطيَّر منه وفارق مكانه!

● من خصائص البلدان :

- البصرة والكوفة :

---

(١) كنيته أبو عمرو. وكان يلقب : القبطي . وهـو من لخم، عُمِّر حتى بلغ مائة وثلاث سنين، ومات سنة ١٣٦هـ.

كان الحجاج يقول: الكوفة جارية جميلة لا مال لها، فهي تُخطب لجمالها. والبصرة عجوز شوهاء موسرة، فهي تخطب لمالها.

وكان زياد بن أبيه يقول: العراق عين الدنيا، والبصرة عين العراق، والمِرْبَد عين البصرة، وداري عين المربد.

- بغداد:

... من عجيب شأنها أنها على كونها الحضرة الكبرى لاستيطان الخلفاء إياها، لا يموت بها خليفة!! كما قال عمارة بن عقيل:

أعاينتَ في طولٍ من الأرض والعرض ... كبغداد داراً إنها جنة الأرض
قضى ربُّها ألا يموت خليفةٌ ... بها، إنه ما شاء في خلقه يَقضي

وعلى ذلك جرى الأمر إلى زماننا هذا، إذ مات المنصور بمكة، والمهدي بماسبذان، والهادي بعيسى آباذ، والرشيد بطوس، وقتل الأمين [خارج باب الأنبار عند بستان طاهر]، ومات المأمون بطرسوس، والمعتصم بسامراء، والواثق بها، وقُتل المتوكل ومات المنتصر بسامراء، وخُلع المستعين وكذلك المعتز والمهتدي وقُتلوا، ومات المعتمد بالحَسَنية، وكذلك المعتضد والمكتفي، وقُتل المقتدر، وكُحل[1] القاهر، ومات الراضي بالحسنية، وكُحل المتقي والمستكفي، ومات المطيع بدير العاقول، وخُلع الطائع، [وقتل المسترشد بمراغة، وقتل الراشد بأصفهان].

---

(١) أي سملت عيناه.

- أصبهان :

موصوفة بصحة الهواء، وجودة التربة، وعذوبة الماء. وقلما تجتمع هذه الصفات في بلدة. ويحكى أن الحجاج ولّى بعض خواصّه أصبهان، فقال له :

قد وليتك بلدة حَجَرُها الكُحل، وذبابها النحل، وحشيشها الزعفران.

وذلك لأن حجر الكحل بها موصوف بالجودة، والزعفران بها كثير، وكذلك النحل.

- جُرجان :

هي سهلية، جبلية، برية، بحرية. وأهلها يَعُدُّون زيادةً على مائة نوع من أنواع الرياحين والبقول والحشائش الصحراوية والثمار والحبوب السهلية والجبلية التي هي مبذولة للجميع، يتعيَّش الفقراء والغرباء باجتنائها وجمعها وبيعها. فمنها :

حبُّ الرمان، وبِزْر قَطُونا[1] والثمرة التي يقال لها : نَيْسو[2] والنرجس السكيّ.

على أن غُرَّة فواكهها التين والعُنَّاب[3]. ثم العُنَّاب من خصائصها، ولا يكون في سائر البلاد مثله.

---

(١) نبات سنوي ساقه متفرعة، ولا تستعمل إلا بزوره التي تنظرها في اللون كالبراغيث.

(٢) نيسو أو نيسويا : ثمرة تشبه الكرز.

(٣) شجر حبه كحب الزيتون أحمر حلو.

ويتلاقى في سُوقها جَنى الصيف والشتاء، من الباذنجان والخيار والفجل والجزر والباقلاء[1] وقصب السكر.

ويقال إن جُرجان مقبرة أهل خراسان.

وفي بعض الكتب القديمة أن بخراسان بلدة يقال لها جرجان، يُساق إليها القِصَارُ الأعمار من الناس.

وكان أبو تراب النيسابوري يقول: لما قُسمت البلدان بين الملائكة وقعت جُرجان في قسم أبي يحيى - يعني ملك الموت - أي لكثرة الموتى بها!

وكان المأمون لما رجع من خُراسان إلى العراق جعل طريقه على جُرجان، فدامَ المطر بها قريباً من شهر، حتى تبرَّم وضجر، فقال: اخرجوا من هذه الرشاشة!

- نيسابور:

كان المأمون يقول: عين الشام دمشق، وعين الروم قسطنطينية، وعين الجزيرة الرقة، وعين العراق بغداد، وعين الجبال أصبهان، وعين خراسان نيسابور، وعين ماوراء النهر سمرقند.

- سجستان:

يروى في بعض الآثار قول بعض السلف فيها:

---

(١) هي الفول.

ماؤها وَشَل[1]، وتمرها دَقْل[2]، ولصُّها بطل. إنْ قلَّ الجيش بها ضاعوا، وإن كثروا جاعوا!

- سمرقند:

من خصائصها: الكواغيد[3]، التي عطَّلت قراطيس مصر، والجلود التي كان الأوائل يكتبون فيها؛ لأنها أحسن وأنعم وأرفق وأوفق، ولا تكون إلا بها وبالصين!

- الصين:

وأهل الصين - قديماً وحديثاً - مخصوصون بصناعة اليد والحِذْق في عمل الطُّرَف والمُلَح؛ وهم يقولون: أهل الدنيا عُميٌ إلا أهل بابل فإنهم عُور!

ولهم الإغراب في خَرْط التماثيل، والإبداع في عمل النقوش والتصاوير، حتى إن مصوِّرهم يصور الإنسان ولا يغادر شيئاً إلا الروح! ثم لا يرضى بذلك حتى يصوِّره ضاحكاً، ثم لا يرضى بذلك حتى يفصل بين ضحك الشامت وضحك الخَجِل، وبين المتبسِّم والمستغرب، وبين ضحك المسرور وضحك الهازئ! فيركِّب صورة في صورة، وصورة في صورة!

- أنطاكية:

لمَّا همَّ الرشيد باستيطان أنطاكية كَرِه أهلها ذلك، فقال له شيخ منهم: يا أمير المؤمنين، إنها ليست من بلادك.

---

(١) الوشل: الماء القليل يتحلب من صخر أو جبل. وهو من الأضداد.

(٢) الدقل: أردأ التمر.

(٣) هي القراطيس.

قال: ولِمَ؟ قال: لأن الطيب الفاخر يتغير حتى لا يُنتفع منه بشيء، والسيف يصدأ بها وإن كان من قَلَع الهند وطبع اليمن، وربما اتصل مطرها ودام شهرين فلا يُرى فيها صحوُ يوم!

- خُوَارَزْم:

من خصائصها: البطيخ الذي يقال له البارَنْج. ويقال إنه أحلى البطاطيخ وأطيبها. وكان يُحمل إلى المأمون أولاً، وإلى الواثق ثانياً، في قواليب الرصاص معبأة في الثلج. وكانت تقوَّم الواحدة منها - إذا سَلِمَت وَوَصلت - بسبعمائة درهم!!

اللمعات البرقية في النكت التاريخية (*)
لابن طولون

● قال ابن قاضي شهبة في «الكواكب الدرية في السيرة النورية» في أحداث سنة ٥٤٦هـ :

وفيها ورد إلى مدينة «سبتة» مركبٌ فيه جماعة من أسارى المسلمين، وفيهم صبيَّان في جسدين، أحدهما ملتف بالآخر، وهما تامان في الخِلْقة سوى الفخذين والرِّجلين، فإنهما برجلين على فخذين، يتكلمان بالعربية، وقد تعلما شيئاً من القرآن.

وقد ذكرت الفرنج أنهم أصابوهما في بعض الجزائر، أو في بعض المراكب، ومعهما شيخ كبير، وهو والدهما، وأنه مات بصقلية. وكانا جميلي الصورة، فصيحي العبارة. وتسامع النصارى بذلك، وكانوا يأتون إليهما لمشاهدة صنع

(*) اللمعات البرقية في النكت التاريخية/ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد بن علي بن طولون. - دمشق: مكتبة القدسي والبدير، ١٣٤٨هـ، ٧٦ص - (رسائل تاريخية؛ ٤).

والكتاب عبارة عن مقتطفات أو اختيارات لأحداث معينة من التاريخ تتميز بالغرابة وعدم التكرار غالباً، أو أن فيها عبرة وعظة بالغة، وكان لها أثر كبير وصدىً واسع في ذلك الوقت، لتميزها، ولما صاحبها من عجائب.

و«النكتة»: الفكرة اللطيفة المؤثرة في النفس، والمسألة العلمية الدقيقة يتوصَّل إليها بدقة وإنعام فكر، من نكَّت في قوله: إذا أتى فيه بِطُرَف ولطائف.

والمؤلف مؤرخ مشهور، عالم بالتراجم والفقه من أهل الصالحية بدمشق. كانت أوقاته معمورة كلها بالعلم والعبادة. وله مشاركة في سائر العلوم، حتى في التعبير والطب. كتب بخطه كثيراً من الكتب وعلق عليها. ولم يتزوج. ت ٩٥٣هـ.

الله، ويُحملان إلى المواضع، والناس يبروهما، وحصل لهما بـذلك نعمة طائلة وافرة.

. . . ونظير هذا ما حكاه التنوخي في كتاب «نشوار المحاضرة» أن صاحب أرمينيـة بعث إلى ناصر الـدولـة ابن حمدان، في سنة نيف وأربعين وثـلاثمائة، رجلين ملتصقين من أحـد الجانبين، من فـوق الحلقوم إلى دون الإبط، وكـان أحدهما يمشي إلى جنب الآخر، ويجعل يده التـي تلي جانب أخيه خلف ظهر أخيه ويمشيـان. وأنهما كانا يركبـان دابة ببردعة، وكان أحـدهما إذا أراد البول قـام الآخر معـه. وكـان معهما أبوهما. فتعجب منهما نـاصر الـدولة وأجـزل صلتهما. وكانا يـدخلان على الكبراء والأغنياء في الليل حتى لا يـراهما العامة نهاراً. وحصل لهما نعمة وافرة.

قـال التنوخي: وبلغني أن أحـدهما مرض ومـات، وبقي الآخر بعـده في عقاب لم يستطع أن يحملـه معه، ثم أنتن عليه، ومرض لسرايـة العفن إليه، فمات. فدفنهما أبوهما، وكان عمرهما أكثر من ثلاثين سنة!!

● قـال أبو شـامـة في أول كتاب «الـروضتين في أخبـار الـدولتين النوريـة والصلاحية» عن نور الدين الشهيـد وصلاح الدين الأيوبي: .. هذان حجة على المتأخرين من الملوك والسـلاطين؛ لله دَرُّهما من ملكين تعاقبا على حسن السيرة وجميل السريرة، وهما حنفي وشافعـي، شفا الله بهما كل عِيّ، وظهرت بهما مِنْ خالقهما العناية، فتقاربا حتى في العمـر ومدة الولاية. وهذه نكتة قلَّ من فطن لها ونبه عليها، ولطيفة هداني الله بتوفيقه إليها. وذلك أن نور الدين الشهيد ولد سنة ٥١١هـ، وتوفى سنة ٥٦٩هـ.

وولد صلاح الدين بن أيوب سنة ٥٣٢هـ وتوفى سنة ٥٨٩هـ.

وكان نور الدين أسن من صلاح الدين بسنة واحدة وبعض أخرى .

وكلاهما لم يستكمل ستين سنة .

فانظر كيف اتفق أن بين وفاتهما عشرين سنة ، وبين مولدهما إحدى وعشرين سنة .

وملك نور الدين دمشق سنة ٥٤٩هـ ، وملكها صلاح الدين سنة ٥٧٠هـ .

فبقيت دمشق في المملكة النورية عشرين سنة ، وفي الصلاحية تسع عشرة سنة .

وهذا من عجيب ما اتفق في العمر ومدة الولاية ببلدة معينة لملكين متعاقبين ، مع قرب الشبه بينهما في سيرتهما ، والفضل للمتقدم !

فكانت زيادة مدة نور الدين كالتنبية على زيادة فضله . ألا تراه بنى المارستانات (المستشفيات) دون صلاح الدين ؟ ومن أعظمها البيمارستان الذي بناه بدمشق ، فإنه عظيم جداً . . بلغني أنه لم يجعله وقفاً على الفقراء وحسب ، بل على المسلمين كافة ، من غني وفقير.

● وأوردوا نادرة في أصل هذا البيمارستان العظيم !

وهي أن نور الدين الشهيد وقع في أسره بعض ملوك الفرنج خذلهم الله تعالى ، فقطع هذا الملك على نفسه مالاً عظيماً يفتدي به ! فشاور نور الدين أمراءه ، فكلهم أشار بعدم إطلاقه ، وذلك لما كان من الضرر على المسلمين .

وأجل البتَّ في الأمر إلى الغد .

ثم استخـــار الله تعـــالى، وأرسـل في السرِّ يقـــول للملك: أحضر المال. فأحضر ثـلاثمائة ألف دينـار! فأطلقه ليـلاً لئـلا يعلم بـه أصحابـه. وتسلَّم المال. فلما بلغ الفرنجي مأمنه، مات!

وبلغ نـور الـدين خبره، فأعلم أصحـابه، فتعجبـوا من لطف الله تعـالى بالمسلمين، حيث جمع لهم الحسنتين، وهما: الفداء، وموت ذلك اللعين.

فبنى نور الـدين بذلك المال هـذا البيمارستان، ومنع المال الأمـراء، لأنه لم يكن عن إرادتهم!

● وذكـر العـلامة بـدر الـدين الأسـدي في «الكواكب الـدريـة في السيرة النوريـة» في أحداث سنـة ٥٥٦هـ: وفيهـا مرض نقيب الأشراف بـدمشق - المعروف بابن أبي الجن - مرضاً شديـداً أيس منه. ففوض السلطان نور الدين نقابـة الأشراف وما كـان بيده من الـولايات إلى ولده. واشتغـل الابن بتجهيز والـده وترتيب أكفـانـه، وعقد لـه قبراً. فـاتفق أنه عـافـاه الله وانطرح ولـده مريضـاً، فمات في اليوم الخامس، فجُهِّز بـذلك الجهاز، ودُفن في ذلك القبر الذي حفره لوالده!

● قلت: وشهـد بعض العلماء جنـازة ببغداد، فتبعهم نبـاش، فلما كـان الليل جـاء إلى ذلك القبر، ففتح عن الميت - وكـان الميت شابـاً قـد أصابتـه سكتة - فلما فتح القبر نهض ذلك الشاب الميت جـالساً! فسقط النباش ميتاً في القبر، وخرج الشاب من قبره إلى أهله. والله أعلم.

● وقال العـلامة بـدر الدين في أحداث سنـة ٥٣٤هـ: وفيهـا توفي رجل صالح من أهل بلاد الأزج، فنودي للصلاة عليه بمدرسة الشيخ عبدالقادر. فلما أُريد غسلُه عطس وعاش، وشهق المغسل فمات.

وفي هذا المعنى قيل:

كم مـــريض عـــاش من[1] بعـــد مـــوت الطبيـب والعُـــوَّاد
وقـد تُصـاد القطـا فتنجـو سريعـاً ويحلُّ القضـــاء بـــالصيـــاد

● ذكـر الإمــام الـذهبي في مختصر تــاريخ الإسـلام، في أحــداث سنـة ٥٨٠هــ: وفيهـا راهن رجل على خمسة دنـانير أن يُـدفن في قبر نصف يـوم، فدُفن، ثم كشفوا عنه، فإذا به قد مات!

● قال الأسدي في تاريخه في أحداث سنـة ٦١١هـ ما صورته: علي بن أبي بكـر الهروي، الـزاهـد السـائح، الـذي طـرق الأقـاليم. وكـان يكتب على الحيطـان، فقلَّ مـا تجد مـوضعـاً مشهـوراً في بلـد إلا عليــه خطـه!! ولـد بالموصل.. واستوطن في آخر عمره حلب.

قال الـذهبي: وله تواليف حسنـة، ورأيت له كتاب «المزارات والمشـاهد» التي عاينها في الدنيـا، فرأيته حاطب ليل، وعنده عاميـة، لكنه دوَّر الدنيا، ودخل إلى جزائر الفرنج، ورأى العجائب.

● الحاكم بأمر الله - لعنه الله تعالى - هـو أبو علي المنصور بن العزيز. ولي الخلافة سنة ٣٨٦هـ وله إحدى عشرة سنة ونصف سنة.. وقُتل سنة ٤١١هـ وعمره يومئذ ٣٦ سنة وسبعة أشهر. فكانت مدة ولايته (٢٥) سنة.

كان جواداً بالمال، سفاكاً للدماء، سيرته من أعجب السير وأغربها!!

أمـر بسبِّ الصحـابـة، وأمر بكتب ذلك على أبـواب المسـاجـد والجوامع

(١) هكذا في الأصل، والوزن غير مستقيم.

والشوارع. وكتب إلى سائر الأعمال بـذلك في سنة ٣٩٥هـ. ثم نهى عن ذلك بعد مدة.

قال ابن كثير: كـان - قبّحه الله - كثير التلـون في أفعالـه وأقوالـه، وكان جبـاراً عنيداً وشيطـانـاً مريـداً، وسنـذكر شيئـاً من صفـاتـه اللعينة وسيرتـه الملعونـة، منها: أنـه ادعى الألوهية كما ادّعـاها فـرعون في زمن مـوسى عليه السـلام؛ وكـان قـد أمـر الـرعيـة - إذا ذكـره الخطيب على المنبر - أن تقـوم الصفوف لذكره إعظاماً، ولاسمـه احتراماً. وكان يفعل هذا في سائر مملكته، حتى في الحرمين الشريفين! وكـان أهل مصر على الخصوص إذا قـاموا خـرُّوا سجداً، فيسجد لسجودهم مَنْ في الأسواق من الرعاع وغيرهم.

.. وادَّعى الغيب، وكان يقـول: فلان قال في بيته كذا وكـذا، وفعل كذا وكـذا، وذلك باتفـاق اعتمده مع عجـائز يدخلن إلى دور الأمـراء وغيرهـم: ورُفعت إليه رقعة مكتوب فيها:

بـالجَوْر والظلم قـد رضينـا ... وليس بـالكفـر والحماقـهْ
إن كنـتَ أوتيـتَ علـم غيـبٍ ... بيِّن لنـا كـاتب البطـاقـهْ

فلما رآها سكت عن الكلام في المغيبات.

وكانت أموره متضـادة؛ لأنه كان عنده شجاعـة وإقدام وجبن وإحجام، ومحبة للعلم وقتل العلماء، وميل إلى الصلاح وقتل الصلحـاء، والغالب عليه السخاء ويبخل بالقليل، ولبس الصوف سبع سنين، وأقام سنين يوقد عليه الشمع ليلاً ونهاراً، ثم جلس في الظلمة مدة، وقتل من العلماء ما لا يحصى، وأمر بقتل الكلاب ثم نهى عنه، ونهى عن النجوم ونفى المنجِّمين من بلاده، ومع ذلك رصدها! وبنى الجامع المشهور بالقاهرة داخل باب النصر، وجامع

راشدة، وبنى المدارس وجعل فيها العلماء والطلبة والمشايخ، ثم قتلهم وهدمها. ومنع صلاة التراويح عشر سنين ثم أباحها! ومنع النساء من الخروج من بيوتهن ليلاً ونهاراً، فكان مدة المنع - على ما حكاه ابن خلكان - سبع سنين!

ونهى عن أكل الملوخية وبيع الفقاع والجرجير!

وعلل تحريم الملوخية بميل معاوية إليها!

وعلل تحريم الجرجير بكونه منسوباً إلى عائشة رضي الله عنها.

وعذرُه - عثره الله - أنجس من ذنبه!

ثم إنه اطلع على جماعة أكلوا الملوخية، فضربهم بالسياط، وطاف بهم القاهرة، ثم ضرب رقابهم بباب زويلة!

ونهى عن بيع الرطب، ثم جمع منه شيئاً كثيراً وأحرقه، وكان مقدار النفقة على إحراقه خمسمائة دينار وأزيد!

ونهى عن بيع العنب، وأرسل إلى نواحي البلاد من قطع شيئاً كثيراً من الكروم وداسوها بالبقر!

وجمع ما كان في بلاده من جرار العسل، وحُملت إلى شاطئ النيل وقُلبت فيه!

ونهى عن بيع الزبيب على اختلاف أنواعه، ونهى التجار عن حمله إلى مصر، ثم جمع ما كان منه فأحرقه!

ونهى عن بيع السمك الذي لا قشر له، ثم إنه ظفر بمن باعه فقتله!

قال الشيخ علاء الدين علي بن أيبك الدمشقي: إنه أقام له وزيرين أحدهما يهودي والآخر نصراني، فجعلا يحكمان في المسلمين.. فهلكا..

● واتفق بمصر أمر غريب! وهو أنه في أول طاعون سنة ٨٢٢هـ كان بمصر شخص له أربعة أولاد ذكور، فلما وقع الموت في الأطفال، سألت أمهم أباهم أن يختنهم لتفرح بهم قبل أن يموتوا!

فجمع الناس لذلك على العادة، وأحضر المطهِّر، فشرع في ختن واحد بعد آخر، وكل من يُختن يُسقى سكراً بماء على العادة! فمات الأربعة في الحال عقب ختنهم!

فاستراب أبوهم بالمطهِّر، وظن أن الأداة التي ختنهم بها مسمومة! فجرح المطهِّر نفسه بتلك الأداة ليبرئ ساحته! وانقلب فرحهم عزاءً.

ثم ظهر من الزير الذي كان يؤخذ منه الماء حيةٌ عظيمة ماتت فيه وتمزغت، فكانت سبب هلاك الأطفال.

ومن فرَّ من شيء وقع فيه!

● واتفق في سنة ٨٢٣هـ في ثالث رمضان، ذبحُ جمل بغزة، فأضاء اللحم كما تضيء الشموع! وشاع ذلك وذاع حتى بلغ حد التواتر.

وأُخذت من لحمه قطعة، فرميت لكلب، فلم يأكلها!

● ذكر الرشيد أبو خليفة رئيس الأطباء بمصر زمن الكامل، أنه أتت إليه امرأة من الريف ومعها ولدها، وهو مصفرٌّ ناحل، فوضع يده في نبضه، وقال لغلامه ناولني الفرجية. فتغيَّر النبض تحت يده في الحال!

فقال لها: هذا الغلام عاشق في واحدة اسمها فرجية.

فقالت : إي والله يا مولاي ، وقد عجزت في عذْله[1] .

فعجب الحاضرون لذلك .

وقد اهتدى هذا الطبيب إلى ذلك من كـلام ابن سينا في «القانون» ، حيث ذكر العشق فقال : ومما يتوصل به إلى معرفة المعشوق - إذا كتمه العاشق - أن يضع الطبيب يده على نبض العاشق زمانـاً ، ويذكر أسماءً وصفاتٍ وصنائع ، فمتى اختلف النبض اختلافاً شديداً ، واضطرب دُفعةً عند ذكر واحد منها ، فهو المعشوق !

(١) أي لومه .

محاسن الوسائل في معرفة الأوائل (*)
للشبلي

● أول قتيل في الإسلام: نُفيع بن المعلَّى بن لوذان الأنصاري. أسلم قبل الهجرة، فقتله رجل مزني.

● أول من طُرح عليه رحًى فشدختـه فمات شهيداً في الإسلام: خلاَّد بن سويد الخزرجي الأنصاري البدري. طرحت عليه امرأة من قريظة رحًى من

(*) محاسن الوسائل في معرفة الأوائل؛ مع تعليقات السويبني عليه/ تصنيف محمد بن عبدالله الشبلي الدمشقي؛ تحقيق محمد ألتونجي - بيروت: دار النفائس، ١٤١٢هـ، ٤٣٢ص.

علم الأوائل هو علم تتعرَّف منه أوائل الوقائع والحوادث بحسب المواطن والنسب، وموضوعه وغايته ظاهرة، وهذا العلم من فروع التواريخ والمحاضرات.. كما يقول صاحب كشف الظنون.

وقد كتب كثيرون في «الأوائل» منهم ابن أبي عاصم النبيل، وأبو عروبة الحراني، وسليمان بن أحمد الطبراني، وأبو هلال العسكري، وابن باطيش، وابن خطيب داريا، وابن حجر العسقلاني، وجلال الدين السيوطي، وابن طولون... وغيرهم.

وقد انتقيت منه بعض الفقرات الفريدة، وتركت ما عرفت أنه معروف متداول بين المثقفين.. والله الموفق.

والمؤلف هو محمد بن تقي الدين عبدالله الشبلي الدمشقي ثم الطرابلسي الحنفي. ولد بدمشق سنة ٧١٢هـ وتوفي بطرابلس سنة ٧٦٩هـ. كان كثير الطواف، محباً للأسفار في طلب العلم والمعرفة. رحل إلى فلسطين والقاهرة.. قال فيه الذهبي: «الفقيه المحدث العالم، من نبهاء الطلبة وفضلاء الشباب. سمع الكثير، وعُني بالرواية، وقرأ على الشيوخ». كما رحل من دمشق ليلي قضاء طرابلس الشام سنة ٧٥٥هـ بعد قتل قاضيها شمس الدين بن نمير الحنفي بيد اللصوص، فاستمر في مركز القضاء والعبادة والمرابطة قرابة خمس عشرة سنة إلى أن مات. وله مؤلفات، منها: «ذم السماع الملهي وتحريمه وبيان حميد الشعر من ذميمه»، و«نزهة الكرام والأكياس في ذكر السهام والقياس»، و«رسالة في آداب الحمام»، و«آكام المرجان في أحكام الجان».

السطح، فمات شهيداً، فقتلها رسول الله ﷺ.

● أول من سمَّى يوم الجمعة بهذا الاسم هو كعب بن لؤي. وكان يقال لها: العَروبة.

● أول من طيَّب الكعبة بالخَلوق، وأجرى الزيت في قناديل المسجد من بيت المال، هو معاوية رضي الله عنه.

● وأما أول من زيَّن الكعبة بالذهب.. فإنه الوليد بن عبدالملك بعث إلى واليه على مكة - خالد بن عبدالله القسري - بستة وثلاثين ألف دينار، فضرب منها على باب الكعبة صفائح الذهب، وعلى ميزاب الكعبة، وعلى الأساطيم[1] التي في بطنها، وعلى الأركان التي في جوفها.

● أول من غنى في الإسلام الغناء الرقيق: طويس[2].

● أول من حلف كاذباً بالله: إبليس، قال الله تعالى: ﴿وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين﴾[3]. يعني حلف لهما: إنهما إن أكلا من شجرة البُرِّ لم يموتا أبداً. وكذب في يمينه.

● أول من عمل السيوف جمشيد. وهو رابع ملوك الأرض، قاله الطبري.

● أول من سمَّانا مسلمين: إبراهيم عليه السلام. قال الله تعالى: ﴿ملَّة أبيكم إبراهيم هو سمَّاكم المسلمين من قبل﴾[4].

---

(١) السطام: السدادة.

(٢) كان في زمن عثمان رضي الله عنه. وهو الذي قيل فيه: أشأم من طويس.. فقد ولد يوم قُبض رسول الله ﷺ، وفُطم يوم مات أبو بكر، وخُتن يوم قُتل عمر، وزُوج يوم قتل عثمان، وولد له ولد يوم مات الحسن!

(٣) سورة الأعراف، الآية ٢١.

(٤) سورة الحج، الآية ٧٨.

● أول من سنَّ للعرب حُداء الإبل: مضر بن نزار والد إلياس. وكان أحسن الناس صوتاً فيما زعموا. وسببه - فيما ذكروا - أنه سقط عن بعير، فُوثئت يده[1]، فكان يمشي خلف الإبل ويقول: وا يدياه، وا يدياه. يترنَّم بذلك. فسارت الإبل سيراً سريعاً واسعاً، فكان ذلك أصل الحُداء عند العرب، وذلك أنها تتنشَّط بحدائها الإبل، فتُسرع!

● أول من رمى بالمنجنيق في الجاهلية: جُذيمة بن مالك بن فَهم، وهو المعروف بالأبرش. وهو من ملوك الطوائف، وكان يُعرف بالوضَّاح. ويقال له أيضاً: منادم الفرقدين؛ لأنه ربأ بنفسه عن منادمه الناس. .

● أول من كتب «بسم الله الرحمن الرحيم» سليمان بن داود عليه السلام. قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

● أول ما اشتكى النبي ﷺ في مرضه الذي مات فيه: في بيت ميمونة، ثم استأذن نساءه في أن يُمَرَّض في بيت عائشة، فأذنَّ له.

● أول من استُشهد من المسلمين يوم بدر: مهجع، مولى عمر بن الخطاب. . فقد أتاه سهم غرب وهو بين الصفين فقتله. وهو من أهل اليمن.

● أول صلاة كسوف صلاها رسول الله ﷺ: يوم موت ابنه إبراهيم، سنة عشر.

---

(١) أي أصابها وهن ووضم، لا يبلغ أن يكون كسراً.

● أول من عُرف أنه حَرَّم الخمر في الجاهلية: مِقْيَس بن قيس بن عدي. والسبب في تحريمه إياها أنه شرب الخمر حتى ثمل، وأخذ يخدُّ الأرض ببوله، فتضاحك منه الحيُّ من قومه، وكان رئيسهم. فحرَّمها في الجاهلية وقال:

لا أشرب الخمر إن الخمر فاضحةٌ ... تُزري بمن كان ذا لُبٍّ وذا كرم
حتى يُرى ضُحكةً في القوم محتقراً ... كأنما مسَّه طيفٌ من اللَّمم

● أول من سُمِّي في الإسلام أحمد: والد الخليل بن أحمد الفراهيدي. قال المبرِّد: فتَّش المفتشون فما وجدوا بعد نبينا ﷺ من اسمُه أحمد قبل أبي الخليل.

● أول من سُمي عبدالملك وعبدالعزيز: ابنا مروان بن الحكم. ولد عبدالملك في خلافة عثمان رضي الله عنه.

● أول مسألة اختُلف فيها بعد وفاة النبي ﷺ: موتُه.

● أول من سمَّى المصحف مصحفاً: عتبة بن مسعود، أخو عبدالله بن مسعود.

● أول من حبس أرضاً في سبيل الله: عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

● أول النساء إسلاماً بعد خديجة رضي الله عنها: أسامة[1] بنت الحارث الهلالية، أم قثم بن العباس.

● أول من حيَّا النبيَّ ﷺ بتحية الإسلام: أبو ذر. عن عبدالله بن الصامت قال: قال أبو ذر في حديث إسلامه: جاء النبي ﷺ فطاف بالبيت، وصلى

(١) وذُكر أن اسمها «لبابة».

خلف المقام ركعتين، فإني لأولُ الناس حيَّاه بتحية الإسلام، فقلت: السلام عليك، فقال: وعليك، ممن أنت؟ قلت: من بني غفار.

● أول من سنَّ الركعتين عند القتل: خبيب بن عدي. لما أراد المشركون قتله قال لهم: دعوني أصلي ركعتين، فتركوه، فصلاهما..

● أول من قصَّ بجامع البصرة: الأسود بن سريع بن حمير بن عبادة التميمي، صاحب النبي ﷺ. توفي سنة ٤٢هـ.

● أول من أقام على رأسه حرساً: معاوية رضي الله عنه.

● أول من ضرب الدنانير في الإسلام: عبدالعزيز بن مروان، ضربها بمصر سنة ٦٦هـ.

● أول من كتب القرآن على درهم: الحجاج بن يوسف الثقفي.. فقال القرّاء: قاتله الله، كتب سورة من القرآن، فحمل الناس على ما يكرهون، يأخذه الجُنب والحائض.

● أول من نقش على الدراهم التاريخ واسم الملك: عبدالملك بن مروان.

● أول الفاكهة يسمى باكورة.

أول الجيش يسمى طليعة.

أول صياح المولود إذا ولد يسمى استهلالاً.

● أول من اكتحل بالإثمد زرقاء اليمامة.

● أول من تكلم في الرجال: شعبة، ثم تبعه يحيى بن سعيد القطان، ثم بعده أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وهؤلاء.. قال ابن الصلاح: يعني أنه

أول من تصــدَّى لذلك وعُني بـه، وإلا فالكـلام فيهم - جرحـاً وتعديـلاً - متقـدم ثابت عن رسـول الله ﷺ، ثم عن كثير من الصحـابة والتـابعين فمن بعدهم.

● أول من أظهـر العلم بمصر والمســائل والحلال والحرام: يـزيـد بن أبي حبيب الأزدي، أبو رجاء، الإمام الفقيه الكبير. ت ١٢٨هـ.

● أول من أظهر الحديث بالأندلس فقيه الأندلس أبو مروان عبدالملك بن حبيب القرطبي المالكي، أحد الأعلام. ت ٢٣٨هـ.

● أول من قال القريض والرجز: يمن، وهو يعرب بن قحطان.

● أول من ألف كتـاباً في الخراج: حفصويـه جدُّ عبـدالعزيـز العسجدي الشاعر لأمه.

● أول من ألف في المســالك والممالك جعفـر بن أحمد المروزي، يكنى أبـا العباس. صنف كتـاباً في ذلك ولم يتمه. وهو أحـد المؤلفين للكتب في سائر العلوم، وكتبه غزيرة جداً. توفي بالأهواز، وحُملت كتبه إلى بغداد وبيعت سنة ٢٧٤هـ.

● أول من صنف في الدولة وأخبارها كتابـاً هو أبو عبدالله محمد بن صالح ابن النطَّاح. كان إخبارياً ناسباً راوية للسير، له عدة كتب، من البصرة. ت ٢٥٢هـ.

● أول كتـاب ظهـر للشيعـة كتـاب سُليم بن قيس الهلالي. وهــو كتـاب مشهور. وكـان سليم من أصحاب علي بـن أبي طالب رضي الله عنـه، وكان هارباً من الحجاج؛ لأنه طلبه ليقتله..

● أول من تكلم في القدر بالبصرة: معبد الجهني.

● أول من تكلم في الإرجاء: غيلان بن مسلم أبو مروان. ت ١٠٥هـ.

● أول لحن سُمع بالعراق - كما قال الفراء -: «هذه عصاتي». والصواب: هذه عصاي.

قال تعالى: ﴿وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها﴾[١]. والعصا مؤنثة..

● أول من عمل الإسطرلاب في الإسلام: إبراهيم بن حبيب الفزاري من ولد سمرة بن جندب، وعمله مبطَّحاً ومسطَّحاً. وهو من المهندسين وصنَّاع الآلات والحركات.

● أول كتاب صُنِّف في أصول الفقه: كتاب «الرسالة» للإمام الشافعي.

● أول أشراط الساعة: نارٌ تحشر الناس من المشرق إلى المغرب.

● أول من تنشقُّ عنه الأرض يوم القيامة: رسول الله ﷺ.

● أول ما يحاسبُ به العبد يوم القيامة: الصلاة المكتوبة.

● قيل: أول شعر قاله المتنبي[٢]:

بأبي من وددته فافترقنا ... وقضى الله بعد ذاك اجتماعا

وافترقنا حولاً فلما التقينا ... كان تسليمه عليَّ وَداعا

---

(١) سورة طه، الآية ١٨.

(٢) ذكر محقق الكتاب أن المتنبي نظمه ارتجالاً وهو صبي!

من أخلاق العلماء (*)

لعنّارة

● قال الأعمش: كـان ابن عباس إذا رأيتـه قلت أجمل الناس، فإذا تكلم قلت أفصح الناس، فإذا حدَّث قلت أعلم الناس!

(*) من أخلاق العلماء/ محمد سليمان - القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٥٣هـ، ٣٧٢ص.
وقد ذكر المؤلف أنه بدأ بجمع مواد الكتاب منذ خمس عشرة سنة عندما كان قاضياً بدمياط. وذكر أنه اطلع على كتاب «أخلاق العلماء» للآجري الصغير في حجمه، وأنه نحا فيه نحواً غير نحوه.
وأعتبر هذا الكتـاب من الكتب النادرة، حيـث تتبع المؤلف «تصرفات» العلماء الأعـلام على مدى التاريخ الإسلامي، وذكر ما جاد به سلوكهم من أدب عال وصيت بالغ، وركز على ما يكون له أثر وفيه درس وعبرة، مما يكون له أثر على الأجيال المسلمة، وبخاصة التي تهتم بالعلم وشؤون القضاء والدولة.
وقد وزع هذه الأخبار والقصص على أبواب موضوعية، حيث بدأ بذكر «أخلاق العلماء»، ثم بيان صبرهم على طلب العلم، وشغفهم به وأداء واجبه، ثم عن تضحيتهم، وإشفاقهم من حمل أمانة العلم، وتحرزهم من الشبهـة، وقناعتهم واستهـانتهم بالـدنيا، وذكر وظيفتهم، وإيثـارهم الحق، وتشددهم فيما يـرونه حقاً، وإقرارهم لـه، وأدائه مع رعاية الأدب. ثم عن عـزتهم في أنفسهـم بعزة العلم، وبيان سلطانه، وذكر عظمتهم، وإعظام الملوك لهم.. وختمه بباب العلم والعمل.
وقد تـوفى المؤلف بعد صدور كتـابه هذا بسنتين. وهـو محمد سليمان إبراهيم عنّـارة، قاض وأديب مصري، تعلم بمدرسـة القضاء الشرعي، وولي القضـاء في «ببا» من أعمال بني سـويف. ثم كان نائبـاً في المحكمة العليا الشرعيـة بالقاهرة. ومـولده ووفاتـه بها. من كتبه: «رسائل سـائر من بلاد العـرب إلى بـلاد اليـونـان»، و«الأدب العصري»، و«بأي شرع نحكم»، و«حـدث الأحـداث في الإسـلام»، و«رسالـة في ترجمة معـاني القـرآن». ونشر أبحاثـاً كثيرة في الصحف المصرية. الأعـلام ٦/ ١٥٣ ط٨.

● لما قدم العز بن عبدالسلام إلى الديار المصرية، بالغ الشيخ زكي الدين المنذري (محدث مصر، وصاحب كتاب الترغيب والترهيب) في الأدب معه. وامتنع من الإفتاء لأجله، وقال: كنا نفتي قبل حضوره، وأما بعد حضوره فمنصب الفتيا متعين فيه.

● ذُكر شعبة (محدِّثُ البصرة) عند أبي زيد الأنصاري فقال: وهل العلماء إلا شعبةٌ من شعبة؟!

● تغيَّر خاطر السيوطي على القسطلاني؛ لأنه كان ينقل عن كتبه ولا ينسب إليها. فمشى القسطلاني من القاهرة إلى الروضة - وكان السيوطي بها منعزلاً عن الناس - فدقَّ عليه الباب، فقال: من أنت؟ قال: أنا القسطلاني، جئتُ إليك حافياً مكشوف الرأس ليطيب خاطرك. فردَّ عليه الإمام السيوطي قائلاً: قد طاب.

● قال الإمام الشافعي في تلميذه الإمام أحمد: خرجتُ من بغداد وما خلَّفتُ بها أتقى ولا أفقه من ابن حنبل.

وقال فيه تلميذه: ما بتُّ منذ ثلاثين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي وأستغفر له!

● وقال الإمام أبو حنيفة: ما صليتُ صلاة منذ مات حماد بن سلمة - وهو شيخه - إلا استغفرتُ له مع والدي. وما مددتُ رجلي نحو داره، وإن بيني وبينه سبع سكك!

● كان الإمام الليث بن سعد ذا كرم عجيب، وكان ينفق جُلَّ ماله في الصِّلات. وكان يصنع لأصحابه الفالوذج، ويضع فيها الدنانير، ليحصل لمن يأكل كثيراً على دنانير أكثر!

● كان الشيخ عبدالرحمن الشربيني - الذي ولي مشيخة الأزهر - يأتي إلى الشيخ الأشموني - العالم المشهور، فيراه مضطجعاً على جنبه، فيضع الشربيني حذاءه بعيداً، ثم يُقبل بأدب واحترام، ويلثم يد الأشموني. وكان هذا العالم الجليل إذا قال للشربيني: (إزَّيك يا عبدالرحمن)، فيكون قد تهلَّل وجهه كأنما حيَّته الملائكة!

● قال الإمام المحدِّث «شعبة»: من طلب الحديث أفلس! بعتُ طست أمي بستة دنانير!

● قيل إن واضع جدول اللوغاريتم مكث ثلاث سنين يشتغل فيه، فلما أتمَّه بيَّضه ومزَّق مسوَّداته، وخرج بعد الفراغ يستنشق الهواء فرحاً مسروراً، وعاد بعد فسحته فرأى كلبه قد قفز على المكتب فكبَّ الحبر من الدواة على المبيضَّة! والكلب واقف يلهو ويلعب: فلم يسع المؤلف إلا أن نظر إليه طويلاً وقال: آه لو تعلم ما صنعت! وعاد فبدأ العمل من جديد.

● كان السيوطي يلقب بـ «ابن الكتب»! طلب أبوه من أمه أن تأتيه بكتاب من المكتبة، فأجاءها المخاض فيها، فولدته بين الكتب! فلذلك لقِّب! ولقد صدق عليه ذلك اللقب حتى صار أبا الكتب، فقد وصلت مصنفاته إلى نحو ستمائة، غير ما رجع عنه ومحاه!

● منع والي الكوفة أبا حنيفة أن يُفتي، بعد أن رفع قاضيها إلى الوالي أن أبا حنيفة انتقد حكماً له. فيقال إنه كان في بيته يوماً وعنده زوجته وابنه حماد وابنته، فقالت له ابنته: إني صائمة، وقد خرج من بين أسناني دم، وبصقته حتى عاد الريق أبيض لا يظهر عليه أثر الدم، فهل أفطر إذا بلعتُ الآن الريق؟

فقال لها أبو حنيفة : سلي أخاك حماداً، فإن الأمير منعني من الفتيا!

● في تكملة ابن عابدين أن الفضل بن الربيع - وزير الخليفة هارون الرشيد - أدلى بشهادة عند القاضي أبي يوسف، لكنه ردَّها ولم يقبلها. فعاتب الخليفةُ أبا يوسف وقال: لِمَ رددت شهادته؟ قال: لأني سمعته يوماً يقول للخليفة: أنا عبدك. فإن كان صادقاً فلا شهادة للعبد، وإن كان كاذباً فكذلك؛ لأنه إذا لم يبال في مجلسك بالكذب فلا يبالي في مجلسي. فعذره الخليفة.

● قال وهب بن منبه: إن ملكاً كان يجبر الناس على أكل لحم الخنزير. وطلب إحضار أفضل علماء زمانه ليأكله أمامه! لكن صاحب الطعام رقَّ له، فوضع له لحم جدي بدل لحم الخنزير، ومع ذلك لم يأكله ذلك العالم! ولما أمر الملك بقتله قال له صاحب الطعام سراً: ما منعك أن تأكل منه وقد أخبرتك أنه لحم جدي؟ قال: خفتُ أن يفتن الناس بي، فإن أُكرهوا على أكل الخنزير قالوا: قد أكله فلان، فيستنُّون بي، وأكون فتنة لهم. فقُتل رحمه الله.

● لما ولي عمر بن عبدالعزيز الخلافة، كتب إليه طاووس التابعي: إن أردت أن يكون عملك خيراً كله فاستعمل أهل الخير، فقال عمر: كفى بها موعظة.

● كان الإمام أبو حنيفة معروفاً بالفقه، مشهوراً بالورع. ومن عظيم ورعه أنه ترك لحم الغنم لما فُقدت شاة في الكوفة، إلى أن علم موتها! لأنه سأل عن أكثر ما تعيش، فقيل له: سبع سنين، فترك أكل لحمها سبع سنين تورعاً منه، لاحتمال أن تبقى تلك الشاة الحرام، فيصادف أكل شيء منها فيظلم

قلبه، إذ هذا هو شأن أكل الحرام، وإن انتفى الإثم للجهل بعين الحرام.

● قال الإمام الأوزاعي للعالم الجليل عبدالله بن المبارك: من هذا المبتدع الذي خرج بالكوفة يكنى أبا حنيفة؟ . . فانتدب ابن المبارك يذكر مسائل عويصة في الفقه من مسائل أبي حنيفة، مبيناً حلولها واجتهاداته فيها، فاستغرب الأوزاعي، مستفسراً عن هذا العالم الكبير ومن يكون؟ فقال ابن المبارك: شيخ لقيته بالعراق، قال: هذا نبيل من المشايخ، اذهب فاستكثر منه. فقال ابن المبارك: هذا أبو حنيفة الذي نهيتَ عنه!

ثم لما اجتمع بأبي حنيفة بمكة المكرمة، جاراه في تلك المسائل، فكشفها أبو حنيفة بأكثر مما كشفها ابن المبارك عنه. فلما افترقا، قال الأوزاعي لابن المبارك: غبطتُ الرجل بكثرة علمه ووفور عقله، وأستغفر الله تعالى، لقد كنتُ في غلط ظاهر، الزم الرجل فإنه بخلاف ما بلغني عنه.

● قيل إن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنفذ بمائة دينار إلى أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، وقال لغلامه: إن قبل ذلك فأنت حر!

فحملها إليه، فلم يقبل. فقال له الغلام العبد: اقبل ففيه عتقي، فقال أبو ذر: إن كان فيه عتقك ففيه رقِّي!

● قال ابن القيِّم: إن سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام لما توعَّد الهدهد بأنه سيعذِّبه عذاباً شديداً أو يذبحه، إنما نجا منه بالعلم، بل أقدم عليه في خطابه بقوله: ﴿أحطت بما لم تُحط به﴾[1]. وهذا خطاب إنما جرَّأه عليه العلم، وإلا فالهدهد مع ضعفه لا يتمكن من خطابه لسليمان على قوته بمثل هذا الخطاب لولا سلطان العلم.

---

(١) سورة النمل، الآية ٢٢.

● كان محمد بن عبدالرحمن الأوقص عنقُه داخلٌ في بدنه، وكان منكباه خارجين كأنهما رأسا رمح، فقالت له أمه: يا بني، لا تكون في مجلسِ قومٍ إلا كنت المضحوك منه، المسخور به، فعليك بطلب العلم فإنه يرفعك. فما زال يطلب العلم حتى ولي قضاء مكة عشرين سنة!

● وكان الإمام مالك إذا أراد أن يحدث، توضأ، وجلس على صدر فراشه، وسرح لحيته، وتمكَّن في جلوسه بوقار وهيبة، ثم حدَّث. فقيل له في ذلك، فقال: أحبُّ أن أعظِّم حديث رسول الله ﷺ ولا أحدِّث به إلا متمكناً على طهارة.

وكان يكره أن يحدِّث على الطريق، أو قائماً، أو مستعجلاً، ويقول: أحبُّ أن أتفهَّم ما أحدِّث به عن رسول الله ﷺ.

وكان لا يركب في المدينة على دابة، مع ضعفه وكبر سنه، ويقول: لا أركب في مدينة فيها جثَّة رسول الله ﷺ مدفونة!

● كان المأمون قد وكَّل الفرَّاء ليلقِّن ابنيه النحو.

وفي ذات يوم أراد الفرَّاء أن ينهض إلى حوائجه، فابتدر الاثنان إلى نعل الفرَّاء ليقدِّماها له، فتنازعا أيهما يقدمها له؟ ثم اصطلحا على أن يقدِّم كلُّ واحد منهما واحدة.

وتناهى الخبر إلى والديهما المأمون، فاستدعى الفراء، فلما دخل عليه قال له المأمون: من أعزُّ الناس؟ فقال: لا أعرف أحداً أعزَّ من أمير المؤمنين! فقال المأمون: بل مَنْ إذا نهض تقاتل على تقديم نعله وليَّا عهد المسلمين حتى يرضى كلُّ واحد منهما أن يقدِّم له فرداً! فقال الفرَّاء: يا أمير المؤمنين، لقد

أردت منعهما عن ذلك ، ولكن خشيت أن أدفعهما عن مكرمة سبقا إليها ، أو أكسر نفوسهما عن شريفة حرصا عليها .

● كان السلطان صلاح الدين الأيوبي يواظب على سماع الحديث الشريف ، حتى إنه سمع مرة وهو في الحرب بين الصفين! فكان يفتخر بذلك ويقول : هذا موقف لم يسمع فيه أحد حديثاً!

● يحيى بن معين شيخ الحديث قاطبة وميزان الإسلام في «الجرح والتعديل» ، كان أبوه من عمال الدولة الكبار، وخلَّف له مليوناً وخمسين ألف درهم ، فأنفقها يحيى كلها على الحديث . وقد بلغ من بلوغ يحيى هذا في علم الحديث المنزلة التي لا تُرام ، حتى قال الإمام أحمد بن حنبل : كل حديث لا يعرفه يحيى بن معين فليس هو بحديث!

● صنف الوزير ابن هبيرة كتاب «الإفصاح عن معاني الصحاح» في عدة مجلدات . فلما بلغ إلى حديث «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» ، شرح الحديث ، وانجرَّ به الكلام إلى الفقه ، فذكر مسائله واختلافها واتفاقها ، فخرج به في مجلد أُفرد وحده ، وسمي باسم الكتاب . وهذا الكتاب صنفه في ولايته الوزارة ، واعتنى به ، وجمع عليه أئمة المذاهب ، وأوفدهم من البلدان إليه لأجله ، بحيث إنه أنفق على ذلك أكثر من مائة ألف دينار، وحدَّث به ، واجتمع الخلق العظيم لسماعه عليه ، وكتب به نسخة لخزانة المستنجد ، وبعث ملوك الأطراف ووزراؤها وعلماؤها فاستنسخوا لهم به نسخاً ونقلوها إليهم ، حتى السلطان نور الدين الشهيد ، واشتغل به الفقهاء في ذلك الزمان على اختلاف مذاهبهم ، يدرسون منه في المدارس والمساجد ، ويعيده المعيدون ، ويحفظ منه الفقهاء (عن مقدمة الإفصاح) .

● حكى الشعبي قال: أنفذني عبدالملك بن مروان إلى ملك الروم، فلما وصلتُ إليه، جعل لا يسألني عن شيء إلا أجبته. وكانت الرسل لا تطيل الإقامة عنده. فحبسني أياماً كثيرة حتى طلبتُ الخروج. فلما أردت الانصراف قال لي: من بيت أهل المملكة أنت؟ فقلت: لا، ولكني رجل من المسلمين في الجملة، فهمس بشيء، فدُفعت إليَّ رقعة وقال لي: إذا أديت الرسائل إلى صاحبك فأوصل إليه هذه الرقعة.

قال: فأديت الرسائل إلى عبدالملك ونسيت أن أعطيه تلك الرقعة. فلما صرت في بعض الدار أريد الخروج، تذكرتها، فرجعت فأوصلتها إليه. فلما قرأها قال لي: أقال لك شيئاً قبل أن يدفعها إليك؟ قلت: نعم، قال لي: من أهل بيت المملكة أنت؟ قلت: لا ولكني من المسلمين في الجملة. ثم خرجت من عند الخليفة.

فلما بلغت الباب رُددتُ، فلما مثلت بين يديه قال لي: أتدري ما في هذه الرقعة؟ قلت: لا. قال: اقرأها. فقرأتها فإذا فيها: عجبت من قوم فيهم مثل هذا كيف ملكوا غيره!

فقلت له: والله لو علمتُ ما فيها ما حملتها! وإنما قال هذا؛ لأنه لم يرك.

قال: أفتدري لِمَ كتبها؟ قلت: لا. قال: حسدني عليك، وأراد أن يغريني بقتلك. فتأدى الخبر إلى ملك الروم فقال: ما أردتُ إلا ما قال!

● وكلّم الشعبيُّ عمر بن هبيرة الفزاري أمير العراقين في قوم حبسهم ليطلقهم فأبى، فقال له الشعبي: أيها الأمير، إن حبستهم بالباطل فالحقُّ يخرجهم، وإن حبستهم بالحق فالعفو يسعهم. فأطلقهم.

● كـان لليث بن سعد أربعـة مجالس كل يوم: مجلس لحوائج السلطـان، ومجلس لأصحـاب الحديث، ومجلس لأصحـاب المسـائل، ومجلس لحوائج الناس، لا يسأله أحد فيردُّه، صغرت حاجته أم كبرت!

● حـدَّث المؤلف عن والده أن الخديوي عبـاس الأول كان يجيء الأزهـر ويحضر درس الشيخ البيجـوري، فيُجلـب لـه كـرسي قش صغير مـن قهـوة بلدية أمام باب المزينين، يجلس عليه بجوار المستمعين.

● في تـاريخ أبي الفداء أن المتنبي كـان لا يُسألِ عن شيء إلا استشهد فيـه بكلام العرب، حتى قيل إن أبا علي الفارسي قال له يوماً: كم من الجموع على وزن «فِعْلَى»؟ فقـال المتنبي في الحال: «حِجْلَى وظِـرْبَـى». قـال أبـو علي: فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال على أن أجد لها ثالثاً فلم أجد!

● إبراهيم النخعي الذي انتهت إليه رئاسة العلم بالكوفة، حُمل عنه العلم وهو ابن ثماني عشرة سنة. وقد ورَّث إبراهيم هذا العلم كله ومات وسنُّه ست وأربعون! وحاز هذه الشهرة العلمية وهو يفرُّ منها وهي تتبعه. كان لا يتكلم إلا إذا سُئل. وقال مغيرة المحدِّث: كنـا نهاب إبراهيم كما يهاب الأمير. وقال الأعمش: كان إبراهيم يتوقَّى الشهرة ولا يجلس إلى الأسطوانة!

● ومن أمثلـة التخصص واحترام العلماء أن أبا حنيفـة كان عنـد الأعمش المحدِّث، فسئل عـن مسائل، فقال لأبي حنيفـة: ما تقـول فيها؟ فأجـابه. فقال له الأعمش: من أين لك هذا؟ قال: من أحاديثك التي رويتها عنك.

وسرد له عدة أحـاديث بطرقها، فقال الأعمش: حسبك. مـا حدثتك به في مـائة يـوم تحدثني بـه في سـاعـة واحـدة؟ مـا علمتُ أنك تعمل بهذه الأحاديث. يا معشر الفقهاء: أنتم الأطباء ونحن الصيادلة!

● الواقـدي، مع ما كـان له من سعـة العلم وكثرة الحفظ، كـان لا يحفظ القرآن!

وقد وقعت له قصة في هذا مع المأمون، إذ طلب إليه أن يصلي الجمعة غداً بالناس، فامتنع. فصمم المأمون، فاعتـذر بأنه لا يحفظ سورة الجمعة! فقال له المأمون: أنا أحفِّظك! واشتغل معه، كلما حفظ نصفها الأول وانتقل للثاني نسي الأول، فإذا عاد لحفظـه نسي الثاني، حتى تعب المأمـون ونعس، ووكَّله لعلي بن صـالح: فكذلك كـان حالـه! حتى استيقظ المأمون، وسأل عنـه، فأخبره عليّ، فقـال المأمون لـه: هذا رجل يحفظ التأويل ولا يحفظ التنـزيل. وتركه!

● قيل ليـونـس بن عبيـد: أتعـرف أحـــداً يعمل بعمل الحسن البصري؟ فقـال: والله لا أعرف أحـداً يقـول بقـوله، فكيف يعمل بعملـه؟ ثم وصفـه فقـال: كـان إذا أقبل فكأنـه أقبل من دفن حميمـه، وإذا جلس فكأنـه أُمـر بضرب عنقه، وإذ ذُكرت النار فكأنها لم تخلق إلا له.

● قال المبرِّد في الكامل: كان الأصمعي لا يفسِّر ولا ينشـد ما كان فيه ذكر الأنواء، لقولـه ﷺ: «إذا ذُكرت النجوم فأمسكـوا». وكان لا يفسر ولا ينشد شعراً يكون فيه هجاء.

● الشيخ شمس الـدين البساطي قـاضي قضاة المالكيـة، كان مع جـلال قدره زاهداً في الدنيا، يأكل من صيد السمك.

فكان يخرج في الغلس بشبكتـه فيصطاد ما يبيعه بقوت ذلـك اليوم وهو في هيئة الصيادين.

ثم يجيء من خوخـة في بيته فيدخل منـزله ويلبس مـلابس القضاة، وهي الشاش والطيلسان والملوطة البيضاء.

ويخرج من الباب إلى الدهليز، ويجلس بين القضاة للحكم بين الناس!

● يقول الشعبي: العلم ثلاثة أشبـار: فمن نال منه شبراً شمخ بأنفه وظن أنه ناله، ومن نال الشبر الثاني صغرت إليه نفسه وعلم أنه لم ينله، وأما الشبر الثالث فهيهات! لا يناله أحد أبداً.

● وحكى الماوردي أنه ألف كتاباً في البيـع أعجب به، وتصور أنه اضطلع بعلمـه! فجاءه أعـرابيان يسألانـه، فلم يجد لهما جوابـاً، وأجابهما تلميـذ من حلقته، فكان هذا وعظاً له!

● يقـول إبراهيم بن الحربي: أدركـت ثلاثـة لن يُـرى مثلهم أبداً، تعجـز النساء أن يلدن مثلهم: رأيـت أبا عبيد القاسم بن سـلاَّم، ما مثَّلتُه إلا بجبل نفخ فيه روح!

ورأيت بشر بن الحارث الحافي، فما شبهتـه إلا بـرجـل عُجن من قـرنـه إلى قدمه عقلاً!

ورأيت أحمد بـن حنبل، فــرأيت كأن الله جمع لـــه علم الأولين مـن كل صنف، يقول ما شاء ويمسك ما شاء!

● أنشد بعض أهل الأدب لعلي بن عبدالعزيز القاضي :

يقـولـون لي : فيك انقبـاض ، وإنما ... رأوا رجـلاً عن مـوقف الـذلِّ أحجما
أرى الناس مَنْ داناهـمُ هانَ عندهم ... ومن أكـرمتـه عـزة النفس ، أُكـرمـا
ولم أقضِ حقَّ العلم إن كــان ، كلما ... بـــدا طمـع صيَّرتُـــه لي سُلَّما
ومـــا كلُّ بــرقٍ لاح لي يستفـــزّني ... ولا كلُّ من لا قيـتُ ، أرضـــاه مُنعما
إذا قيل : هذا منهل ، قلت : قد أرى ... ولكـــنَّ نفــس الحرِّ تحتمـــل الظَّما
أنهنهـــا عن بعض مـــا لا يشينهـــا ... مخافـة أقـوالِ العـدا ، فيمَ أوْ لِـمَـا
ولم أبتـذل في خـدمـــة العلم مهجتي ... لأخـدم من لا قيتُ ، لكنْ لأُخْـدَمـا
أأشقى بـــه غـرســاً وأجنيـه ذلـــةً؟ ... إذاً فـاتِّبـاعُ الجهل قـد كـان أحـزمـا
فإن قلت : زنـدُ العلـم كـابٍ ، فإنما ... كبـــا حين لم نحـــرس حماه وأظلما
ولـو أن أهل العلم صـانـوه صـانهم ... ولـــو عظَّمـــوه في النفـــوس لعُظِّما
ولكن أهـــانـــوه ، فهـــان ، ودنَّســوا ... محيَّـــــاه بـــــالأطماع حتـى تجهَّما

نديم الأديب (*)
للجيلاني

● قال أبو القاسم التنوخي: جلس ابن لنكك[1] في جامع البصرة، فجلس إليه قوم من العامة، فاعترضوا كلامه بما غاظه. فأخذ دواة من بعض الحاضرين، وكتب هذه الأبيات يهجوهم بها:

وعصبةٍ لما توسطتُهم ... ضاقت عليَّ الأرض كالخاتمْ

كأنهم من بُعد أفهامهم ... لم يخرجوا بعدُ إلى العالمْ

يضحك إبليسُ سروراً بهم ... لأنهم عارٌ على آدم

كأنني ما بينهم جالسٌ ... من سوء ما شاهدت في مأتم

(*) نديم الأديب/ تأليف أحمد سعيد البغدادي الحسيني الجيلاني - القاهرة: المطبعة الشرفية، ١٣١٤هـ، ١٧٠، ٦، ١٤ص.

قال جامعه في مقدمته: «هذه مجموعة صغيرة في البصر، كبيرة لدى التبصر، ظاهرها فنون آداب ومواعظ، وغامضها يراه من كانت عيون أفهامه يواقظ... وقد وضعتها في عشرة مواضيع، ورصعت جواهرها أحسن ترصيع... وقسمتها إلى عشرة أقسام، كل قسم عشر حكايات تمام، وكل حكاية من موضوع، تراه بهذه الأبيات موضوع:

(١) مواعظ (٢) آداب (٣) وتاريخ (٤) حكمة ... (٥) فكاهات إن تتلى تروق لدى السمع

(٦) تراجم قوم حيث يبدو حديثهم ... لمجد صنع هذا الدهر من أعجب الصنع

(٧) غرام ويتلوه (٨) تراجم نسوة ... (٩) عوائد (١٠) أشياء منوعة الوضع

والمؤلف قال عنه في معجم المؤلفين ١/ ٢٣٣: من موظفي الدائرة السنية بمصر. أديب، شاعر. من آثاره: حديث الطيف عن رحلة الشتاء والصيف، وديوان ثغر الحبيب لرشف الأديب.

(١) محمد بن محمد بن جعفر البصري الصاحب ابن لنكك، أكثر شعره ملح وطرف، جلُّها في شكوى الزمان وأهله وهجاء شعراء عصره. وكان في صدر أدباء البصرة. ت نحو ٣٦٠هـ كما في الأعلام ٧/ ٢٠، وهو صاحب البيت المعروف:

نعيب زماننا والعيب فينا ... ولو نطق الزمان إذاً هجانا

فقال له ولده: والله يا أبت لقد مدحتَهم حيث جعلتهم من بني آدم، وعندي أن تقول فيهم هكذا:

لا تصلح الدنيا ولا تستوي إلا بكم يا بقر العالم
من قال للحرث خُلقتمُ فلم يكذب عليكم لا ولا يأثم
ما أنتمُ عارٌ على آدم لأنكم غيرُ بني آدمِ

فضحك منه أبوه وقال له: صدقت. وفُضَّ المجلس!

● لما عزم عبدالله بن طاهر[1] على الحج، خرجت إليه إحدى جواريه، وكانت تحبه وتهواه، فلما رأت مهمات السفر وعلامات الرحيل، بكت، فرآها وهي تبكي، فأنشد:

دمعة كاللؤلؤ الرطب على الخدِّ الأثيل
هطلت في ساعة البين من الطرف الكحيل

فحين سمعت ما قاله أصعدت زفراتها، وأنشدت - وكانت تحسن النظم - فقالت:

حين همَّ القمرُ الزاهر عنا بالقفول
إنما يفتضح العشاق في يوم الرحيل

فرقَّ لها وأخذها معه.

● حُكي أن أعرابياً دخل على هشام بن عبدالملك، فقال له هشام: عظني يا أخا العرب.

---

(١) أمير خراسان، ومن أشهر الولاة في العصر العباسي. وللمؤرخين إعجاب بأعماله وثناء عليه. ت ٢٣٠هـ.

فقال: كفى بالقرآن واعظاً: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ويلٌ للمطفِّفين. الذين إذا اكتالوا على الناس يَستوفون. وإذا كالُوهم أو وزنوهم يُخسِرون. ألا يظنُّ أولئك أنهم مبعوثون. ليومٍ عظيم. يوم يقوم الناس لربِّ العالمين﴾[1]. ثم قال: يا أمير المؤمنين، هذا جزاء من يطفِّف في الكيل والميزان، فما ظنُّك بمن أخذه كلَّه؟!

فبكى هشام. وسأله عن حوائجه وقضاها له.

● حكم متفرقة:

- جزى الله الشدائد كلَّ خيرٍ   عرفتُ بها عدوي من صديقي

- خفض الجأش واصبرن رويدا   فالرزايا إذا توالت تولت

- دنياك كالماء المالح، كلما ازددت منه شرباً ازددت عطشاً.

- غشُّ القلوب يلوحُ على الوجوه.

- فرارُك من الموت موصلك إليه.

● زعموا أن ملكاً من ملوك الهند كان له ولد يحبه حباً لو كان في غيره عُدَّ غراماً. فأراد أن يعلمه العلوم. فجمع وزراء دولته وقال لهم: لا تتركوا غريباً يدخل أرضنا إلا وتحضروه بين يدي؛ لأني أريد أن أعلم ولدي، وأحب أن من يعلمه يكون حكيماً عارفاً بكثير من الأمور.

فقالوا له: سمعاً وطاعة.

---

(١) سورة المطففين، الآيات ١-٦.

وصاروا كلما وجدوا غـريباً يأتون به إلى الملك ، فيقول لـه : أيها العاقل (ما سبب الحلم)؟ فلا يجيبه ، فيأمر بإخـراجه . وهكذا إلى يوم من الأيام ، أحضر له أحد الوزراء رجلاً فارسياً ذا هيبة ووقار، فلما رآه الملك أعجبه ، وأجلسه إلى جانبه وقال له على عادته : ما سبب الحلم؟ فقال : التواضع . قال : ما سبب الغنى؟ قال : القناعة . قال : ما سبب العقل؟ قال : المداراة . قال : ما سبب الأدب؟ قـال : المواظبة . قـال : ما سبب الثنـاء؟ قال : السخـاء . قال : مـا سبب الجود؟ قال : الفضل . قـال : ما سبب قضاء الحوائج؟ قـالَ : الرفق . قال : ما سبب الـرزق؟ قال : الطلب . قال : ما سبب مزيـده؟ قال : الشكر عليه . قـال : ما سبب المحبة؟ قال : الهديـة . قال : ما سبب الأخـوة؟ قال : البشاشة . قال ما سبب الغفلة؟ قال : الهوى . قال : ما سبب الفجور؟ قال : الخلوة . قال : ما سبب الذل؟ قال : السؤال . قال : ما سبب الحرمان؟ قال : الكسل . قـال : مـا سبب الاجتماع؟ قـال : المعـاونـة . قـال : مـا سبب الاستقـلال؟ قال : الـوفاق . قـال : ما سبب سقـوط الدول؟ قـال : الحروب الداخلية . قـال : ما علامته؟ قال : الثورات . قـال : ما سبب النصر؟ قال : التعاضد . قال : ما سبب الطاعـة؟ قال : العدل . قال : ما سبب العصيان؟ قال : الظلم .

فقام الملك عند ذلك واقفاً وقال له : أنت الذي تعلم ولدي .

ثم زوجه إحدى جـواريه قبل اشتغاله بتعليم ولـده وقال : (يجب أن يكون معلم الغلمان محصناً) . والله أعلم .

● قـال ابن قنبر: لقيني جـوارٍ لسليمان بن علي في الطريـق ، فدرن حـولي وقلن لي : قف أيها الشيـخ حتى نسألك ســؤالاً . فــوقفتُ لهن ، فقـــالت

إحداهن: أأنت الذي تقول:

ويلي على من أطـار النـوم وامتنعـا	وزاد قلبي على أوجـاعـه وجعـا
ظبي أغـر تـرى في وجهـه سُرجـا	تغشى العيـون إذا مـا نـورهـا سطعـا
كأنما الشمس في أثـوابـه بـزغت	حسنـاً أو البـدر في أردائه طلعـا
فقد نسيت الكرى من طول ما عطلت	منـه الجفـون وصـارت مهجتي قطعـا

فقلت لها: نعم أنا الذي نظمته. فضحكن ضحكاً عالياً ثم قلن لي: أمع هـذا الوجـه القبيح تقول هـذا الشعر الحسن؟ ثم جعلن يلهـون بي ويجذبنني حتى أخرجنني من ثيـابي وتركنني عاريـاً! فرجعت إلى منزلي فاقـداً ملابسي، نادماً على الساعة التي رأيتهن بها. ولم أتغزل بعد هذه المرة قط!

● حُكي أن ولـداً كان كثير العصيـان لأبيه، مخالفاً لأوامـره، ما سـأله في شيء إلا وامتنع عن فعله، ومـا رده عن أمر إلا وأبى تركه، ومع كل هـذا فهو محسن إليه راضٍ عنه، وكلما زاد بالإحسان إليـه زاد الولد في الإساءة له، حتى كبر الرجل وصار هرماً لا يستطيع الحركة. فحين شـاهد الولد منه ذلك، قام إليـه وحمله على كـاهلـه وقال: والله لأرمينك للسبـاع تنهشك، ولا أدعك في بيتي ساعة واحدة. والرجل ساكت لا يتكلم. ثم إن الولد خرج به، وما زال سائراً حتى أخرجه من المدينة. ثم تعب من حملـه، فوجد رابية، فصعد إليها وأنزل أباه، وقعد حتى استراح، ثم جاء ليحملـه فقال: يا ولدي وقرة عيني، دعني في مكاني وامض لحال سبيلك فإني في هذا المحال وضعت جدك وتركته وذهبت. فتعجب الـولـد وقال: أعـد عليَّ حـديثك مفصـلاً فإني تحيرت من كلمتك هذه، فقال: اعلم يا ولدي أن جميع مـا فعلته أنت معي قد فعلته أنا مع والدي، ولـو كنت أعلم أنك تصنع بي ما صنعتُه به مـا كنتُ فعلتُ معه

إلا مـا يـوجب رضاه عليَّ . فلما سمـع الولـد ذلك من أبيـه سقط على رجليـه يقبلهـا وقال : سـامحني يا أبت فإني أخشى أن يعـاملني ولدي كما عـاملتك! فبكى الـرجل وقال : يـا ولـدي إن للوالـدين على الولـد حقـوقاً لـو تجسمت لكـانت أعظم من الجبـال الشامخة ، وإني أعظك بحـالتي هـذه فإنها أنصح لك . واعمل بوصية محمد الدكدكي لولده حين حضرته الوفاة . قال : وما هي وصيته أيها الوالد الشفوق؟ قال :

زر والـــــــديك وقـف على قبريهما	فكـأنني بـك قـــــــد نُقلـت إليهما
لـو كنت حيـث هُما وكـانـا بـالبقـا	زاراك حبـــــواً لا على قـــــــدميهما
مـــــا كـــــان ذنبهما إليك فطـــــالما	منحـــاك نفس الـــــودِّ من نفسيهما
كـــانـــا إذا سمعـا أنينـك أسبــلا	دمعيهما أسفـــــــاً على خـــــــدَّيهما
وتمنيـا لــــو صـادفـا بـك راحـة	بجميع مـــا تحويــه ملك يــــديهما
فنسيتَ حقهما عشيــــــة أسكنـــا	دار البقـــــــا وسكنـت في داريهما
فلتلحقهما غــــــداً أو بعـــــــده	حتماً كما لحقـــــاهما أبــــويهما
ولتنـــــدمنَّ على فعـــــالـك مثلما	نـــدمـا هما نــــدمـــاً على فعليهما
بُشراك لــو قــدمت فعــلاً صــالحا	وقضيـــت بعـض الحق مـــن حقيهما
وقـرأت مـن آي الكتـاب بقــدر مـا	تسطيعـــــــــه وبعثـت ذاك إليهما
فاحفظ - حُفِظْتَ - وصيتي واعمل بها	فعسى تنـــال الفـــوز من بِـــرَّيْهما

فبكى الولد ، وحمل أباه على كتفه ، وأعاده إلى بيته . . .

● (عـامر الأنبـوطي) هـو الشيخ الشـاعر اللبيب النـاظم النـاثـر عامـر الأنبوطي الشافعي ، كان شاعراً فصيحاً ، وكلما وجد قصيدة لشاعر عارضها

وغيرهـا إلى الهزل وذكـر الأكل والشرب، وكـانت شعـراء عصره تهابـه وتحذره ويعطونه الجوائز خـوفاً من معارضة قصائدهـم. وقد عـارض ألفية ابن مالك بألفية سماها (ألفية الطعام) أولها:

يقـول عـامـرٌ هـو الأنبـوطي — أحمد ربي لست بـالقنـوطي
وأستعين الله في ألفيَّـه — مقـاصـد الأكل بها محويَّـه
فيهـا صنـوف الأكـل والمطـاعم — لـذَّت لكلِّ جـائعٍ وهـاتم

وفيها يقول:

طعـامنـا الضـاني لـذيـذ للنهم — لحماً وسمنـاً ثم خبـزاً فـالتقم
فـإنها نفيسـة والأكـل عَـمّ — مطـاعماً إلى سنـاهـا القلب أَمّ

وفيها:

والأصل في الأخبـاز أن تقمَّـرا — وجَـوَّزوا التقـديـد إذ لا ضررا
فـامنعـه حين تستـوي الخرفـان — فـإنـه يعيـق أكل الضـاني

وعارض لامية العجم للطغرائي فقال:

أنـاجـرُ الضأن تـريـاقٌ من العلل — وأصحنُ الـرزِّ فيهـا منتهى أملي
أكلي غـداءً وأكلي في العشـاء على — حـدٍّ سـوا إذا للحم السمين قلي
فيمَ الإقـامـة بـالأريـاف لا شبعي — فيهـا ولا نـزهتي فيهـا ولا جـذلي
نـاءٍ عن الأهل خـالي الجوف منقبض — كمعـدم مـات من جـوع ومن قشل
فـلا خليلٌ بـدفـع الجوع يـرحمني — ولا كـريمٌ بلحم الضـأن يسمح لي

طال التلهف للمطعوم واشتعلت حُشاشتي بحمام البيت حين قلي
أريد أكلاً نفيساً أستعين به على العبادات والمطلوب من عملي
والدهر يفجع قلبي من مطاعمه بالعدس والكشك والبيسار والبصل

وعارض لامية ابن الوردي، وفيها يقول:

اجتنب مطعوم عدس وبصل في عشاء فهو للعقل خبل
وعن البيسار لا تحفل به تُمْسِ في ضعف وسقم وعلل
واحتفل بالضأن إن كنت فتى زاكي العقل ودع عنك الكسل
من كباب وضلوع قد زكت أكلها ينفي عن القلب العلل

وله مثل هذا كثير. وأكثر الناس خوفاً منه الشيخ الشبراوي صاحب الديوان، فإنه كان يفدي قصائده منه بشيء معلوم من الدراهم!! وكانت وفاته سنة ١١٥٠هـ.

● حُكي أن الوزير تاج الدين بن الصاحب كتب إلى السراج الوراق أبياتاً يرثي بها حماراً له سقط في بئر فمات، وهي:

يفديك جحشك إذ مضى متردياً وبتالد يفدي الأديب وطارف
عدم الشعيرَ فلم يجده ولا رأى تبناً وراح من الظما كالتالف
ورأى البويرة عثير خاف ماؤها فرمى حشاشة نفسه لمخاوف
فهو. . . لكم بوافر فضلكم هذي المكارم لا حمامة خاطف
قومٌ يموت حمارهم عطشاً لقد أزروا بحاتم في الزمان السالف

فكتب له السراج على وزنها أبياتاً مطلعها:

أدنت ثمارُ قطـــوفهـا للقــاطف — وثنت بأنفـاس النسيـم معـاطفي

ومنها :

ولَكَمْ بكيـتُ عليـه عنـد مـرابع — ومـراتع رشـت بـدمعي الـذارف

يمشي على عسري ويسري صـابـراً — بمعـارف تلهيـه دون معـالف

وقـد استمـر على القنـاعـة يقتـدى — بي وهي في ذا الـوقت جـل وظـائفي

ودعـاه للبئـر الصـدى فأجـابـه — واعتـاقـه صرف الحِمام الآزف

وهـو المدل بألفـة طـالت ومـا — أنسى حقـوق مـراتعي ومـا أفي

ومـوافقي في كل مـا حـاولتـه — في الـدهـر غير مـواقفي ومخالفي

دوران سـاقيـة لطـاحـون ونقـ — ـل الماء في شباتٍ ليـوم صـائف

لكـن بماء البئـر راح بنقلـة — قتلتـه محزونـاً بمـوت جـارف

ولما وصلت إليـه ضحك وأرسل لـه خمسمائة درهم وقال لـه : استعن بهذه على فراق الفقيد!

● حُكي أن رجلاً صائغـاً كان من العُبَّاد الزهَّاد ، وكانت لـه امرأة في غاية من الصلاح . وكان عندهما سقَّاءٌ يحضر لهما الماء كل يـوم ، وهو أكثر صلاحاً منهما . ودام يأتيهما بالماء ثلاثين سنة بغـاية الأدب ، ولم يحصل منه أدنى شيء يكرهـانه . وفي بعـض الأيام ، بعـد أن فرغ القـربة في الإنـاء ، جاء إلى المرأة ، ومسك يدها وهزها ، ثم نـزل لحاله . فلم تكلمه حتى رجع زوجها ، فقالت : والله لا أدعك حتى تقـول لي ماذا فعلت في نهارك هـذا من المحرمـات ! فقال لها : لم أفعل شيئاً غير أن امرأة جاءتني وأخـذت سواراً فألبستها إياه ، ورأيت يـدهـا كالفضـة ، فمسكتهـا وهـززتها ، ثم ذهبت لحالها ، وليس غير ذلك . فقالت : (دقـة بدقة ، ولـو زدت لزاد السقَّـا) فقال : وما معنى هـذا الكلام ،

قالت: إن الرجل الذي يأتينا بالماء منذ ثلاثين سنة ولم تَر منه مكروهاً، في هذا اليوم بعد أن فرغ الماء جاء إليَّ ومسك يدي وهزها كما فعلت أنت في الغادة! واعلم أنه (كما يدين الفتى يُدان). فخجل الرجل وقال: والله لا أفعل بعدها شيئاً يغضب الله.

● السجستانية أمة من الأمم الساكنة في جبال القوقاز. وأغرب وأعجب عادة عندهم أن ابن الأمير يجب أن ترضعه جميع نساء القبيلة. يقصدون بذلك تمكين محبته في أفئدتهن، حتى إذا وُلي عليهن كانت طاعته راسخة في قلوبهم، مركوزة في طباعهم..

● تزوج بخيل اسمه سليمان، فقال وهب بن شاذان في وصف دعوته:

مات في عرس سليما	نَ من الجوع جماعهْ
مات أقوام وقوم	علموا فيه القناعهْ
لم يكن ذلك عرساً	إنما كان مجاعهْ

● قال بخيل لغلامه: هاتِ الطعام وأغلق الباب.

فقال الغلام: يا مولاي هذا خطأ، إنما قل: أغلق الباب أولاً، ثم أحضر الطعام.

فقال البخيل: اذهب فأنت حر، لعلمك بأسباب الحزم!

نوادر وغرائب متفرقة
من الكتب والدوريات

خطبة الإمام علي الخالية من النقط[1] !

ارتجل علي بن أبي طـالب رضي الله عنـه خطبـة خـاليـة من النقط، وهي هذه:

الحمـد لله الملك المحمود، المالك الـودود، مصوِّر كل مـولود، ومـآل كل مطرود. ساطح المهاد، وموطِّـد الأطواد، ومرسل الأمطار، ومسهِّل الأوطار. عالم الأسرار ومدركها، ومدمِّر الأملاك ومهلكهـا، ومكوِّر الدهور ومكررها، ومورد الأمـور ومصدرها. عمَّ سماحه وكمل ركـامه وهمل[2]، وطاوع السؤال والأمل..

أحمده حمداً ممدوداً، وأوحِّـده كما وحَّد الأوَّاه، وهـو الواحـد لا إله لـلأمم سـواه، ولا صـادع لما عدَّلـه وسوَّاه. أرسل محمـداً علماً لـلإسلام، وإمـامـاً للحكَّام، مسـدِّداً للرَّعاع، ومعطِّل أحكـام وَدٍّ وسُواع. أعلم وعلَّم، وحكم وأحكم، وأصَّل الأصول ومهَّد، وأكد الموعود وأوعد. أوصل الله له الإكرام،

---

(١) عن كتـاب «الإمـام علي: رسـالة وعـدالـة» بقلم خليل يـاسين. - ط ٢ - بيروت: دار ومكتبـة الهلال، ١٤٠٤هـ، ص ص ٣٧٨-٣٧٩.

والله أعلم بنسبة هذه الخطبة إلى الإمام علي رضي الله عنه، إنما نقلتها لغرابتها.. وتركت إيراد بعض الجمل لغموضها..!

(٢) الـركام: مـا اجتمع من الأشياء وتـراكم بعض على بعض.. ومنـه: ركام من سحـاب. وهمل: سال.

وأودع روحه السلام، ورحم آله وأهله الكرام، ما لغَّ رائل[1] ، وملع دالٌّ[2]، وطلع هلال، وسُمع إهلال.

اعملوا رعاكم الله أصلح الأعمال، واسلكوا مسالك الحلال، واطرحوا الحرام ودعوه، واسمعوا أمر الله وعوه، وصِلوا الأرحام وراعوها، وعاصوا الأهواء واردعوها، وصاهروا أهل الصلاح والورع، وصارموا رهط اللهو والطمع . . .

أسأل الله . . دوام إسعاده، وألهم كلاً إصلاح حاله، والإعداد لمآله ومعاده، وله الحمد السرمد، والمدح لرسوله أحمد!

أصلعتني فرقتك!

عن ابن شهاب قال: دخل رجلٌ على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: السلام عليك يا أبا غَفْر، حَفَصَ الله لك.

فقال عمر رضي الله عنه: تعني: يا أبا حَفْص، غَفَرَ الله لك.

فقال الرجل: أَصْلَعَتْني فَرْقَتُك! يريد أن يقول: أفرقتني صلعتك[3]!

الغيبة الحلال!

والذمُّ ليس بغيبةٍ في ستةٍ:	متظلِّم ومعرِّف ومحذِّر
ولمُظهِرٍ فسقاً ومُسْتَفْتٍ ومَنْ	طلب الإعانة في إزالة منكر[4]

(١) أي ما بلع أحد لعابه.

(٢) ملع الفصيلُ أمَّه: رضعها.

(٣) تاريخ المدينة المنورة لابن شبَّة ٢/ ٦٨٣-٦٨٤.

(٤) راجع تحفظات الإمام الشوكاني من بعض هذه الأسباب في رسالته «رفع الريبة عما يجوز وما لا يجوز من الغيبة» التي وفقني الله لتحقيقها.

ثلاثيات

ثلاثة يجب ضبطها : اللسان، النفس، الأعصاب .

ثلاثة تجب حمايتها : الدين، الشرف، الوطن .

ثلاثة يجب التخلص منها : التملق، الوشاية، التبذير.

ثلاثة يجب اجتنابها : الحسد، الغرور، كثرة المزاح .

ثلاثة لا بد منها : الموت، الهواء، الماء .

ثلاثة محبوبة : التقوى، الشجاعة، الصراحة .

ثلاثة ممقوتة : الكذب، النفاق، الكبر.

ثلاثة من الفواحش : الربا، الزنا، شرب الخمر.

ثلاثة مشرفة : الجهاد، الأمانة، الصدق .

ثلاثة ممتازة : الحب في الله، العفو عند المقدرة، الصمت(١) .

لقاء مثير مع حفَّار قبور(٢)

● متى عملت في هذه المهنة؟

- حين كنت في العاشرة من عمري . كنت أساعد والدي - رحمه الله - ثم استلمت العمل، وتفرَّغتُ له بعد وفاته .

---

(١) أخبار العالم الإسلامي ع ٨٠٠، ٢٢/١/١٤٠٣هـ.

(٢) باختصار من كتاب : الموتى يتحدثون/ هاني الخير. - دمشق : دار دمشق، ١٤٠٨هـ، ص٣٣-٣٩.

واللقاء مع حفار القبور أبي بشار الذي كان يعمل في مقبرة «الباب الصغير» بدمشق، الواقعة في منطقة «باب الجابية»، والذي عمل في هذه المهنة ستين سنة !!

● هل تبكي وأنت تدفن الميت؟

- لا. غير أن العرق يسيل على وجهي نتيجة الجهد الذي أبذله. وفي مرات قليلة أبكي، عندما أسمع بكاء الأم على ابنها المتوفى.

● هل تشعر براحة نفسية عندما تنجز عملك بشكل حسن؟

- أبذل جهدي، وأقوم بعملي على أكمل وجه، وبإخلاص. ويبخل عليَّ أهل الميت بكلمة شكراً. . أو جزاك الله خيراً. . أو سلمت أناملك!

● هل سبق أن دفنت شخصاً ثم اكتشفت أنه ما زال حياً في القبر؟

- مستحيل أن يحدث ذلك؛ لأن الميت يوضع في فمه وأذنيه وأنفه القطن. . ولو كان حياً فإنه سيتعرض حتماً إلى الاختناق.

● أتشعر بخوف وأنت في المقبرة؟

- لا. الموتى لا يتكلمون، ولا يؤذون أحداً. إنني أشعر بخوف من الأحياء، لا سيما عندما أكون خارج المقبرة!

● أحياناً يفقد أحد الأشخاص حبيبته أو زوجته. . فهل الحبيب أو الحبيبة. . أو الزوج يظل مخلصاً لذكرى الراحل، فيزور ضريحه؟

- عندما يموت أحد الشباب، أشاهد حبيبته! أو صديقته! تزوره في اليوم الأول، والثاني. . والخامس. . والعاشر. . ثم تختفي فجأة بصورة غامضة!

كما أن الزوجة قد تزور قبر زوجها المسكين لعدة أسابيع، ثم تنقطع عن الزيارة.

وخلال ما يزيد عن نصف قرن، لم أشاهد إلا رجلاً واحداً، كان يزور قبر

أمه في صباح كل يوم . . واستمرَّ على هذه العادة أكثر من عشرين عاماً . . ثم لم أعد أشاهده . وأعتقد أنه قد مات .

● أكثر الأشهر التي يموت فيها الناس؟

- الموتى يكثرون بدءاً من منتصف شهر رمضان المبارك . . وحتى وقفة عيد الفطر السعيد .

● ما هو السبب؟

- لا أعرف ، غير أن هذه الظاهرة تتكرر في كل عام!

● سمعت أن بعض طلاب كلية الطب يشترون جمجمة أو جثة من حفَّاري القبور . . ما رأيك؟

- البعض يفعل ذلك . . غير أنني أقسم لك بالله بأنني أحافظ على عظام الموتى ؛ لأنني مسؤول أمام الله عن هذه الأمانة .

● هل من أشخاص في هذه المقبرة كنت تعرفهم قبل أن تدفنهم؟

- نعم ، الطبيب «فتحي النحلاوي» يرحمه الله . . كان يكتب الوصفة للمرضى الفقراء ، ويضع مع الوصفة ثمن الدواء . . ولعل الأطباء يقتدون به ويعتبرون . .

● إذن يا صديقي الحفَّار . . هل تعدني بمعاملة خاصة عندما أموت . . والأعمار بيد الله؟!

- آسف ؛ لأن المقبرة لن يدفن بها أي إنسان اعتباراً من شهر أيلول القادم ؛ لأنها ستدخل في التنظيم الجديد لمدينة دمشق . . !

توأمان بجسم واحد ورأسين



ولد في مدينة بوليفار في فنزويلا يوم ٢٩ نيسان - أبريل ١٩٨٦م توأمان بجسم واحد ورأسين. وذُكر أنهما بحالة صحية طيبة، وينموان بشكل طبيعي.



وقال الأطباء: إن حالة التوأمين الملتصقين تحدث مرة في كل مائة ألف حالة ولادة، ولكن هذه الحالة نادرة؛ لأن التوائم الملتصقين يكونون عادة أطفالاً بجسم مستقل، وملتصقين في منطقة واحدة من الجسم في الجمجمة أو الصدر أو المعدة، ولكن في هذه الحالة يوجد جسم واحد ورأسان!

وكانـت الحالة المماثلة القـريبة في المكسيك عـام ١٩٨٣م، ولكنّ الطفلين مـاتا بعـد ساعـات من ولادتهما، أما الطفـلان الفنزويليـان فينموان بصـورة طبيعية، وليس هناك خطر كبير يتهددهما حتى الآن[١].

عجل برأسين في الإسماعيلية!



● في أغرب حالة من نوعها ولد هذا العجل في الإسماعيلية برأسين وثلاث أرجل وسلسلتي ظهر وجهـازين تنـاسليين أحـدهما لـذكـر والآخـر لأنثى! السؤال الذي تثيره هذه الحالة هو: هل سيعيش هذا العجل على هذه الصورة طويلاً[٢]؟

---

(١) جريدة اليوم (السعودية) ١٩ رمضان ١٤٠٦هـ ع ٤٧٢٩.

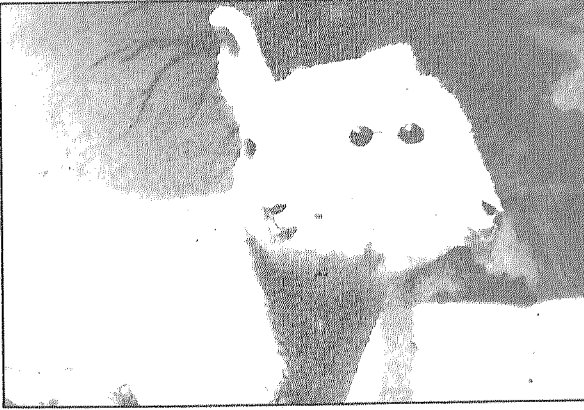
(٢) الأهرام ٨/ ١٢/ ١٤٠٦هـ.

خروف ذو ست أرجل في أستراليا!



مديـر المراعي بمنطقة جنـوب أستراليا يعـرض خـروفـاً صغيراً ولـد ولـه ست أرجل في حـــدث فـريـد يحدث بـالمراعي الأستراليـــة، وإن سبق وشهـدت المزرعة نفسهـا «سيني سيت ستـاشن» مولـوداً آخر ذا رأسين في أبريل الماضي(١).

خروف برأسين!



في متحف الأعاجيب بأروندل في إنجلترا، هذا الخروف المحنَّط الــذي ولـد بـرأسين ملتصقين وفمين وأربع عيون(٢).

---

(١) البلاد (السعودية) ع ٨٦٠٨ - ١٠/١١/١٤٠٧هـ.

(٢) الشرق الأوسط ع ٢٢٢١ - ٥/٤/١٤٠٥هـ.

أيضا.. خروف برأسين!



ولد في إحـدى المزارع الأمريكيـة حَمَل برأسين هـو الأول من نوعـه في ولاية ريفرسايد .

وقد جـرت الولادة على يـد طبيب بيطـري اضطر لإجـراء جراحـة قيصرية بسبب تعثر عملية الولادة الطبيعية .

ونقل الحَمَل ذو الـرأسين إلى أحـد المختبرات الطبيـة في الـولايـة لمواصلـة الدراسات والأبحـاث ، خاصة وأنه ظل حياً . . . وهي ظاهـرة غير عادية في مثل هذه الحالات .

وأعلنت طبيبة بيطرية أن فرص الحمل بالحياة جيدة .

والجدير بـالذكر أن مثل هـذا الحمل يموت بعـد ساعات من ولادتـه نظراً لتضارب الأوامر المعطاة للرأسين .

ويـلاحظ أن كل وجه يتمتع بكـامل التقـاطيع ، وأنهما ملتصقان بخلفيـة الجمجمة ، ومن ثم عند الرقبة . . . وبعد ذلك جسم واحد طبيعي .

وفي الصورة الحمل ذو الرأسين في السيارة التى نقلته إلى المختبر[1] .

---

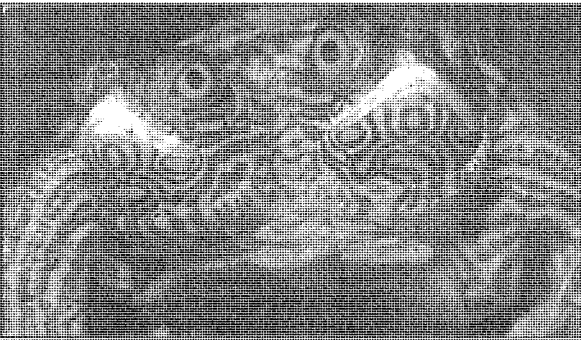
(١) الشرق الأوسط ع ١٨٨١ - ١٩/ ٤/ ١٤٠٤هـ.

.. وقطة برأسين!



هـذه القطـة النـادرة واحدة من المجمـوعـة التي يضمهـا متحف غـرائب الحيوان في منطقة أروندبل الإنجليزيـة . وتتشابه القطة مع الخروف السابق في المتحف نفسه في كـونهما برأسين متصلين عند الـرقبة ، إضـافة إلى أن لها أربع عيون وفمين وأنفين[1]!

ثعبان وسلحفاة برأسين!



في الصـــــــورتين المرافقتين حالتان نادرتان مـــن زواحـــف ذوات رأسين متماثلين تمامــاً ، وهما صورتان حقيقيتان .

(١) الشرق الأوسط ع ٢٢٢٤ - ٨/ ٤/ ١٤٠٥هـ.

في إحـدهما سلحفـاة ذات رأسين أخـــذت صورتها في المسيسبي، في حين تمثـل الصــورة الأخرى ثعبانـاً له رأسان هو الآخر، وقـد صور في إحـدى دور عـرض الزواحف في سان فرانسيسكو.



والغريب في الأمـر أن كل رأس قائم بذاتـه، ويتكون من مخ منفصل عن الآخر كما أن كل رأس من الرأسين يأكل منفصـلاً، ويمكنه أن يعض ويلدغ بانفراد.

والسـؤال الـذي يطـرح نفسه الآن هـو: هل وجـود رأسين للثعبـان مثـلاً سيجعلـه أكثر ذكـاء وفطنـة وقدرة على الفتـك بأعدائه؟ أم أن وجـود رأسين منفصلين سيجعل كلاً منهما يحاول توجيه الثعبـان إلى وجهة معينة فيكون هذا الثعبـان في حيرة من أمره لا يمكنـه تحديد وجهتـه المعينـة في غياب مـركزيـة التفكير؟!

والسلحفاة ذلـك المخلوق البطيء، متى سيصل إلى هـدفه إذا ما قـرر كل رأس أن يقوده إلى هدف.

إنها آيات الله في خلقه. ولله في خلقه شؤون[1].

---

(١) الجزيرة ع ٤٣٩٠ - ١٠/١/١٤٠٥هـ.

سمك رامي في السهم

يعيش هذا النوع من السمك في منابع أنهار شرق آسيا، وتصطاد ضحيتها بأعجب الطرق! فهي تسبح على السطح، وعندما ترى حشرة واقفة على نبات معلق في الماء، تبصق عليها قطرات من الماء بقوة شديدة فتسقطها، ثم تنهال عليها فتأكلها[1]!

حيوان غريب!



احتار العلماء في تصنيف هذا الحيوان الذي يختلف عن سائر الحيوانات بقدرة الله في إحدى حدائق الحيوان، حيث إن جسمه جسم دب، وأرجله أرجل بقرة، وذيله ذيل عنز، ووجهه وجه الموظ (حيوان ضخم من حيوانات أمريكا الشمالية) وقرونه قرون النو (تيتل إفريقي ذو رأس كرأس الثور وقرنين معقوفين وذيل طويل).

ويعيش هذا الحيوان المعروف باسم «تاهكين» Takin في غابات في جبال الصين وفي جنوبي آسيا. ورغم كبر حجم «التاهكين» فإنه يمتاز بسرعة العدو الفائقة بشكل مثير للدهشة[2].

---

(١) الأخبار (مصر) ع ١٠٦٦٧ - ١٩/١١/١٤٠٦هـ.

(٢) الجزيرة ع ٦١٦١ - ١٠/١/١٤١٠هـ.

أكبر بطيخة في العالم!

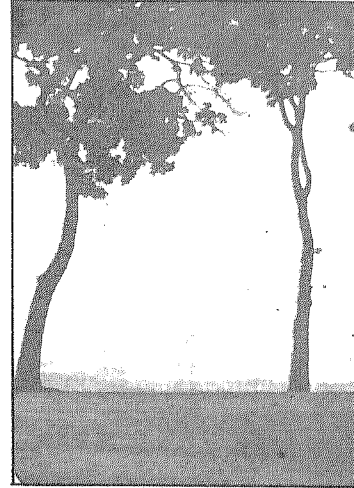
● من أغرب المسابقات التي تقام سنوياً في أمريكا : مسابقات بين المزارعين لتقديم أغرب وأضخم محصول من الفواكه والخضروات . وقد حققت



هذه البطيخة الرقم القياسي في الضخامة ، حيث تزن ٩١ كيلو جراماً ، أي أنها تمثل وزنا أثقل من وزن رجل ممتلئ (١)!

شجرة تتنبأ بالأحوال الجوية

توجد في جنوب الصين شجرة غريبة يمكنها أن تتنبأ بالأحوال الجوية عن طريق تغيير لون أوراقها ! !



وتنمو هذه الشجرة في المناطق الجبلية ، ويبلغ طولها ١٨ متراً .

وفي الأيام العادية تكون أوراقها خضراء اللون ، ولكن قبيل حدوث الفيضانات أو هطول الأمطار تصبح

(١) الأخبار ع ١١٢٧٩ - ٢٤/١١/١٤٠٨هـ.

أوراقها حمراء اللون ، لـذلك يستخدم الأهالي المحليون هـذه الشجرة في التنبؤ بـالأحـوال الجوية عن طـريق ملاحظـة تغير لـون أوراقهـا . وأطلق الأهـالي المحليون على هذه الشجرة اسم (الشجرة التي تتنبأ بالأحوال الجوية)[1].

شجرة التبلدي!

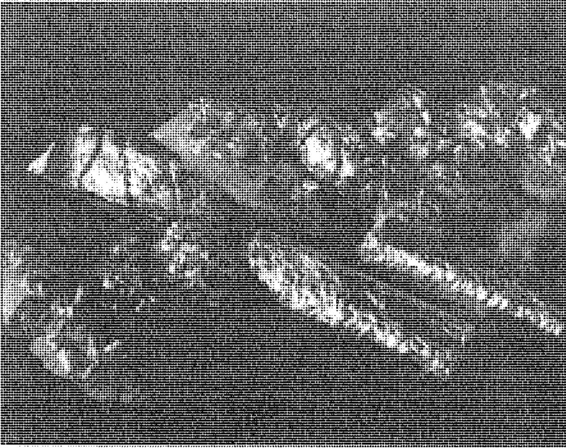


شجـرة التبلـدي من أهم الأشجـار التـي يعتمد الناس عليها كثيراً في حيـاتهم اليـوميـة بإقليمي كـردفـان ودار فـور بغـرب السـودان ، حيث تنتشر بكثافة كبيرة في هـذين الإقليمين ، ويحرص كل فـرد على زراعتهـا ورعايتهـا حتى تكبر وتتعملـق ، حيـث يقوم صاحبها بتجويفها في الـوسط ، ويصنع لها غطـاء محكماً لا يفتح إلا في موسم الخريـف ، حيث تصب الأمطار ويمتلئ تجويف الشجـرة بالماء ، ثم يحكم غطـاؤه حتى يكون صـالحاً لشرب الأسرة والماشية لموسم كـامل ، وذلك

(١) المدينة ع ٧٠٤٦ - ٢٤/ ١١/ ١٤٠٦هـ.

للتغلب على شح المياه بهذه المناطق، وتعذر حفر الآبار الجوفية في أغلبها، وبعد أن كانوا في الماضي ينتشلون الماء من داخل تجويف الشجرة بالدلو أصبحوا الآن يقومون بتركيب بعض الأجزاء الحديدية تحت ساق الشجرة للحصول على الماء بسهولة. وبالرغم من هذا التجويف تظل شجرة التبلدي خضراء وارفة، وخزانة جيدة لتصفية المياه من الشوائب طوال الموسم دون أن تتغير لأي عامل طبيعي مؤثر، إضافة إلى ظلها الممتد الوارف الذي تقدمه لصاحبها وما شيته خلال فصل الصيف الحار. ولأكثر من ٣٠٠ سنة عرفت شجرة التبلدي في السودان بهذه المميزات، ودخلت في الكثير من الأشعار وأهازيج المنطقة الشعبية ومسامراتها(١)!

الذهب في الطعام!



آخر صرعة ظهرت في اليابان كانت مثيرة جداً وهي تقوم على وضع الذهب في الطعام! وهذه البدعة التي تضم السمك المذهب وغيره، ابتكرها سيشي أومورا قبل أربع سنوات، واستطاع الآن أن يحول الحلم إلى حقيقة. الفكرة لم تكن بالطبع صعبة ولكن تنفيذها أمر مختلف(٢)!

---

(١) عكاظ (السعودية) ع ٧٦٧٤ - ١٢/١١/١٤٠٧هـ.

(٢) الأسبوع العربي ع ١٥٠٩ - ١٢/٩/١٩٨٨م.


(١)



■ لوحة تقرأ بالعربية «الله أكبر» وتقرأ بالإنجليزية «ALLAH» ■ (٢)

---

(١) ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم﴾ بريشة حسن عطية - اليوم ع ٥٠٩٨ - ٤/ ١٠/ ١٤٠٧هـ.

(٢) بريشة خضير البورسعيدي من مصر. أخبار العالم الإسلامي - ١٣/ ٥/ ١٤١٠هـ.



■ لوحة تقرأ بالعربية «محمد رسول الله» وتقرأ بالإنجليزية «MOHAMED» ■ (١)

الطفل المعجزة!

ظاهرة لافتة للنظر تجسدت في طفل لا يتجاوز الأربع سنوات من عمره، يقف خطيباً في جموع المصلين، ويحث المؤمنين على أداء فريضة الحج، شارحاً بعض ما يؤديه الحاج من مناسك خلال هذه الفريضة، يدعمها بآيات من القرآن الكريم، وأحاديث نبوية شريفة.

الطفل اسمه محمد حطب، يؤدي الصلوات في أوقاتها، ويستوعب الدرس الديني بسرعة تفوق التصور لطفل في مثل سنه (٤ سنوات ونصف) ويحفظ مجموعة كبيرة من الأحاديث النبوية والآيات القرآنية.

---

(١) بريشة خضير البورسعيدي من مصر. أخبار العالم الإسلامي - ١٣/٥/١٤١٠هـ.

حوار مع الأب


الطفل محمد حطب

● كيف تعلم إلقاء الخطب إذن؟ . .

■ فيجيب : كـان محمد يـذهب معي إلى المسجـد بدافـع ذاتي ، وكان يردد في البيـت ما كـان يسمعه في المسجد من كلام الخطيب ومـن أدعية ، وكان يطلب مني أن أكتب لـه خطبة ليحفظهـا ، وبـالفعل كنت أقوم بها يطلب ، فأجـده متجاوباً كل التجاوب في الاستيعاب والحفظ السريع .

وعنـد كل جلسة أجـده وقد استـوعب كل مـا سمعه من دروس دينيـة ، فلفت نظر المسؤولين ، وراح يتعلم الخطب شفهيـاً ؛ لأنه لم يتعلم بعد القراءة والكتابة ، لكنه تعلم الإلقاء بسرعة والحفظ بسهولة .

● هل لمحمد إخوة؟

■ لمحمد أخت واحدة أصغر منه .

● عندما يذهب إلى المسجد لإلقـاء خطبة الجمعة . هل كان يحس بخجل أو خوف من مواجهة الناس وفي مثل هذا المكان؟

■ أبداً . . . عنـده ثقة بنفسه ، فهـو لا يخاف ولا يخجل أبداً من مـواجهة الناس .

● هل كان يستوعب ما تملونه عليه للحفظ بسرعة؟

■ إنه يحفظ بسرعة غريبة ، وبإمكـانه أن يحفظ خطبة تتجاوز مدتها نصف الساعة ، كما أنه يحفظ العديـد من الأحاديث عن الرسول ﷺ ، وبعض آيات من القرآن الكريم .

● ونسأل المسلم الصغير محمد حطب . . . ماذا تنوي أن تكون في المستقبل يا محمد؟

■ أتمنى أن أصبح داعية للرسالة الإسلامية[1].

موهبة عجيبة!

استطاع طفل في العاشرة من عمره يقيم في منطقة عسير، تحديد المواقع الصحيحة لتجميع المياه تحت سطح الأرض، وتم عن طريقه حفر حوالي ١٥٠ بئراً خلال العامين الماضيين في المواقع التي حددها، وعلى العمق الذي توقعه!!

وتعرف هذه الظاهرة في المنطقة الجنوبية (بالمسمع)، وهو الشخص الذي أعطاه الله قدرة سمع خاصة لمعرفة مكان الماء في جوف الأرض وتحت طبقات الصخور والرمل دون استخدام أية أجهزة علمية حديثة أو دراسات أو أبحاث جيولوجية!

وأوضحت مجلة «الجنوب» الشهرية التي تصدر في مدينة أبها والتي أوردت تحقيقاً مع هذا الطفل واسمه حمدان عسيري، أن والده قد اكتشف هذه الموهبة فيه عن طريق الصدفة.

فلقد أعلم الابن أباه أن يحفر في موقع مجاور لمنزلهم الذي لم يكن به مصدر ماء خاص بهم.

وعندما تمت عملية الحفر على عمق ستة أمتار نبعت المياه في الموقع

---

(١) عكاظ ع ٧٣٤٩ - ٦/١٢/١٤٠٦هـ.

المحدد. ثم تـوالت بعد ذلك صحة عمليات التـوقع التي قام بها الابن، وتم حفر آبار في مواقع أخرى.

ويقـول الطفل الـذي مـا زال في الصف الثـالث الابتـدائي: إن قـدرة الله سبحانه وتعـالى أولاً وأخيراً هي التي تتحكم في كل شيء، وأنه يشكر الله على مـا وهبه مـن قدرة يستطيع بـاستخـدامهـا مساعـدة النـاس في الكشف عن مصادر المياه في هذا الجزء من المرتفعات[1].

الطفل العبقري

● نطق الأمـريكي دراجـون ايستـود وعمـره ستـة أسـابيع. وأكمل حفظ الحروف الأبجدية وهو في الثانية من عمره، وأجـاد القراءة والكتابة عندما بلغ الثـالثـة. وفي الحادية عشرة حصل على البكـالـوريـوس في الريـاضيـات من جامعة كاليفـورنيا، ولكنه رغم نبوغه المبكـر وتخرجه في الجامعة، فمازال عليه معـاودة الـدراسـة في المدارس الابتدائيـة حتى يبلـغ السادسـة عشرة التـزامـاً بالقوانين الأمريكية في نظام التعليم[2]!

مريض.. ذو ذكاء خارق!

● هذا العالم الأمريكي «ستيفن هوكنج» حطم حواجز المرض الذي أصابه بشلل تـام وأفقده القـدرة على الحركة والكـلام، بعد أن داهمه مـرض تصلب وضمور العضلات والأعصاب في العشرين من عمـره، وأخذ يزحف تدريجياً

---

(١) المدينة ع ٧٣٩٥ - ٣/ ١٢/ ١٤٠٧هـ.

(٢) الأخبار ع ١١٢٧٨ - ٢٣/ ١١/ ١٤٠٨هـ.



ليقضي على كل العضلات والأعصاب المتحكمة في الحركة في الجسم كله .

الأكثر من هذا أن الأطباء اضطروا منذ ثلاث سنوات إلى استئصال قصبته الهوائيـة مما أفقـده القـدرة على الكـلام نهائياً ، بينما يتنفس عن طـريق فتحـة صناعيـة ، ورغم كل هذا ظل عقلـه يعمل ويبحث لإثبات نظريـات علمية غاية في التعقيد ، حتى وصفه العلماء بأنه خليفة اينشتاين !

إن هذا العـالم - بالفعل - يحاول استكمال النظـريات التي بدأهـا اينشتاين حتى يتـوصل إلى القـوانين التي تـركهـا خلفه العـالم الشهير، ويعتقـد العـالم المريض أن لغز تلك القوانين سيتم اكتشافها قبل نهاية القرن الحالي !

ويلقي هـوكنج محاضرة أسبوعيـة في الجامعة ، يستعين أثنـاءها بكمبيـوتر ناطق للتغلب على مشكلة عدم القدرة على الكلام !

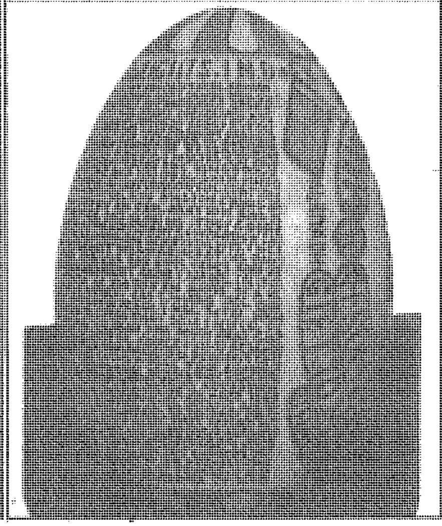
بقي أن تعرف أن العالم المريض متزوج وله ثلاثة أولاد(١) .

---

(١) المصور ع ٣٣٢٥ - ١٧/ ١١/ ١٤٠٨هـ .

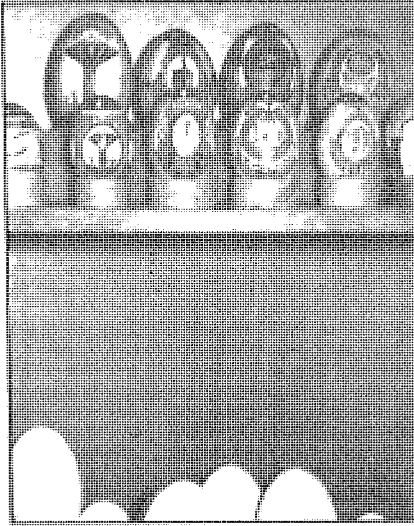
٦٠٠٠ حرف على بيضة واحدة!





عبد الرحمن العبدان من السعودية لديـة موهبـة عجيبة في الكتـابة على البيض بدقة متناهية يقول :

تتم عمليـة الكتـابة على البيضـة بـوضعها في قـاعدة خشبيـة صغيرة مربعـة الشكل ، مبطنة بـالإسفنج ، ووسطها مقعر يغطي ثلث البيضة . وعند الكتابة يتم تحريك البيضة على القـاعـدة بطـريقـة تشبـه تحريك «الرومان بيلي» . وتبدأ رحلـة الكتابة من الأعلى إلى الأسفـل وبطـريقـة



«لم أتعلم في حياتي الإنجليزية ، وكتبتُ تقرير أرامكـو حـرفـاً بحـرف بـواسطـة النقل» .

حلزونية . . ونظراً لدقة الحروف فإنني أستعمل منظاراً مكبراً كالذي يستعمله مصلح الساعات . . والكتابة من الدقة بحيث أستطيع كتابة (٦٠٠٠) حرف أو ألف كلمة على البيضة الواحدة وفي مدة زمنية تستغرق ما بين ١٥-٢٠ يوماً، وبمعدل ساعة واحدة في اليوم. ذلك لأن الاستمرار لأكثر من ساعة يتعب النظر . . ولك أن تقدر حجم التعب في كتابة ميزانية الدولة بكامل بنودها لعام ٨٨/ ١٣٨٩هـ وميزانية الدولة لعام ١٤٠٠/ ١٤٠١هـ . . كل ميزانية على بيضة واحدة، وتقرأ بوضوح .

أما نوعية الأقلام المستخدمة فهي رفيعة جداً، تشبه دقتها رأس الدبوس، ومداد الأقلام من النوع الشيني . . المستعمل في الطباعة . .

ويوضح العبدان بأن فصل الشتاء يعتبر أنسب الأوقات للكتابة، لأن في فصل الصيف تكون اليدان رطبتين بسبب العرق، وعند تقليب البيضة تسيل الأسطر على بعضها نظراً لضيق المساحة وقرب الأسطر من بعضها فيتشوه منظرها . . كما أن النقش على بيض النعام أمر صعب ولا يمكن، لظهور الكثير من المطبات والحفر الصغيرة على وجه البيض .

وكانت أول أعمالي التي أهديت إلى كبار المسؤولين عبارة عن كتابات لآيات قرآنية طرزت بزخارف جمالية .

ومن أجمل المصادفات ما حصل لي خلال عمري في هذه الهواية أنني كتبت على إحدى البيضات آية الكرسي، وبعد ذلك وضعتها في درج المكتب الذي أحتفظ فيه بإنتاجي الفني، وبعد أيام قليلة فتحت الدرج، ففوجئت بفرخ صغير داخل الدرج قد حطم البيضة وخرج منها، فضاع جهد خمسة عشر يوماً . . وكنت يومها قد نسيت أن أقوم بتفريغ البيضة من داخلها قبل الكتابة عليها .

بدأت اهتمامات العبدان بهذه الهواية عندما شاهد عند أحد معارفه بيضة مفرغة كتب عليها سور قرآنية بخط الخطاط الشهير محمد طاهر كردي، خطاط مصحف مكة، والسور هي: الملك والقلم كاملتين مع المعوذتين عام ١٣٥٥هـ، وهي تعد تحفة تاريخية، إذ مضى على كتابتها أكثر من نصف قرن. . فقام بتقليد الخطاط الشهير، ولا يعرف إلى الآن إذا كان هناك من سبق الكردي في عالمنا العربي[١].

دكتوراه بامتياز لميت!

● قصة طريفة - من الأرشيف الجامعي - بدأت عندما تقدم مصطفى علي عبدالعزيز، خريج كلية الزراعة - جامعة القاهرة، للحصول على الدكتوراه في نباتات الزينة، على أن تناقش في منتصف فبراير ١٩٧١م.

وفي ٢٧ يناير من العام نفسه وقبل مناقشة الرسالة، توفي الباحث في حادث تصادم. . ثم تقدم الدكتور محمود عبدالآخر، عميد كلية الزراعة في ذلك الوقت إلى مدير الجامعة بطلب للموافقة على مناقشة رسالة الدكتوراه تكريماً للباحث المتوفى. . وتكونت لجنة لمناقشة الرسالة في موعدها، وحصل الباحث الميت على درجة امتياز[٢].

---

(١) الأربعاء الأسبوعي (ملحق المدينة) ٢٠/ ٢/ ١٤١٠هـ. وانظر جريدة الرياض ع ٥٣٣٩ - ١٣/ ٤/ ١٤٠٣هـ.

(٢) أخبار اليوم (مصر) ع ٢٢٣٨ - ٢٦/ ١/ ١٤٠٨هـ.

ودكتوراه لبغل!

منح بغل شهادة دكتوراه فخرية من جامعة ييل العريقة، للمساهمة التي قدمها في تقدم العلوم. ونقله كميات من الصخور مخصصة لفريق من الجيولوجيين في الجامعة.

وسلمت وثيقة تحمل توقيع أكبر المسؤولين في الجامعة وتمنح لقب دكتوراه فخرية إلى الوود بلوز (١٠ سنوات) أثناء احتفال جرى في ساحة في بورث أنجلوس في ولاية واشنطن. وأوضح البروفسور مارك بروندون رئيس فريق الجيولوجيين الذي أوصى بمنح الدكتوراه إلى البغل: «أننا لا نعتبر هذا العمل مزاحاً»(١).

أكبر مجرمة في التاريخ

أكبر مجرمة في التاريخ هي الكونتيسة (باثوري) المجرية، ولدت عام ١٥٦٠م وعاشت حتى ١٦١٤م. واقترفت ٦١٠ جرائم قتل، وكان أكثر ضحاياها من الفتيات اللائي يسكن في المناطق المجاورة لقصرها. وماتت الكونتيسة بعد ثلاث سنوات ونصف من صدور الحكم عليها بالسجن المؤبد في القصر(٢)!

---

(١) الأفق ١٥/٦/١٩٨٩م.

(٢) الندوة (السعودية) ع ٨٣٢٣ - ٨/١١/١٤٠٦هـ.

أعمى يفقأ عيني والده!!

أصبدرت محكمة جنايات مصرية حكماً بالسجن على رجل أعمى فقأ عيني والده انتقاماً منه؛ لأنه قرر طرده من المنزل .

وقالت صحيفة الأهرام إن محكمة جنايات الزقازيق بمحافظة الشرقية حكمت بالسجن خمس سنوات على شحادة إبراهيم ٤٠ سنة .

وأضافت تقول : إن الرجل كان قد تشاجر مع والده الذي يبلغ ٦٢ سنة من العمر بسبب خلافات عائلية ، قرر والده على إثرها طرده من المنزل .

وقالت الصحيفة إن الرجل قرر الانتقام ، وعندما علم أن والده يغط في نوم عميق «تحسس الطريق إليه وانقض عليه ضاغطاً بكلتا يديه على عينيه حتى فقأهما» .

ونُقل الوالد إلى مستشفى . . . لكن الأطباء قرروا أنه فقد بصره نهائياً[١] .

جريمة قتل بسبب البيضة والدجاجة!!

أعلنت صحيفة فلبينية أن رجلين لقيا مصرعهما رمياً بالرصاص إثر مشادة ، بعد جدل حول ما إذا كان خلق الدجاجة قد سبق خلق البيضة ! !

وقالت صحيفة انكويرو الفلبينية الواسعة الانتشار نقلاً عن محققين قولهم : إن أربعة من أنصار الاعتقاد القائل بأن البيضة خلقت أولاً استلوا مسدساتهم وقتلوا الرجلين ، بعد أن صدرت عن أحدهما حركة مخلة بالآداب لدى اعتقاده بفوز وجهة نظره[٢] .

---

(١) الجزيرة ع ٦١٣٥ - ١٣/ ١٢/ ١٤٠٩هـ.

(٢) المدينة ع ٧٣٤٦ - ١٣/ ١٠/ ١٤٠٧هـ.

عبادة الشيطان!

فوجىء سكان نيويورك عندما اكتشفوا أن (عبادة الشيطان) أخذت تنتشر بين عدد من المراهقين والمراهقات من أبناء الأغنياء والطبقة الوسطى .

وقد افتضح الأمر عندما ذُبح أحد أفراد الجماعة في احتفال تقليدي (شيطاني) جرى في ضواحي نيويورك . . وقد انتحر الشاب - وهو زعيم هذه البدعة - قبل التحقيق معه .

ومما يذكر أن أفراد هذه البدعة بدأوا بتقديم ذبائح من الحيوانات بما في ذلك القطط والكلاب ، ثم تطور ذلك عندما ذبح أحد الأفراد[1] .

أطول.. وأقصر قضية!

أطول نزاع قضائي في التاريخ انتهى في بيون في ٢٨ أبريل عام ١٩٦٦م بعد ٧٦١ عاماً من رفع الدعوى القضائية .

وكانت الدعوى التي وجدت مكاناً رحباً في سجل غينيس للأرقام القياسية العالمية قد تم الفصل فيها عندما صدر الحكم لصالح باتلوجي ثورات في القضية التي رفعها ضده جده مالوجي ثورات في عام ١٢٠٥ ميلادية .

وكان لب النزاع يتمثل في حق رئاسة النشاطات الجماهيرية العامة وتصدر المهرجانات الدينية . وقد تم كشف النقاب عن هذه القضية في الحلقة

(١) الندوة ع ٧٧٠٧ - ١٢/ ١٠/ ١٤٠٤هـ . وانظر جريدة الرياض ع ٥٨٥٩ - ١٠/ ١٠/ ١٤٠٤هـ.

الـدراسية التي تنـاولت أسبـاب تعطيل الفصل في القضـايا، والتي عقـدت مؤخراً هناك.

ويرصـد سجل غينيس أيضاً المحـاكمة التي جـرت في بريطـانيا في مطلع مارس من عام ١٩٧٧م كـأقصر قضية في التاريخ. فقد رفع دعـوى باطلة في محكمة العمـد الأولى في أدينبره ضد طيار. واستغـرق نظر القضيـة سبع ثوان فقط. ولم ينطق العمدة سوى بكلمتين: (ليس مذنباً)[١]!

مخالفة بعد ٣٥ سنة!

تلقى المواطن حلمي عطيـة مصيلحي صـاحب مخبـز بشبرا إخطـار حكم مخالفات هذا نصه:

«باسـم صاحب الجلالة فـاروق الأول ملك مصر والسودان صـدر الحكم الآتي في قضيـة النيابـة العموميـة رقم ١٠٤٦ شبرا سنـة ١٩٥٢م ضد محمـود دياب صاحب مخبز بشارع مستشفى كتشينر نمرة ١٦ شبرا.

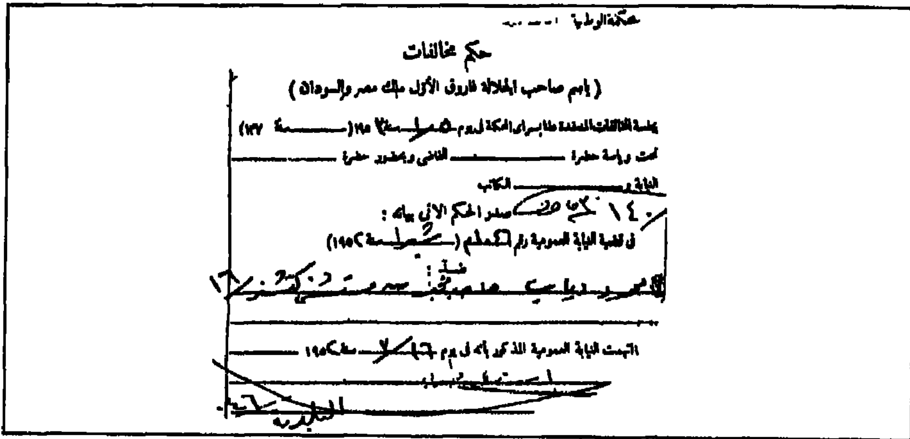
اتهمت النيابـة العمومية المذكور بأنه في يـوم ١٦/ ٣/ ١٩٥٢م وجهت إليه تهمـة إشغـال الطـريق، وحيث إن التهمـة ثابتـة فلهـذه الأسبـاب حكمت المحكمة بغرامة قدرها ٢٤ جنيهاً و٣٢٠ مليماً».

كان هذا نص الإخطار الذي تلقاه صاحب المخبز الحالي، والذي استأجره عام ١٩٧٨م. ورغم مرور ٣٥ عـاماً على توقيع المخالفة إلا أنه كـان لا بد له أن يدفع الغرامة، وإلا تعرض للحبس والحجز على إيراد الفرن!

---

(١) الرياض ع ٥٣٨٨ - ٣/ ٦/ ١٤٠٣هـ.

ويقول حلمي عطيـة صاحب المخبز: لقد دفعت المخـالفة التي لم أتسبب فيهـا والتي مضـى عليهـا ٣٥ عـامـاً . . لقــد سـددت المخـالفــة بتـاريخ ٢٩/ ٧/ ١٩٨٧م بإيصـال رقم ٥٥٤٧٧١ لـلإدارة العـامة لإيـرادات ديـوان محافظة القاهرة[١].



محكمة الوطنية

حكم مخالفات

(باسم صاحب الجلالة فاروق الأول ملك مصر والسودان)

جلسة المخالفات المنعقدة علنا بسراي المحكمة في يوم ... سنة ١٩٥ (... سنة ١٣٧)

تحت رئاسة حضرة ... القاضي وبحضور حضرة ...

النيابة و ... الكاتب

صدر الحكم الآتي بيانه :

في القضية النيابة العمومية رقم ... (... سنة ١٩٥)

ضد :

اتهمت النيابة العمومية المذكور بأنه في يوم ... سنة ١٩٥

صورة زنكوغرافية للمخالفة

يشنق نفسه على طريقة عمر المختار!

بعد مشاهدته لفيلم «عمر المختـار» وقصة شنقه قام الطفل حسين عبدالله السبيعي من «الخرمة» بـالسعودية بشنق نفسه، بعـد أن ربط حبلاً في سقف إحدى غـرف المنزل، ووضع تحت قدميـه سريراً، وبعـد أن شد الحبل وأزاح السرير تدلى مشنوقـاً. وقد نقل إلى مستشفى القوات المسلحة، حيث يعيش في غيبوبة تامة، وفي حالة خطيرة منذ أربعة أيام[٢].

---

(١) الأخبار ع ١٠٩٩٢ - ١٥/ ١٢/ ١٤٠٧هـ.

(٢) الندوة ع ٧٤٤٠ - ٢٢/ ١١/ ١٤٠٣هـ.

الجنين يبكي بدون صوت!

أثبتت التجارب التي أجراها العلماء الفرنسيون على الأجنة أن الجنين يسمع ويحس ويسلك مسلكاً فردياً مميزاً. وأن هناك أجنة كثيرة الحركة، والبعض الآخر قليل الحركة. . كما أن هناك أجنة تستمع للموسيقى وتنفعل عند سماع الضجيج. والغريب أن هذه التجارب أثبتت أن الجنين في بطن أمه يبكي ولكن بدون صوت؛ لأن الرئتين بدون هواء. . وأجمع العلماء على أن الحالة النفسية للأم تؤثر على الجنين، فإذا كانت شديدة القلق أثناء الحمل يولد طفلها متذمراً شديد الحركة سريع الغضب. . وأكثر عرضة للإصابة بأمراض الجهاز الهضمي[(١)]!

جنين عمره ٤٠ عاماً!

أجريت في مستشفى الثورة العام بالعاصمة اليمنية عملية جراحية لأغرب ولادة تحدث حتى الآن.

فقد أجرى الطبيبان محمد صالح القباطي وعبدالرحمن الشرعي عملية لامرأة تبلغ من العمر ٧٥ عاماً لاستخراج جنين في بطنها حملت به منذ ٤٠ عاماً!

وكانت المرأة قد وضعت مولودين بشكل طبيعي خلال فترة وجود الجنين في بطنها الذي استخرجه الطبيبان ميتاً.

وكانت الأم تشكو من آلام غريبة، ولم تكن تتوقع وجود هذا الجنين. وتتمتع الآن بصحة جيدة بعد العملية[(٢)]!

---

(١) الأخبار ع ١٠٢٩٥ - ٢٧/ ٨/ ١٤٠٥هـ.

(٢) الشرق الأوسط ع ٢٨٠٤ - ٢٦/ ١١/ ١٤٠٦هـ.

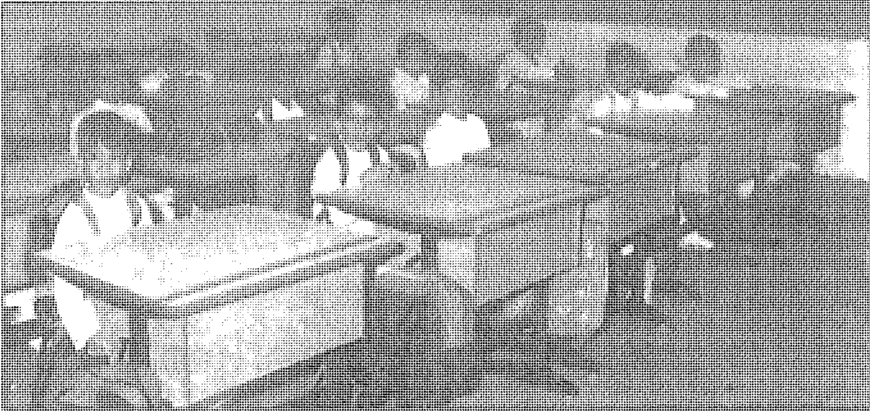
الجدة والبنت وزوجة الابن..
يلدن في وقت واحد

في غرفـة الولادة انتهت الطبيبة من إجراءات وضع سيـدة - ١٧ سنة - في السـاعـات الأولى من الفجـر . . ثم خـرجت لتطمئن أهلهـا على سـلامتهـا وسلامـة أول مولـود لها . وفي ظهر اليـوم نفسه استـدعيت الطبيبة مـرة أخرى لإتمام عملية ولادة جديـدة . . فإذا بها أمام سيدة ٣٤ سنة . . كـانت قد رأتها ضمن الأهل الذين التقت بهم من قبل ، ثم تبين أنها كانت (جدة) المولود .

وفي مساء اليوم نفسه استدعيت الطبيبة للمرة الثالثة ، فإذا بالسيدة الحامل هي زوجة ابن الجدة التي وضعت بدورها مولودتها بخير.

حدث هذا الموقف الطريف طبقاً لواس في مدينة جدة[١]!

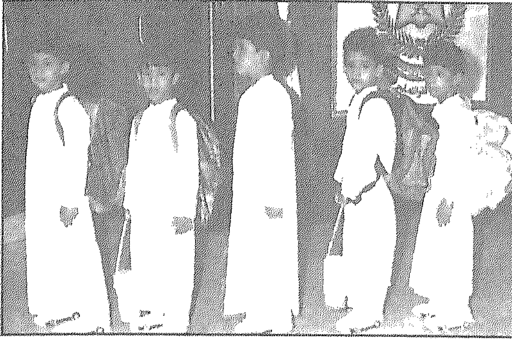
خمسة توائم في الصف الأول الابتدائي!



التوائم الخمسة يجلسون بجوار بعضهم البعض في الفصل

(١) الجزيرة ع ٥٩٢٦ - ١٠/٥/١٤٠٩هـ.

التحق التـوائم الخمسـة عبـدالعـزيـز وفهـد وعبـدالله وسلطان وخالد أبناء سعيد بن جبران الغـامـدي بـالمدرسـة، وأصبحوا طلابـاً بالصف الأول الابتدائي، في مدينة جدة.



ويدخلون المدرسة مع بعضهم أيضاً

وكانـت «المدينة» قد نشرت في عـددها رقم ٧٩٤٨ الصـادر في أول رجب عام ١٤٠٩هـ خبراً عن ولادة التوائم الخمسة.

يقول والـد التوائم الخمسـة الذي يعيش فـرحة غـامرة وهـو يرى أولاده في المدرسـة: إنهم ولله الحمـد يتمتعـون جميعاً بصحـة ممتـازة. كما أن مستـواهم العقلي جيد جداً.

وحول حياتهم داخل المنزل يقول الأب إنهم يتسمـون بالشقاوة في حركاتهم وتعـاملهم مع بعضهم البعض، ويحبـون غـالبـاً الجلوس مع بعضهم دون غيرهم.

أما الأستاذ المشرف على تعليمهم فيقول:

لا أبالغ إذا قلت إن مستوى ذكاء التوائم الخمسة يفوق مستوى غيرهم من الطلاب، ولم ألحظ من تصرفاتهم أنهم يختلفون عن زملائهم في حركاتهم، إلا أنهم يفضلون الجلوس بجـوار بعضهم البعض. كما أنهم يخرجون من الفصل أو يدخلون إليه متماسكي الأيدي[1].

---

(١) المدينة ع ٩٦٣٧ - ٢١/ ٤/ ١٤١٤هـ.

سلة مهملات ناطقة

بدأت إحدى بلـديات شمال بريطانيا استعداداتها لـوضع سلال مهملات ناطقة في أنحاء المدينة تقول «شكراً لك» بمعدل مرة كل خمس دقائق .

وتقدر قيمة السلة الـواحدة بألف جنيه استرليني . وهي تهدف إلى تشجيع الجمهور، ولا سيما الأطفال ، على رمي النفايات في الأماكن المخصصة لها .

ويدار جهـاز التسجيل في سلال المهملات هـذه بواسطة بطاريـات مثبتة داخلها ، ويقوم بتغييرها بشكل دوري رجال التنظيفات(١) .

إحصاءات غريبة

- يتكلم الإنسـان ١٣٣٤٢ كلمة لـو استعمل لسانـه ٣ ساعـات فقط . وهذه الكلمات تشغل ١٠٩ صفحات تقريباً .

- قوة جناح الطير بالمقارنة النسبية تعادل قوة ذراع الإنسان ٢٠ مرة .

- العنكبوت يستطيع أن يعيش عشرة أشهر بلا طعام .

- الإنسـان الذي يبلغ من العمـر ٧٠ عـاماً يكـون قلبه قـد خفق ٢٩٠٠ مليون دقة ، ودفع ١٥٤ مليون لتر من الدم إلى عروقه وشرايينه(٢)!

---

(١) الجزيرة ١٦/٣/١٤١٠هـ.

(٢) الشرق الأوسط ع ٢٤١١ - ١٧/١٠/١٤٠٥هـ.

معلومات غريبة

- سمع النساء أقوى من سمع الرجال. هذا ما تقوله دراسة أجراها أحد علماء النفس البريطانيين!

- أسرع الشعوب في الكلام في العالم هم الفرنسيون. فهم يتكلمون بسرعة ٣٥٠ مقطعاً في الدقيقة، بينما متوسط ما يلفظه الإنجليزي في الدقيقة ٢٢٠ مقطعاً لا غير[١].

طعام.. وببغاء.. وحذاء!

- الطبق المفضل عند الأستراليين هو المجهز من ذيل حيوان الكنغر.

- يوجد في الهند نوع صغير من الطيور يعرف باسم «هيه نينا» يتكلم بطلاقة تفوق الببغاء.

- أغلى حذاء في العالم صنع لإمبراطور إفريقيا الوسطى عام ١٩٧٧م الذي كان مصنوعاً بشكل يدوي في «بليت بيرلوتي» بباريس، وكلف هذا الحذاء مبلغ ٨٥ ألف دولار، واستغرق إنجازه ٢٠٠ ساعة، واستخدم لتطريزه ٤٠٠٠ لؤلؤة بيضاء أحضرت خصيصاً من اليابان[٢]!!

55 ساعة ضحك!

استطاع مواطن يوغوسلافي يدعى «ميرو سلاف ميخايلوفيتش» أن يضحك بعض الجماهير لمدة ٥٥ ساعة متواصلة.

---

(١) اليوم ع ٥١٢١ - ٢٧/ ١٠/ ١٤٠٧هـ.

(٢) الجزيرة ع ٤٧٨٨ - ٢٤/ ٢/ ١٤٠٦هـ.

فقد وقف في يوم العطلة في أحد ميادين بلجراد معلناً أنه يعرف ٣٠٠ ألف نكتة، وظل يرددها دون أن يكرر أياً منها.

وأعلن في ختام الساعات الطويلة أنه يحفظ إلى جانب هذه النكات حوالي نصف مليون نكتة أخرى، ويستطيع أن يضحك الناس بها. ولكنه يتحدى أن يستطيع أحد إضحاكه[1].

أكبر شاخر في العالم

يعد البريطاني ميل سويتزر الذي يبلغ من العمر خمسين عاماً أكبر شاخر، والأكثر ضجيجاً في العالم.

ويبلغ شخير سويتزر ما يعادل ضجيج دراجة نارية، أو صوت قطار للبضائع عن بعد ٥٠ متراً.

وأخيراً قرر الانتقال إلى منزل بعيد عن الآذان الحساسة، بعد أن أتعب جيرانه منذ (١٠) أعوام.

ويقول سويتزر: إن الجيران لم يشتكوا مني في البداية، ولكن خلال الأعوام العشرة الأخيرة اشتكى إلي (٧) أشخاص من جيراني، ولهذا قررت الانتقال إلى منزل قرب سوتامبتون، وفي ذلك المكان سوف لن أزعج إلا السنجاب[2].

---

(١) الأهرام ع ٣٧٠٧٥ - ٢٦/١٠/١٤٠٨هـ.

(٢) المسائية (السعودية) ع ٢١٣١ - ٢٣/٥/١٤٠٩هـ.

عادات غريبة في الزواج!

- المحارب الصومالي يضرب عروسه أثناء احتفالات الزواج ليجعلها تسلم منذ البدء بأنه سيكون السيد المطاع في البيت .

- في الأقاليم الريفية من جزيرة غرينلاد يسود الأعراس أسلوب إنسان الكهف الأول ، فالعريس يذهب إلي بيت عروسه ويجرها من شعر رأسها إلى أن يوصلها إلى الكنيسة !

- في جزر «كوك» تسير العروس إلى الكنيسة على بساط من الآدميين . إذ حسب تقاليد تلك الجزر يستلقي شباب القرية على الأرض ووجوههم إلى أسفل ، وتدوس العروس في سيرها على ظهورهم حتى تصل إلى المكان الذي تقام فيه الاحتفالات .

- العروس في «بورما» تطرح أثناء الاحتفال أرضاً ، ويقوم رجل عجوز بثقب أذنيها ، فتتألم وتتوجع وتطلق الصرخات المدوية ، ولكن ليس هناك من يسمع ؛ لأن الفرقة الموسيقية تبدأ بالعزف بأصوات صاخبة تغطي على صرخات العروس .

- في جزيرة «جاوة» تصبغ العروس أسنانها باللون الأسود ، وتغسل قدمي زوجها أثناء حفلات الزواج كدليل على استعدادها لخدمته طوال حياتها .

- وفي جنوب المحيط الهادي هناك أبسط طقوس الزواج وأقلها تعقيداً . . تلك الطقوس التي تمارسها قبيلة «نيجريتو» . ففي تلك الجزيرة يذهب الخطيبان إلى عمدة القرية ، فيمسك هذا برأسيهما ويدقهما بعضاً ببعض . . وبهذا يتم الزواج[1] ! !

---

(١) اليوم ع ٤٦٥١ - ٢٩/٦/١٤٠٦هـ.

الفهرس

مقدمة ٥

أخبار سيبويه المصري، لابن زولاق ١٩

أدب الجن، لمحمد عبدالرحيم ٢٧

الإرشاد لمن طلب الرشاد، لنائيني ٣٣

الأطفال في التراث العربي، لعبدالرزاق حسين ٤٣

أنباء نجباء الأبناء، لابن ظفر الصقلي ٤٩

التحفة البهية والطرفة الشهية ٥٥

ترويح النفوس ومضحك العبوس، لحسن الآلاتي ٦١

الجراب الجامع لأشتات العلوم والآداب، لكنون ٦٧

جمع الجواهر في الملح والنوادر، للحصري ٨١

الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة، لابن سماك ٩٩

سلوان المطاع في عدوان الأتباع، لابن ظفر الصقلي ١٠٣

صاحب الذوق السليم ومسلوب الذوق اللئيم، للسيوطي ١٠٩

طرائف الأطباء، للحكيم التكريتي ١١٣

الفراسة، لابن قيم الجوزية ١٣١

لطائف اللغة، للبابيدي ١٤١

لطائف المعارف، للثعالبي ١٥٧

اللمعات البرقية في النكت التاريخية، لابن طولون ١٧١

محاسن الوسائل في معرفة الأوائل، للشبلي ١٨١

من أخلاق العلماء، لعنّارة ١٨٩

نديم الأديب، للجيلاني ٢٠١

نوادر وغرائب متفرقة من الكتب والدوريات ٢١١